أول القرطاس

الشباب في الأمة غرتها اللامعة، وشمسها الساطعة، وقوتها الدافعة. وهم السند والمتكأ والعماد، وأمل الأوطان وفخر البلاد. وقد وعت كل الأمم هذه الحقيقة فراحت تهتم بالشباب وتحتفي بتربيته على أسس سليمة ومناهج قويمة، وشاركت العديد من مؤسساتها في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية للشباب مثل الأسرة والمدرسة ودور العبادة والأجهزة الإعلامية وغيرها. كل راح يؤدي دوره وفق ما تيسر له من أفكار وإمكانات وأوقات، وكل يبغي الإسهام في التأسيس لجيل قادر على العطاء والأخذ بيد وطنه إلى العلياء، والمشاركة في رسم وصنع مستقبل لبلده مشرق وضاء.

وفي عمليات التنشئة الاجتماعية للشباب التي تضطلع بها المؤسسة التربوية تلعب الأنشطة دوراً هاماً في تكوين الشخصية وتوسعة المدارك وبناء الفرد، سواء كانت هذه الأنشطة صفية أو لا صفية بعدما أدرك خبراء التربية أهمية هذا الدور وفوائده، كما تلعب الممارسات السلوكية في المؤسسات الاجتماعية الأخرى دوراً لا يقل أهمية عن دور الأنشطة المدرسية وتؤسس القدوة لنمط من الشخصية قريب الشبه بها، إن لم يكن يشبهها.

غير أن الفارق في هذه المسألة هو مدى التكامل في الأدوار التي تؤديها الأجهزة وتلعبها الأنشطة، ومدى اتساقها مع بعضها البعض من جهة ومدى اتساقها مع الهدف العام الذي تسعى لتحقيقه من جهة أخرى. وفي هذا الصدد نرى من يطيش سهمه بعيداً عن الهدف، ونرى آخر وقد وفق في إصابة الهدف، وبين الاثنين تتفاوت المراتب، وفي الوقت ذاته نرى من تنكب الطريق وحاد عن الجادة، فيما نجد من هو متربص بهؤلاء الشباب لا يريد لهم صلاحاً ولا يتمنى لهم نجاحاً، وهؤلاء لا يدخرون جهداً في صرف الشباب عن مثله العليا وإبعاده عن عاداته وتقاليده الأصيلة، والنأي به عن قيم مجتمعه الرفيعة مدعين في ذلك دعاوى كثيرة منها الحداثة والتمدن والانفتاح والتحضر، وغير ذلك من العبارات الرنانة والمصطلحات البراقة.

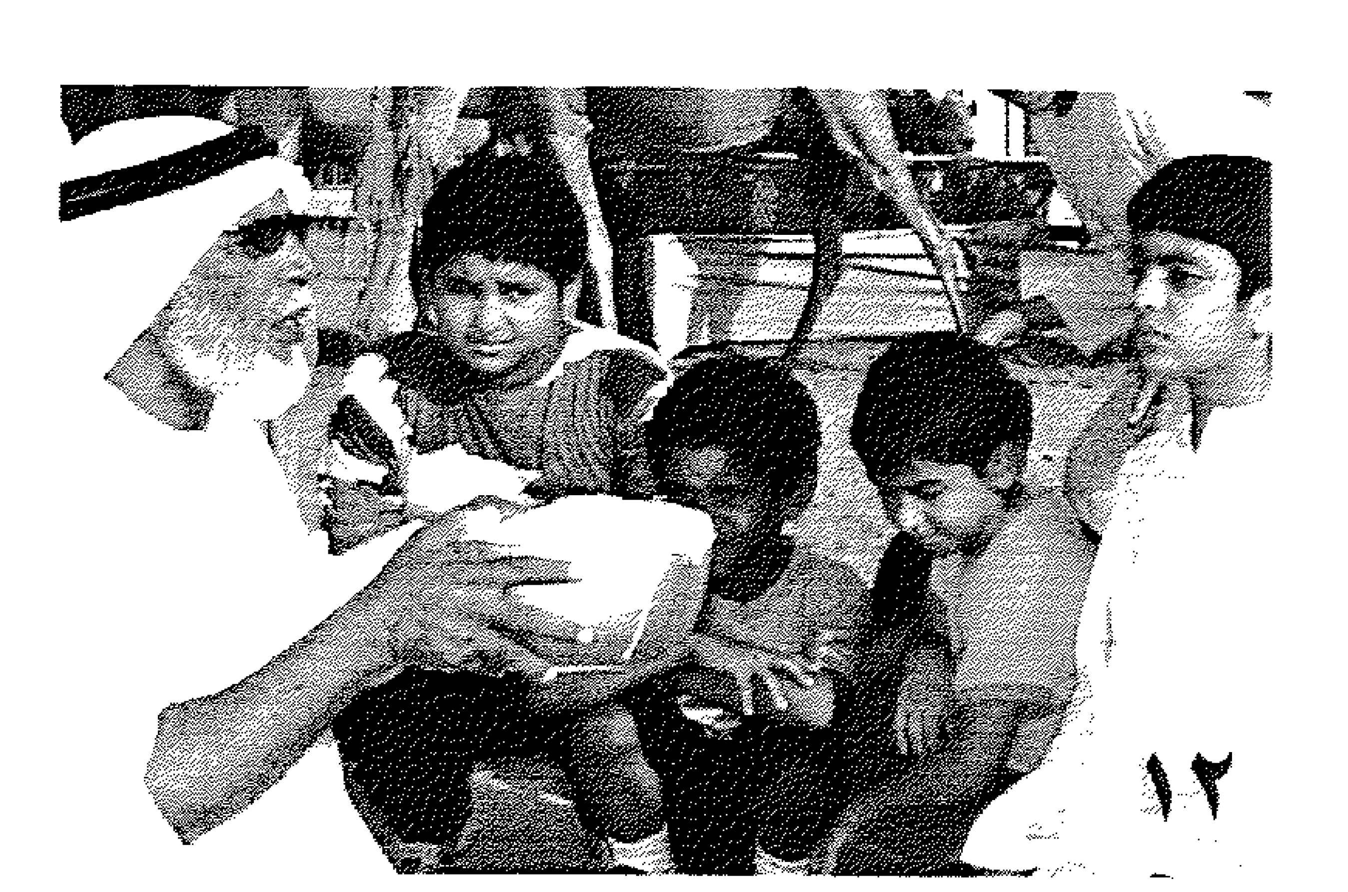
وسيظل الأمر هكذا.. سنة الله في خلقه.. لكن الغلبة لن تكون إلا للرجال الذين يبذلون ويخلصون، ولا تغرينهم المظاهر الخادعة، ولا تبهرنهم الأضواء اللامعة، ولا تصرفنهم الخطوب عن المضي في تحقيق أهدافهم وأداء أماناتهم. سلاحهم في ذلك هو التمسك بتراثهم والحرص على ممارسة عاداتهم والحفاظ على التحلي بتقاليدهم، خاصة وإن هذا التراث يشبه في غناه بهذه العادات غنى البحر، ويعلو بهذه القيم علو السماء، وستظل القدوة الصالحة مع السلوكيات القويمة سبيلين للتنشئة الاجتماعية السليمة لا ينفصلان ولا يخيبان.

وفي هذا الصدد نذكر بالتقدير لسمو الشيخ سلطان بن زايد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس نادي تراث الإمارات (حفظه الله) ما وعاه من أهمية كل ما سبق، فأسس لنشاط في غاية الأهمية يوجه الشباب من خلاله إلى النافع المفيد ليصلح به حاضرهم ويصلح لوطنهم مستقبله، وهو الملتقى الصيفي الذي بدأ قبل اثني عشر عاما ليكون مدرسة عملية تعتمد العمل الجاد الذكي المنظم المدروس منهجاً لنقل التراث والحفاظ عليه، فشكراً لكل مخلص غيور على مصلحة الوطن مهتم بالحفاظ على ذخيرته من الشباب وتوجيهها لصالح هذا الوطن، ولا عزاء للمشككين المرتابين الذين يحاولون تفريغ عقول الشباب من المفاهيم الجادة، وينزعون عنه لباس القيم النبيلة. ■

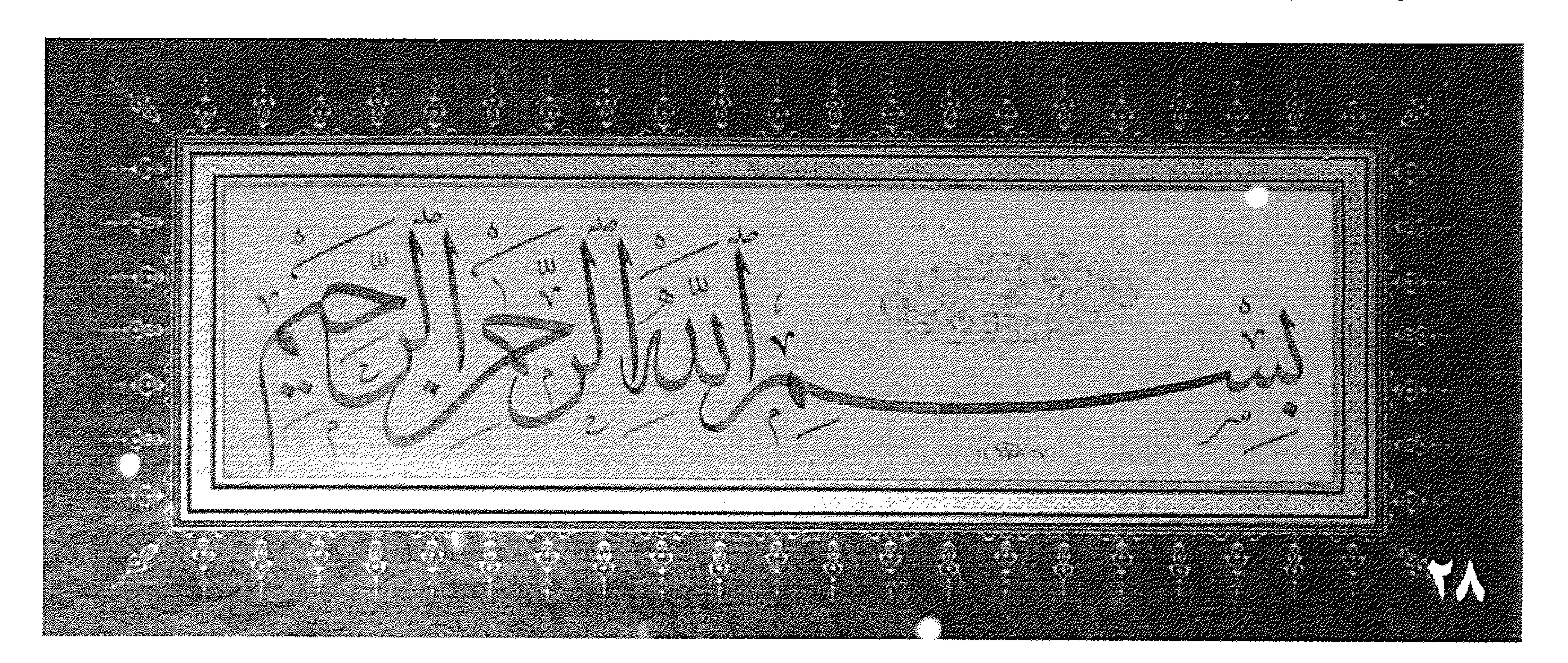


محتويات العدد

الغلاف:



استطلاع



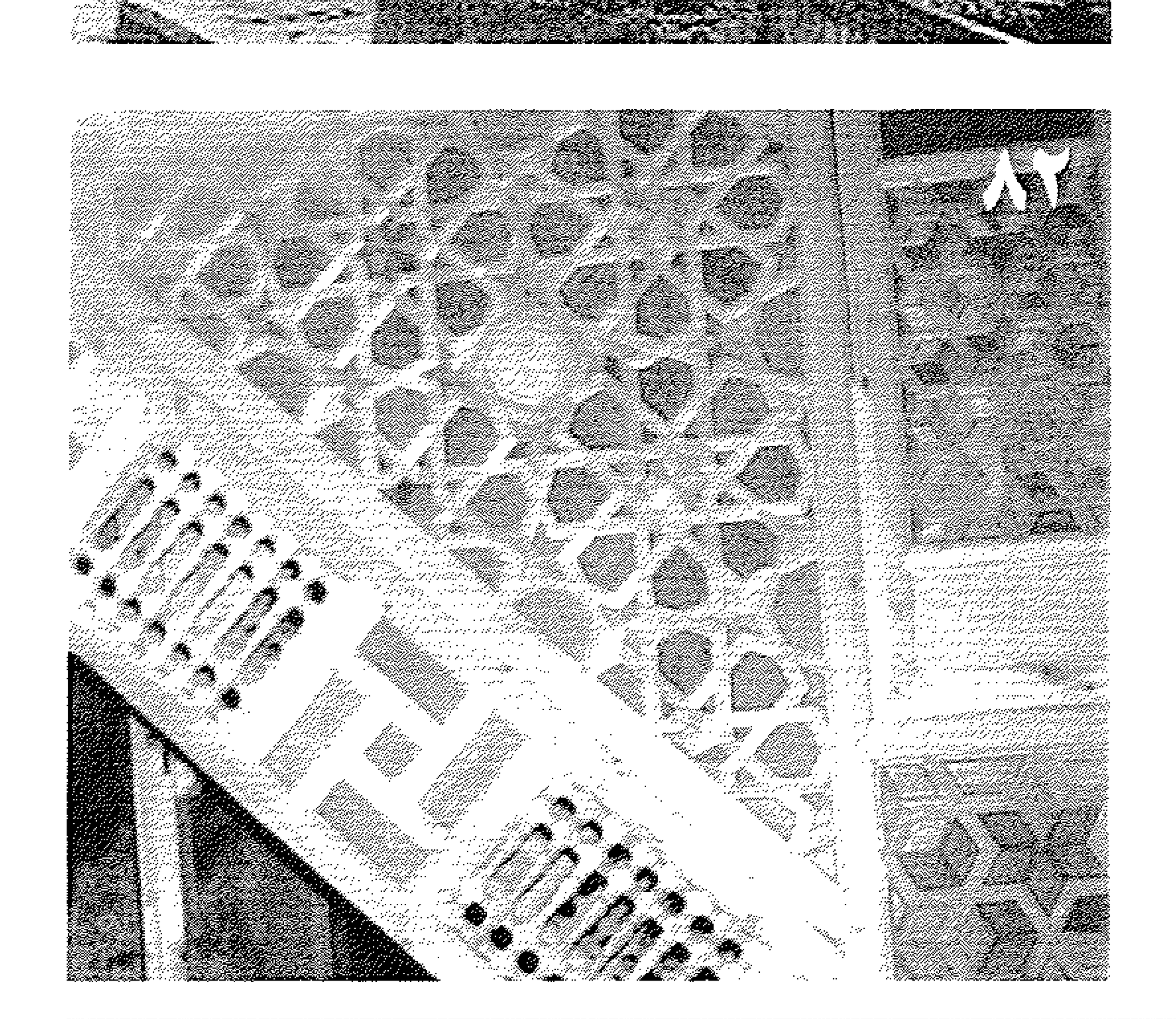
دراسات وبحوث

لغة وأدب

تاريخ وآثار

مقالات

فنون



فيض المشاعر

إشراف: محمد ابراهيم الحديدي

زوايا ثابتة:



مجلة شهرية ثقافية منوعة تصدر عن
نادي تراث الإمارات - العدد (٩٢) - السنة الثامنة
جمادى الآخرة / رجب ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦م

المراسلات:
نادي تراث الإمارات، ص.ب: ٢٧٧٦٥ أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة، هاتف: ٤٤٦٦١١٦
فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)
بريد الكتروني
email: turathmag@yahoo.com

ثمن النسخة
الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات
البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة
مصر: ٥ جنيهات، اليمن: ١٥٠ ريالاً
الأردن: دينار ونصف
الدول العربية دولار أمريكي واحد
أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

مندوبو تراث:
■ القاهرة: عبد العال الباقوري
محمول: ٠٠٢-٠١٠-١٦١٠٢٠٩
■ الأردن: د. ثابت ملكاوي
محمول: ٠٠٩٦٢-٧٩-٥١١٨٨١٢
■ اليمن: محمد السيد
محمول: ٠٠٩٦٧-٧-٣٦٦-٤٦٩٦

الاشتراك السنوي (درهم)

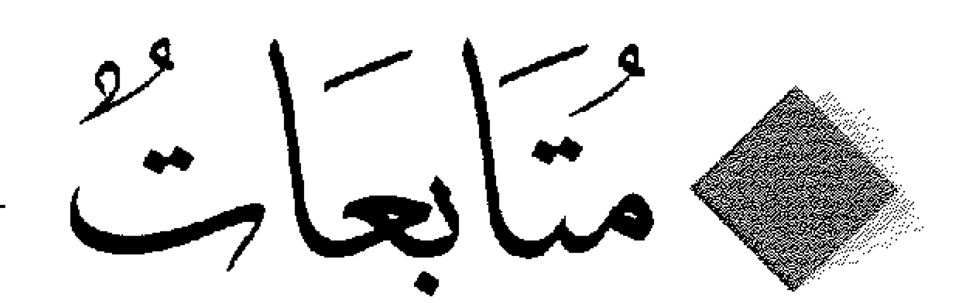
	محلياً	خليجياً	عربياً
أفراد	٨٥	٢٠٧	٢٧٩
مؤسسات	١٥٠	٢٦٧	٣٣٩

التجهيز الطباعي
قسم الإعلام - نادي تراث الإمارات

أهلاً بكم

ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:

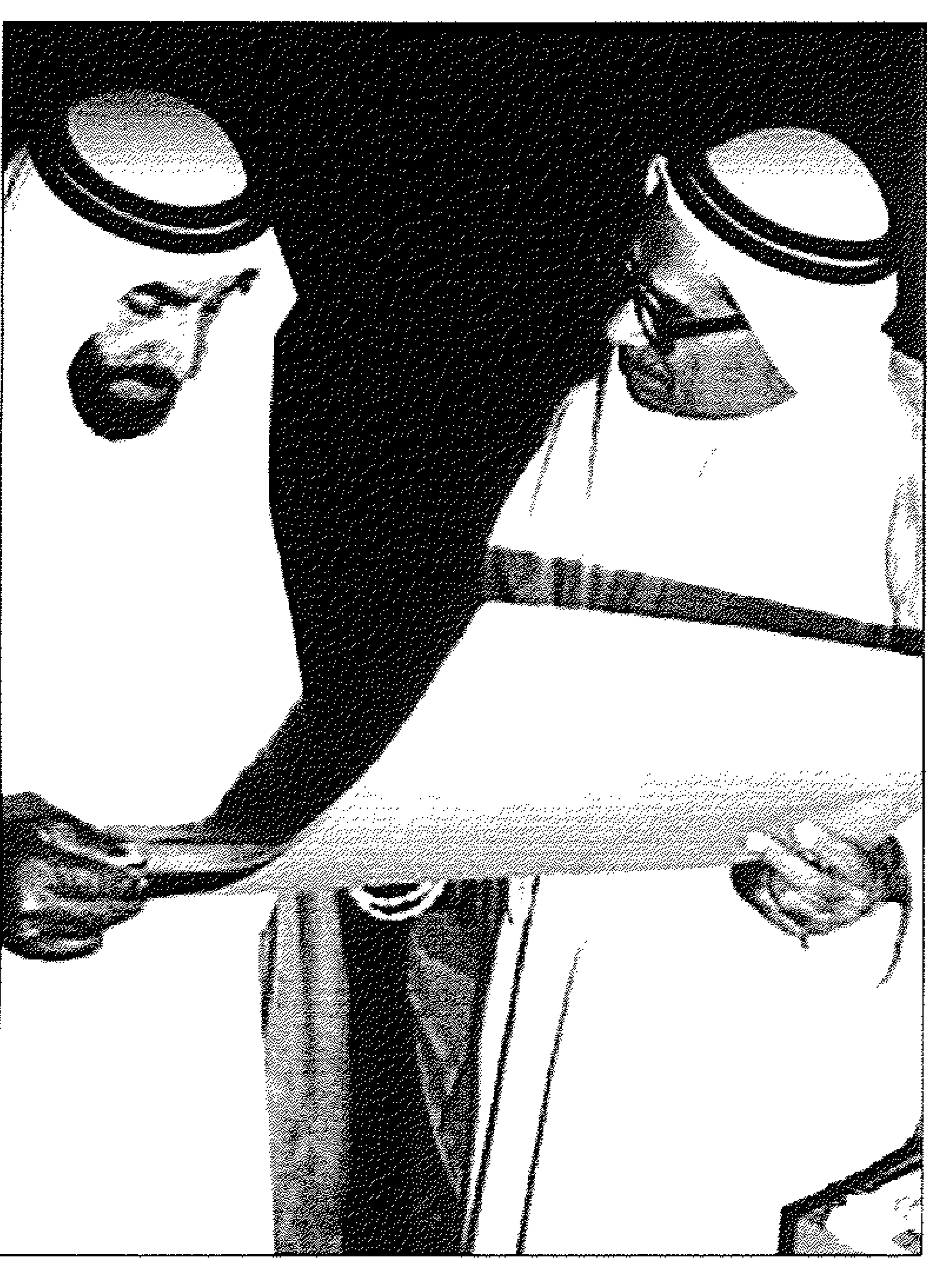
- أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.
- أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.
- زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. ونعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.
- التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.
- المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.
- المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات - التي لم تنشر - إلى أصحابها.
- قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.
- المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.
- عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.
- ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.



الإمارات

برعاية منصور بن زايد

مركز الوثائق والبحوث يُؤبِّن علي التاجر



علي التاجر مع الشيخ زايد

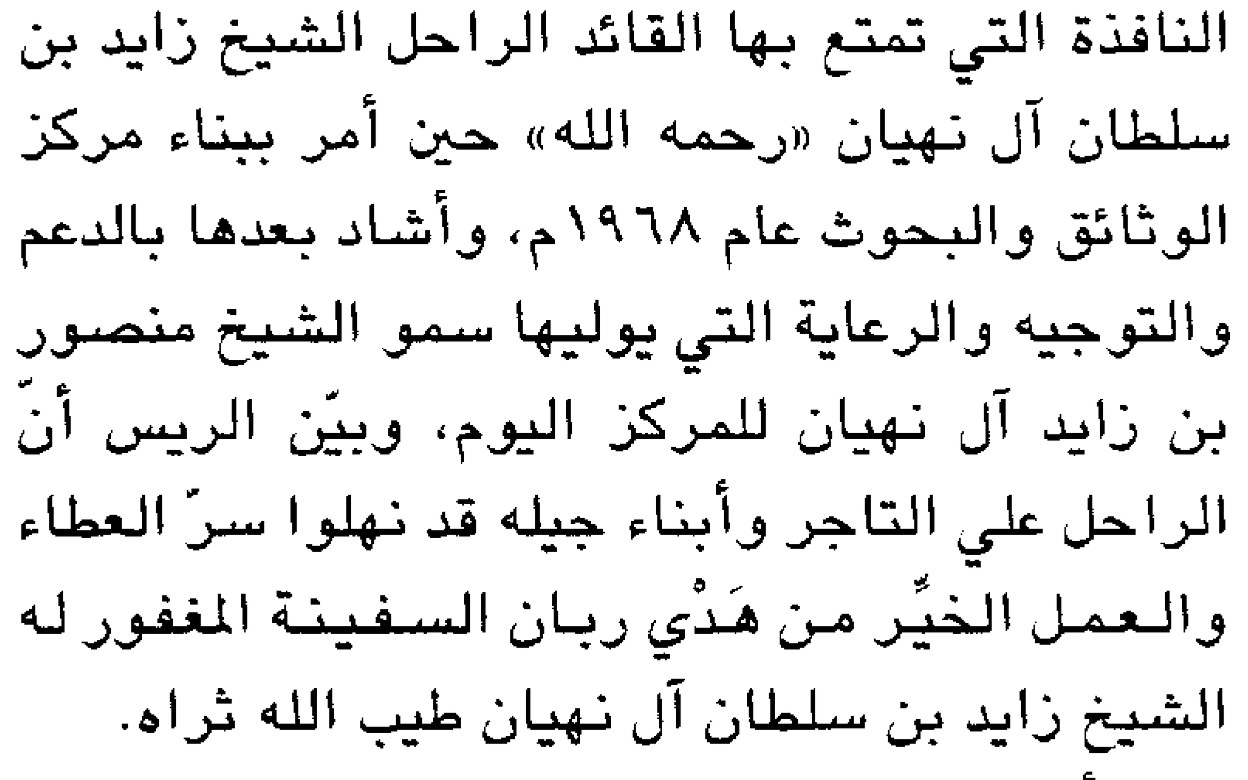


سمو الشيخ منصور بن زايد
ومعالي الشيخ نهيان بن مبارك في حفل التأبين

أقام مركز الوثائق والبحوث في السابع عشر من يونيو الماضي بمقره في أبوظبي حفلاً تأبينياً للراحل علي التاجر «رحمه الله» أحد رجالات الرعيل الأول في المركز عرفاناً وتقديراً من المركز على جهوده المشهودة في أداء رسالته الوطنية.

وأقيم الحفل برعاية وحضور سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان وزير شؤون الرئاسة رئيس مجلس إدارة مركز الوثائق والبحوث، وحضره معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ومعالي الدكتور حنيف حسن وزير التربية والتعليم نائب رئيس مجلس إدارة مركز الوثائق والبحوث، ومعالي مهدي التاجر المستشار بوزارة شؤون الرئاسة، وحشد كبير من آل الفقيد وأصدقائه وكبار الشخصيات والإعلاميين.

وقد بدأ الحفل بكلمة مدير عام مركز الوثائق والبحوث الدكتور عبدالله الريس التي أعاد بها شريط ذكريات المركز إلى الرؤية الثاقبة والبصيرة النافذة التي تمتع بها القائد الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «رحمه الله» حين أمر ببناء مركز الوثائق والبحوث عام ١٩٦٨م، وأشاد بعدها بالدعم والتوجيه والرعاية التي يوليها سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان للمركز اليوم، وبيّن الريس أنّ الراحل علي التاجر وأبناء جيله قد نهلوا سرّ العطاء والعمل الخيِّر من هَدْي ربان السفينة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

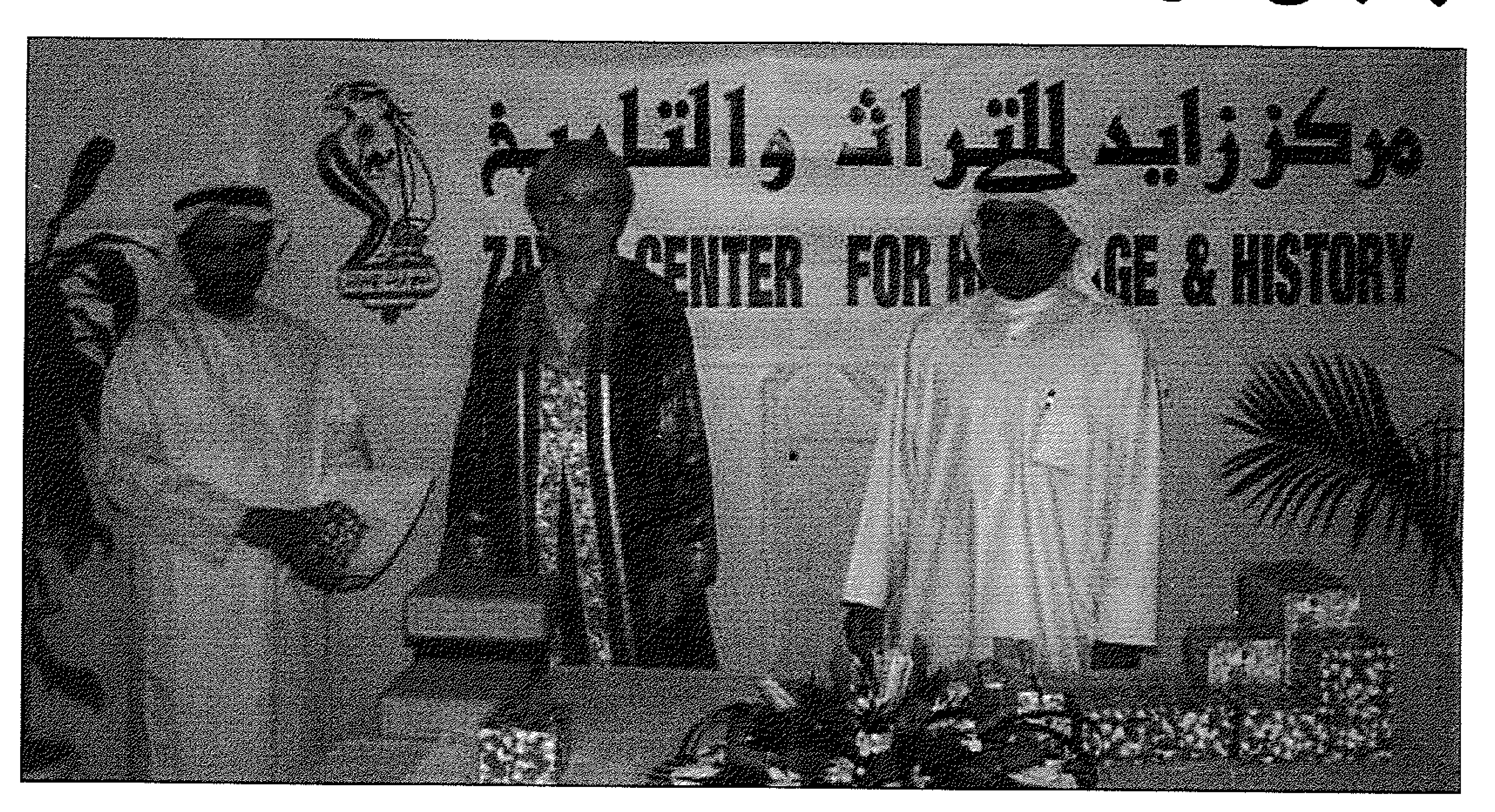


كما أشاد مدير عام مركز الوثائق والبحوث من خلال كلمته بمناقب الفقيد و دوره الكبير الذي قام به كسفير لمركز الوثائق والبحوث إلى مظان الوثائق الأجنبية والعربية ليجلب بذور الأرشيفيات العثمانية والبرتغالية.

ثم ألقى الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار بوزارة شؤون الرئاسة كلمة أشاد فيها منزلة التأبين دينياً وحضارياً، ثم استعرض إنجازات المُؤبن «رحمه الله» مُوضحاً أنّ اهتماماته البحثية كثيرة، ووصف علي التاجر بأنّه الإنسان الذي تميز بخصال رائعة التي من أبرزها التفاني في العمل وعزة النفس والتواضع، والاعتزاز بعروبته وباللغة العربية.■

الإمارات

مركز زايد للتراث والتاريخ يحتفي بنجاح موسمه الثقافي للعام ٢٠٠٥-٢٠٠٦



تكريم الدكتور حمد بن صراي

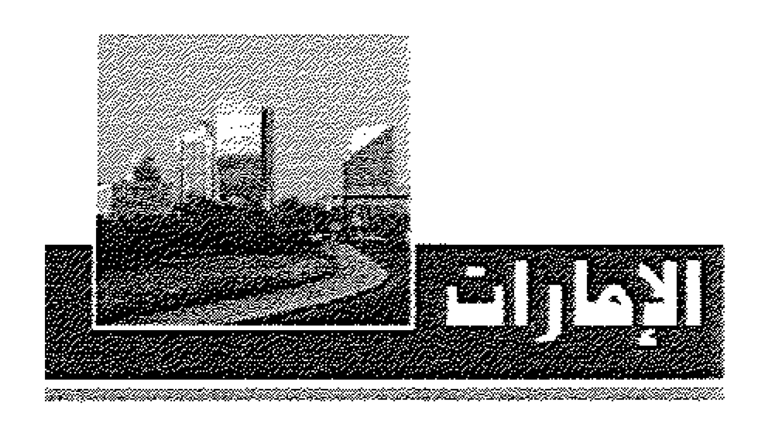
أقام مركز زايد للتراث والتاريخ التابع لنادي تراث الإمارات حفل تكريم للمشاركين في موسمه الثقافي للعام ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، وذلك بمقر المركز بمدينة العين. شهدت الحفل عميدة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات الأستاذة الدكتورة بيثاني أوبرست، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم عايش عميد كلية الاتصال بجامعة الشارقة والأستاذ الدكتور حسن محمد النابودة مدير المركز وعدد من العمداء المشاركين بجامعة الإمارات، وحشد كبير من أعضاء هيئة التدريس الجامعيين وعدد من الباحثين والدارسين ورجال الإعلام والمكرمين.

في بداية الحفل ألقى الدكتور فاروق أسليم كلمة نيابة عن المكرمين أشاد فيها بجهود مركز زايد للتراث والتاريخ في حفظ تراث وتاريخ الدولة، وبالدور الذي لعبه المركز في لم شمل المثقفين وإفساح المجال أمامهم للبحث وإثراء المعلومات، حتى أصبح المركز قلباً ثقافياً نابضاً لمدينة العين ورئة تتنفس منها الثقافة الرفيعة وملتقى لأصحاب الفكر ورواد الثقافة، فيما أكد الأستاذ الدكتور مدير المركز - في كلمة ألقتها نيابة عنه سميرة العامري المنسقة الإعلامية بالمركز - أن احتفاء المركز بنجاح موسمه الثقافي أصبح تقليداً سنوياً للتعبير عن التقدير للثقافة والفكر والبحث العلمي، وإن الموسم الثقافي يعد دعما لأداء المركز لرسالته وإسهاماً في خدمة التراث والتاريخ.

ورفع النابودة أسمى آيات الشكر والتقدير إلى مقام سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس الوزراء رئيس نادي تراث الإمارات حفظه الله على دعمه اللامحدود للمركز وتشجيعه المستمر على القيام بواجبه ضمن الجهود التي يبذلها نادي تراث الإمارات للحفاظ على تراث وتاريخ دولة الإمارات ونشره.■



.. والدكتورة مريم بيشك



هيئة أبوظبي للثقافة والتراث تنظم المعرض الدولي للصيد والفروسية وتعلن إطلاق مهرجان أبوظبي للشعر النبطي (شاعر المليون)



سعادة محمد خلف المزروعي

أعلنت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث عن موعد انطلاق الدورة الثالثة للمعرض الدولي للصيد والفروسية، وذلك خلال الفترة من ١١ ـ ١٥ سبتمبر ٢٠٠٦ بمشيئة الله تعالى.

وفي مؤتمر صحافي نظمته الهيئة، أعلن مديرها العام سعادة محمد خلف المزروعي أن المعرض حقق نجاحا ضخماً ونموا كبيراً من خلال دورتيه السابقتين، وأنه بات مناسبة اجتماعية ثقافية تراثية، وفرصة ملائمة لعقد الصفقات التجارية ولقاء المهتمين بالرياضات التراثية الأصيلة، ومناقشة أساليب الصيد المستدام المختلفة، وتبادل الرؤى والأفكار والمعلومات، وأشار إلى أن اللجنة المنظمة للمعرض قد بادرت إلى وضع استراتيجية مدروسة متوسطة المدى وأخرى طويلة المدى للحيلولة دون حدوث نمو ضخم غير مدروس في فعاليات المعرض وأعداد العارضين، وذلك بعد القيام ببحوث ميدانية أجرتها كبرى شركات الاستشارات والدراسات لتقييم المعرض من كافة الجوانب، ثم قامت اللجنة المنظمة بوضع المقترحات اللازمة لتطوير المعرض في مجالين رئيسيين هما تحسين صورة المعرض في أذهان الزوار والعارضين والتطوير الاستراتيجي الذي يركز على التنويع والتطوير في الدورات القادمة.

ومن جهة أخرى أعلنت الهيئة عن إطلاق مهرجان أبوظبي للشعر النبطي (شاعر المليون) كسابقة لدولة الإمارات العربية المتحدة في إحياء جذور الشعر النبطي في المنطقة وعكس توجهاتها في المزاوجة بين الحداثة والمعاصرة، والتمسك بالعادات والتقاليد.

وفي تصريح له بمناسبة الإعلان عن انطلاق المشروع، قال معالي الشيخ سلطان بن طحنون آل نهيان رئيس هيئة أبوظبي للثقافة والتراث إن المشروع يأتي في إطار سعي الهيئة لإحداث التوازن بين التطور المتسارع الذي تشهده دولة الإمارات وبين الحفاظ على تراثها الثقافي وصونه من الضياع، وإن الشعر النبطي هو أصالة هذه الأرض الطيبة، وهو ظاهرة تراثية ثقافية غنية من ظواهر الأدب الشعبي التي تخص دولة الإمارات، والمجتمع الخليجي، وفي هذا الإطار ومن خلال استراتيجية الحفاظ على تراث إمارة أبوظبي الثقافي وإدارته يأتي إطلاق الهيئة لمشروع (شاعر المليون).

وفي مؤتمر صحافي حضره سعادة محمد خلف المزروعي مدير عام هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، والإعلامية المعروفة السيدة نشوة الرويني الرئيسة التنفيذية لشركة (بيراميديا) قال المزروعي: إن مشروع شاعر المليون يأتي كمشروع تراثي ثقافي رائد على مستوى المنطقة والعالم ويهدف إلى تفعيل الثقافة التراثية والأدبية في أبوظبي ، كما يهدف إلى توسيع قاعدة الشعر النبطي والوصول بالتجارب الشعرية إلى حالات الإبداع والتألق، بينما أعربت الرويني عن فخر شركتها بالتعاون مع هيئة أبوظبي للثقافة والتراث لتنفيذ هذا المشروع الذي سيكون قائد تغيير الثقافة والتراث في أبوظبي ودولة الإمارات ومعها دول الخليج والعالم العربي بأكمله.■

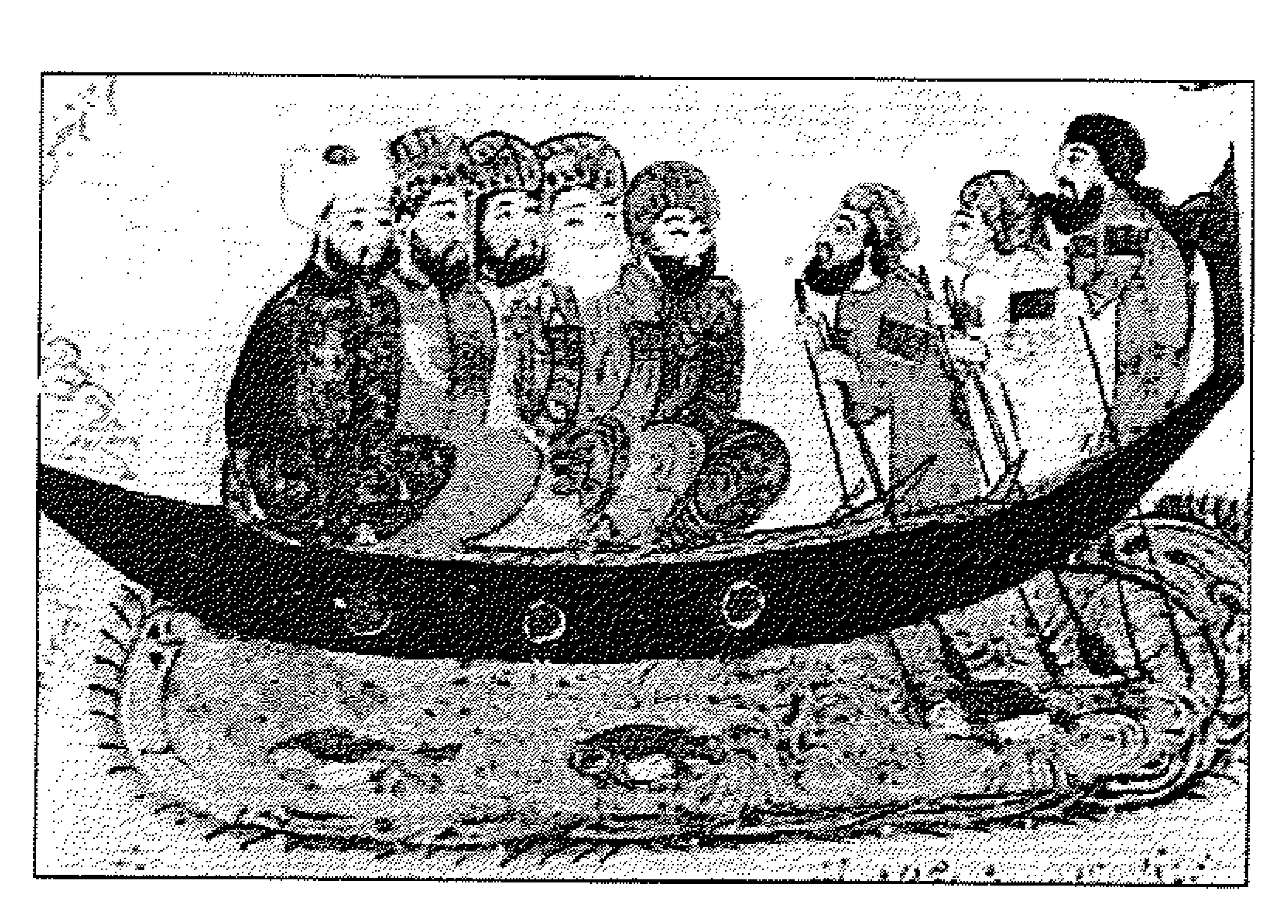
مهرجان الواسطي للثقافة والفنون في واسط

العراق

نظمت جمعية الواسطي للفنون التشكيلية بالتعاون مع دائرة العلاقات الثقافية في وزارة الثقافة العراقية منتصف الشهر الماضي مهرجان الواسطي للثقافة والفنون في محافظة واسط الكوت مركز المحافظة حالياً. وكُرس المهرجان للفن التشكيلي وشارك فيه نحو مئة مثقف وفنان من مختلف المحافظات العراقية.

وتخلل المهرجان عرض أعمال مسرحية وموسيقية إلى جانب تنظيم معرض الفن التشكيلي الذي كان محور المهرجان». ويقام مهرجان الواسطي تخليدا للفنان يحيى بن محمود الواسطي المولود سنة ١١٤ للهجرة، في منطقة كسكر المحاذية لمدينة واسط التاريخية (٥١ كم جنوب شرق الكوت).

والمعروف عن الفنان يحيى الواسطي صاحب المنمنمات، إنّه كان ينقل الأحداث السياسية والاجتماعية إلى صورة يجسدها في لوحة، وهو الذي قام برسم المقامات الأدبية، ومنها مقامات الحريري المعروفة، التي جسدها بلوحاته التي تعتبر من القصص الجميلة والممتعة في الأدب العربي القديم. ■





سورية

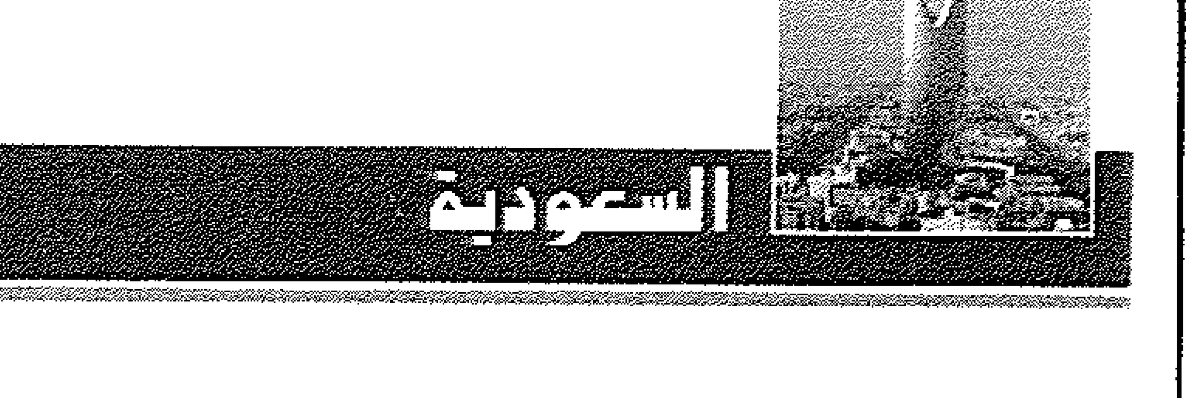
مكتشفات أثرية في بادية تدمر

عثرت بعثة تنقيب عن الآثار سورية سويسرية مشتركة على مكتشفات أثرية في بادية تدمر بوسط سوريا يعود تاريخها إلى العصر الأموي. وقد عثرت البعثة على بيوت سكنية كانت تستخدم في الفترة المعاصرة لبناء قصر «الحير الشرقي» وبداخلها العديد من الغرف ذات أساسات حجرية تعلوها مداميك من اللبن والطين وتضم حمامات ومطابخ ومواقد نيران لكل منزل.

كما اكتشفت البعثة آباراً محفورة كانت تستخدم للحصول على المياه أو لتصريف مياه الغسيل والاستعمالات المنزلية إضافة إلى منشأة طاحونة للحبوب تعمل على قوة تيار المياه التي تمرّ في قناة كانت تنقل المياه إلى القصر والبستان المجاور له.

كذلك فإنّ العمل يجرى الآن لإجراء مسح كهرومغناطيسى لتحديد ورسم خريطة أثرية لموقع قصر الحير بهدف رسم مخططات خاصة بالمبانى المطمورة المحيطة به.

وقد قامت البعثة أيضاً بدراسة الفخاريات والمشغولات الزجاجية والمعدنية وعظام الإنسان والبقايا العضوية التي عثر عليها في الموقع بهدف إعداد كتاب يتضمن نتائج عمليات التنقيب التي أجرتها البعثة خلال موسم العام الحالي. ■



السعودية

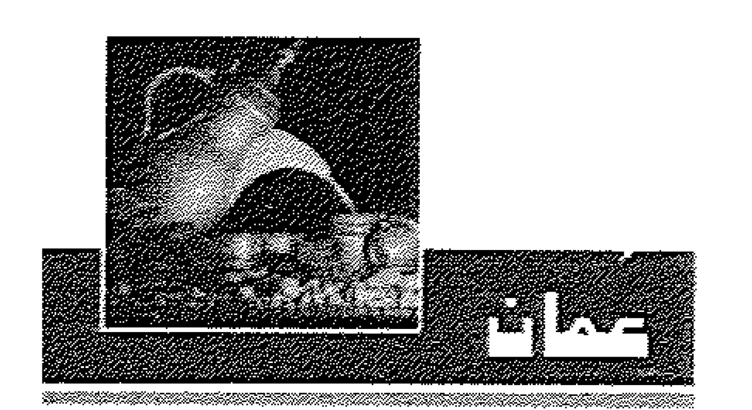
تنظيم مهرجان سوق عكاظ بالطائف

تعتزم لجنة التنشيط السياحي في مدينة الطائف إقامة قرية تراثية على مساحة ١٦٠٠ متر مربع في إطار التحضير لمهرجان سوق عكاظ الذي يبدأ فعالياته أول شهر أغسطس القادم.

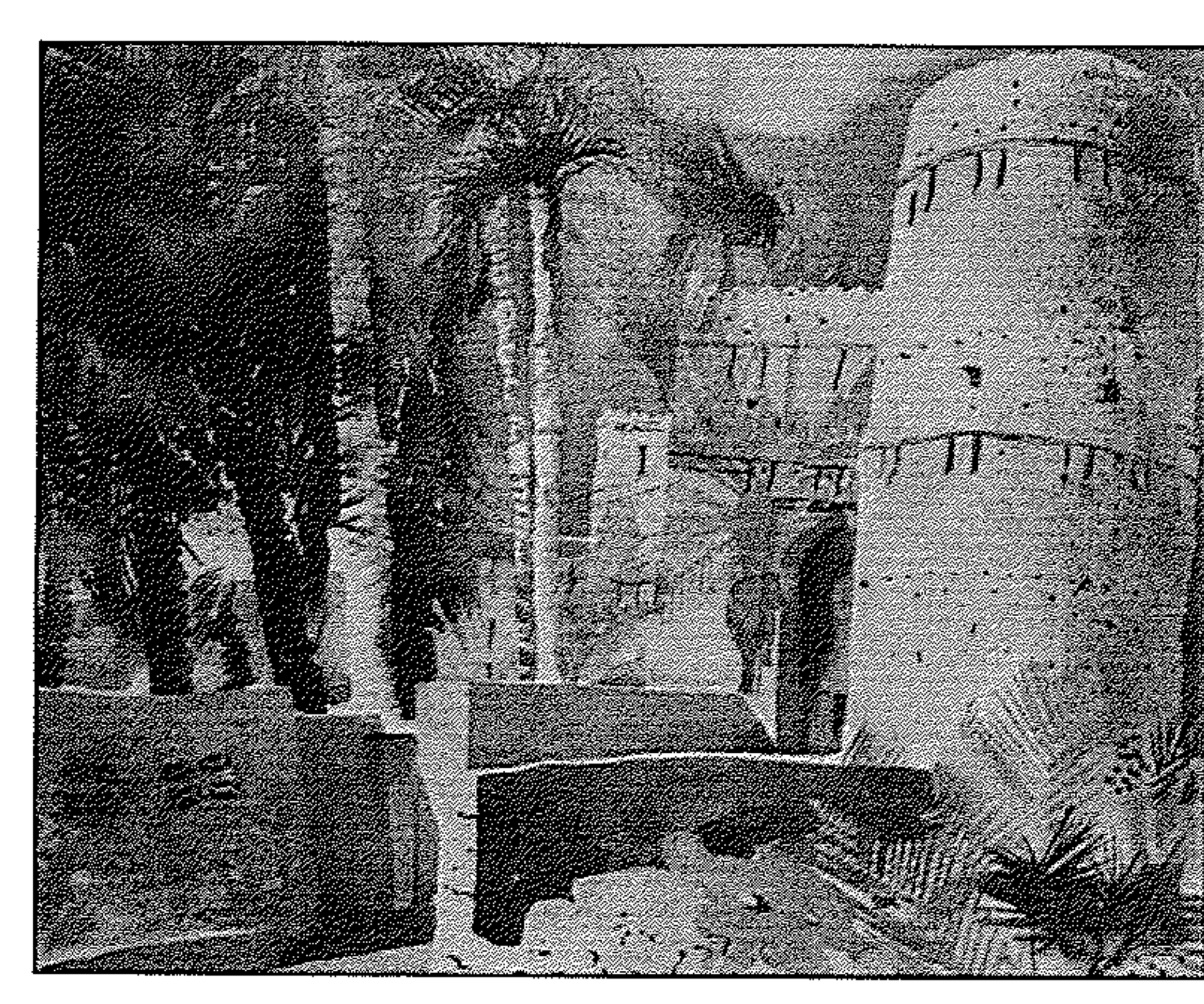
وستقيم القرية التراثية فعاليات يومية طوال فترة المهرجان تتضمن عرض التراث الشعبي وإقامة احتفالات شعبية وإنشاء محال لتداول المقتنيات التراثية، كما ستقدم القرية وجبات شعبية للزوار والسياح.

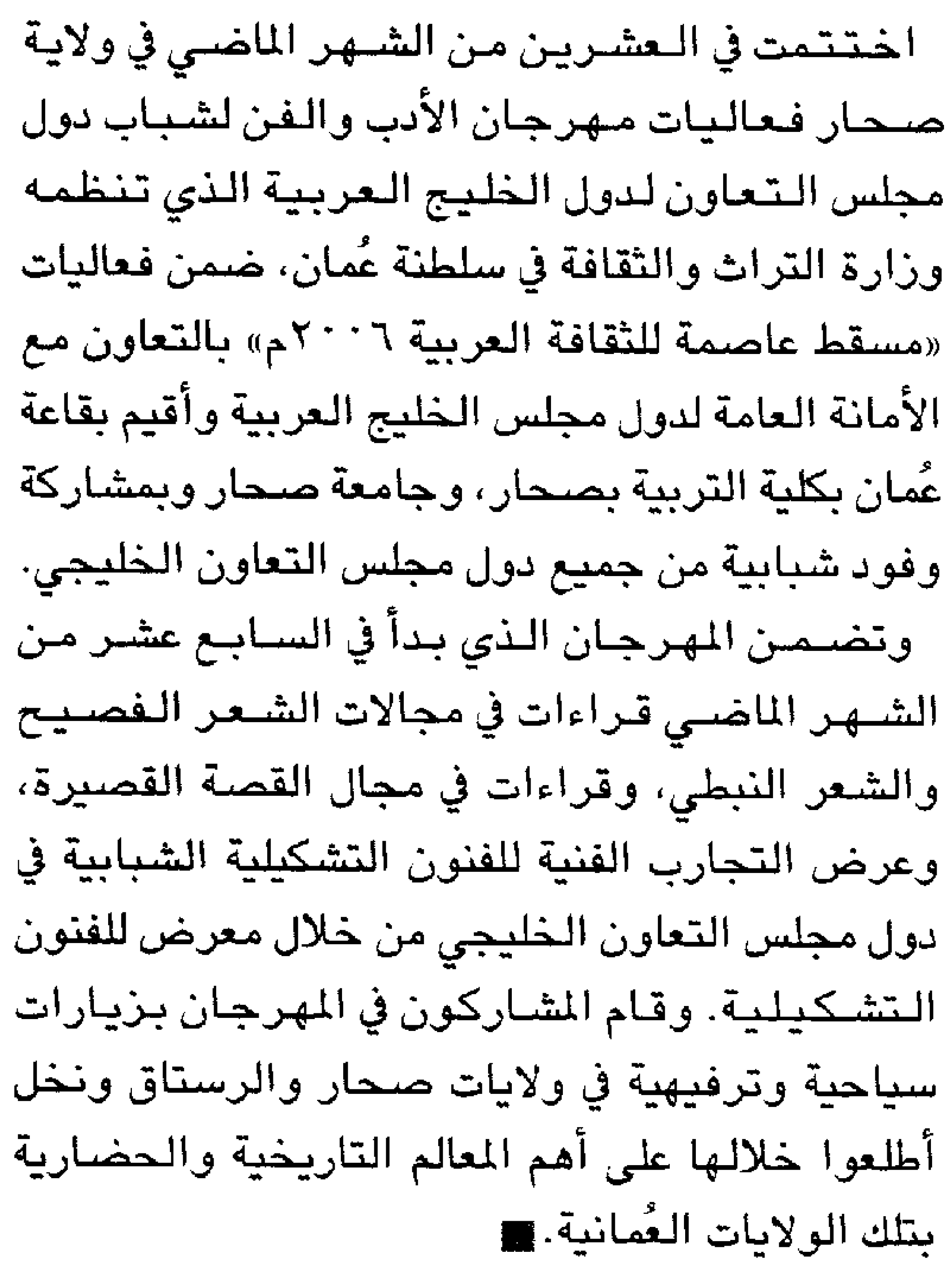
وكانت لجنة مكونة من عدد من الدوائر الحكومية إلى جانب لجنة التنشيط السياحي بالطائف قد قررت إقامة أنشطة تتعلق بالموروث الشعبي في منطقة قريبة من أرض سوق عكاظ التاريخية.

يذكر أنّ قضية إحياء سوق عكاظ التاريخي قد بدأت منذ التسعينات الهجرية حين تبنت الرئاسة العامة لرعاية الشباب إقامة سوق عكاظ مجدداً. ■



نظمته وزارة التراث والثقافة في عُمان
اختتام فعاليات مهرجان الأدب والفن في صحار





اختتمت في العشرين من الشهر الماضي في ولاية صحار فعاليات مهرجان الأدب والفن لشباب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي تنظمه وزارة التراث والثقافة في سلطنة عُمان، ضمن فعاليات «مسقط عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٦م» بالتعاون مع الأمانة العامة لدول مجلس الخليج العربية وأقيم بقاعة عُمان بكلية التربية بصحار، وجامعة صحار وبمشاركة وفود شبابية من جميع دول مجلس التعاون الخليجي.

وتضمن المهرجان الذي بدأ في السابع عشر من الشهر الماضي قراءات في مجالات الشعر الفصيح والشعر النبطي، وقراءات في مجال القصة القصيرة، وعرض التجارب الفنية للفنون التشكيلية الشبابية في دول مجلس التعاون الخليجي من خلال معرض للفنون التشكيلية. وقام المشاركون في المهرجان بزيارات سياحية وترفيهية في ولايات صحار والرستاق ونخل أطلعوا خلالها على أهم المعالم التاريخية والحضارية بتلك الولايات العُمانية.■

بلغاريا

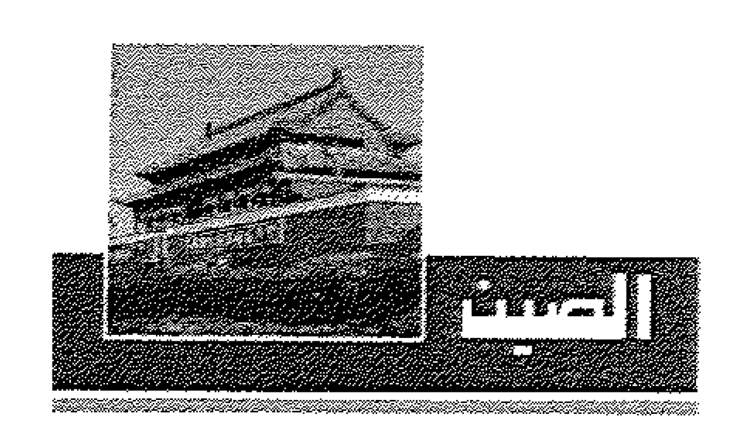
افتتاح معرض للبرديات الفرعونية في صوفيا

نظمت السفارة المصرية في العاصمة البلغارية صوفيا معرضاً لأوراق البردي الفرعونية المصرية تحت شعار (السحر والجاذبية الأبدية للبرديات المصرية) في إطار التبادل الثقافي لإقامة أسابيع ثقافية بالتعاون بين وزارتي الثقافة في مصر وبلغاريا.

وأشارت وزيرة الثقافة البلغارية في كلمة الافتتاح إلى أن المعرض يأتي في إطار تنامي وتطوير التعاون في العلاقات الثقافية بين جمهورية مصر العربية وجمهورية بلغاريا وخطوة عملية جديدة على طريق تعرف المواطن البلغاري عن قرب بفن وأصالة الحضارة المصرية القديمة.

وقد ضم المعرض خمسين لوحة من البرديات التي تعكس تطور مراحل التاريخ الفرعوني في مصر من أساطير وحقائق وتقاليد الحقبة الفرعونية منذ أربعة آلاف عاماً قبل الميلاد واستمر أسبوعاً.

وخصص للمعرض إحدى صالات المكتبة الوطنية البلغارية في صوفيا بالإضافة لتخصيص جزء من الصالة لعدد من الكتب المتخصصة في الحضارة الفرعونية.■



اكتشاف مقبرة صينية من العصر البرونزي

اكتشف علماء الآثار مقبرة قديمة في جبل قريب من مزارع سوهار لتربية الأسماك في مدينة جياوخه في مقاطعة جيلين بشمال شرق الصين، يعود تاريخها إلى العصر البرونزي أي قبل ٢٥٠٠-٣٠٠٠ سنة.

وذكرت وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا) أن هذه المقبرة التي يبلغ عرضها ٥٠٠ متر وطولها ألف متر تم اكتشافها بعد هطول الأمطار الغزيرة المتواصلة في أوائل يونيو / حزيران الماضي حيث عثر علماء الآثار على ستة توابيت حجرية وسكاكين وفؤوس حجرية وأدوات نحاسية وفخاريات.

كما وجد علماء الآثار حفرة تابوت حجرية كبيرة وصل طولها إلى مترين وعرضها ١.٥ متر وارتفاعها متر واحد، وبني سقف الحفرة بثلاثة أطنان من أحجار الجرانيت، ويعتقد الخبراء أن صاحبها كان زعيماً لقبيلة ما، وأوضح علماء الآثار أن هذه المقبرة من ضمن أطلال ثقافة شي توان شان.■





يحقق المعادلة الصعبة!

■ تحقيق: حنفي جايل

■ تصوير: نجيب محمد، نزار بلوط

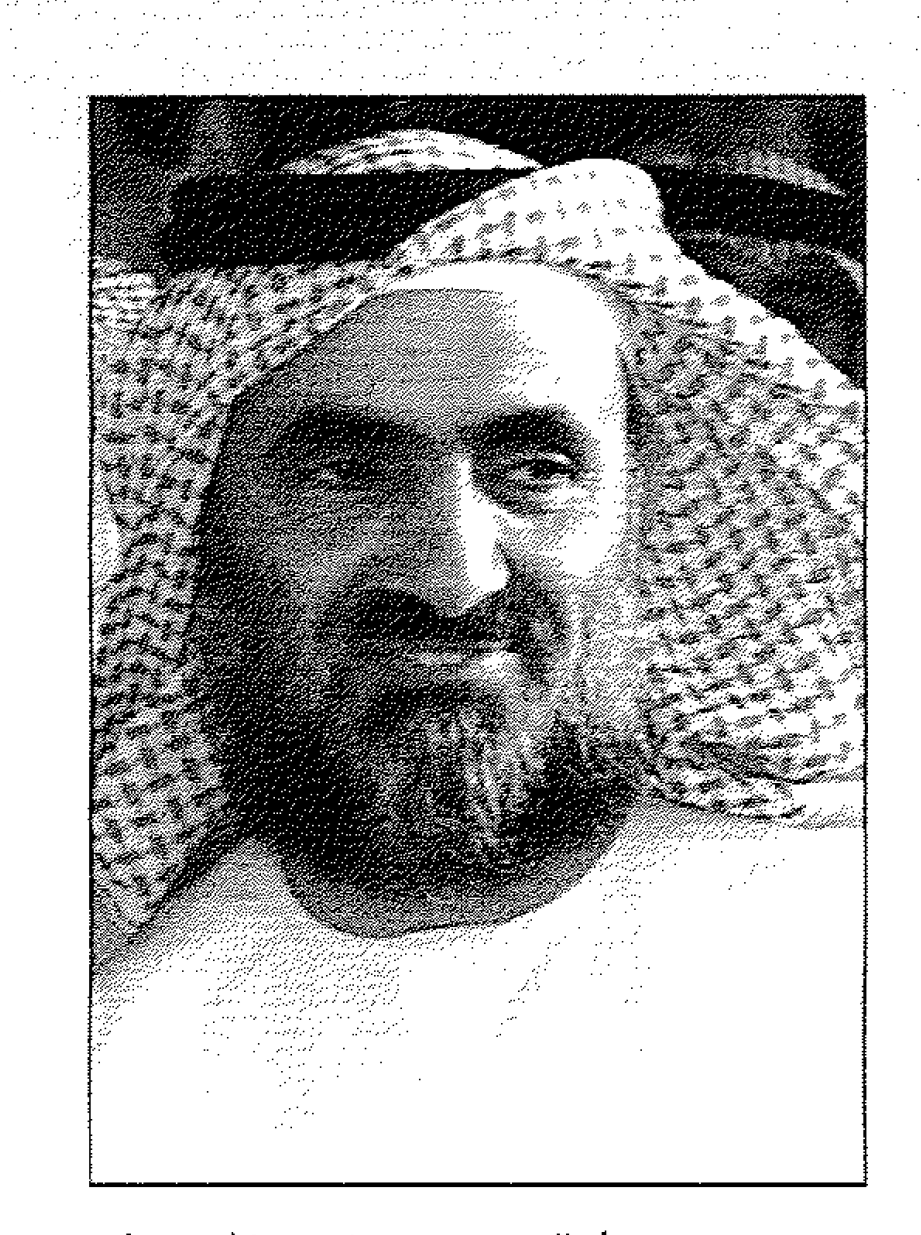
صيف أبوظبي.. وما أدراك ما صيف أبوظبي.. شمس تدنو حتى تكاد أن تلامس الرؤوس.. درجات حرارة تقفز فوق الأربعين.. رطوبة شديدة تغلف الأرض بغلاف من ثاني أكسيد الكربون الذي يجعل التنفس صعباً مع تناقص معدلات الأكسجين. العام الدراسي انتهى.. أغلقت المدارس أبوابها.. سافر من سافر هرباً من الحر والرطوبة.. وبقي من بقي يتلمسون طرقاً للتخفيف من وطأة هذا الصيف القائظ، ويفكرون في استثمار هذا الفراغ الممل الذي يعانون منه خاصة الشباب وطلاب المدارس.



كان سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس نادي تراث الإمارات حفظه الله- أول من فكر في هؤلاء وفي كيفية مساعدتهم على قضاء أوقات فراغهم بطريقة تعود عليهم وعلى وطنهم بالنفع والفائدة، فأمر المسؤولين في النادي بتنظيم ملتقي صيفي بجزيرة السمالية لهذا الغرض، وعند رغبتهم قضاء أوقات الفراغ، فليس أحب لدى الشباب من ممارسة هوايات وألعاب يحبونها، وأما النفع والفائدة العائدان على الشباب، ففي توفير الأماكن المناسبة والآمنة لمارسة هذه الهوايات وتلك الأنشطة، وتحت إشراف أناس متخصصين. أما الفائدة التي تعود على وطنهم فهي أنك تحفظ لهذا الوطن مستقبله، فالشباب كما يقال نصف الحاضر وكل المستقبل، وهذه فائدة ما بعدها فائدة، ولكن ماذا سيكون الحال لو أضيفت إليها فوائد أخرى؟ ألن يكون ذلك أجدى وأجمل؟

ربما كان هذا السؤال هو ما طرحه سمو رئيس نادي تراث الإمارات على المسؤولين عن النادي حينما أمر بتنظيم الملتقى الصيفي الأول للشباب في جزيرة السمالية قبل اثنتي عشرة سنة من الآن، أي في العام ١٩٩٤، وهو العام الذي شهد تنظيم نادي تراث الإمارات لأول ملتقى صيفي في جزيرة السمالية، إحدى الجزر التابعة لنادي تراث الإمارات والتي تبعد عن العاصمة أبوظبي حوالى ١٢ كيلومترا من جهة الشمال الشرقي، ليحقق المعادلة الصعبة التي طرفاها إتاحة الفرصة للشباب ممن لم تسافر عائلاتهم إلى الخارج لقضاء إجازة صيف ممتعة، ومفيدة لهم ولوطنهم في آن واحد. ولكن كيف؟ كان جواب سموه: بتوفير عناية خاصة لهؤلاء الشباب، ومعرفة هواياتهم وميولهم، ثم توجيههم إلى تراث بلدهم لزيادة معرفتهم به، وترسيخ ما فيه من قيم ومعان وعادات وتقاليد، وممارسة كل ذلك، مع توفير كل ما يلزم لذلك ومن خلال ممارستهم للفعاليات والأنشطة التراثية جنباً إلى جنب فنحفظ لهم صحتهم النفسية والتربوية والجسدية، ونحفظ لوطنهم مستقبله وتراثه الغالي.





سعادة خميس راشد الرميثي

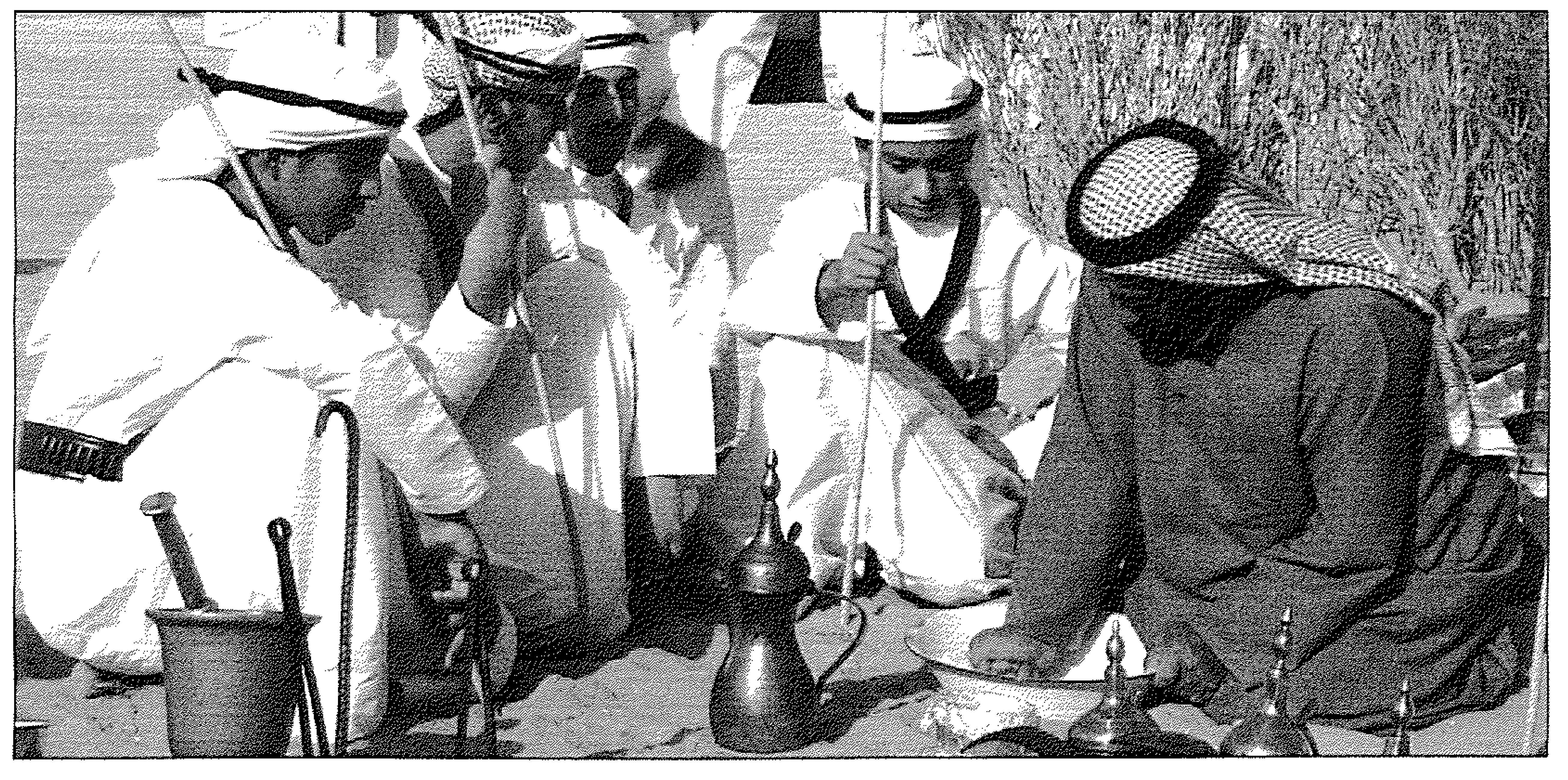


سعادة عتيق بن قنون الفلاسي

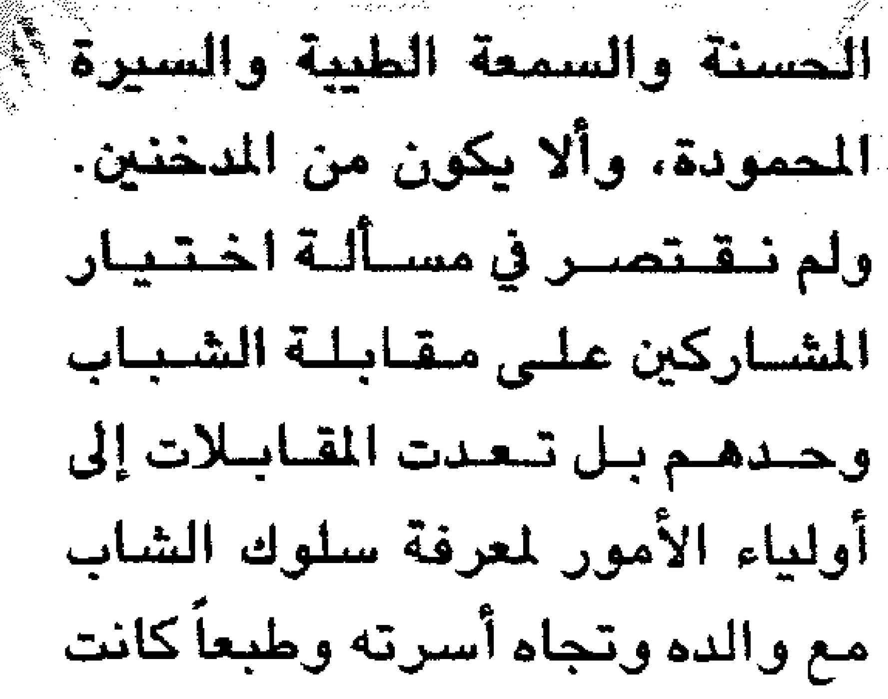
الآن ونادي تراث الإمارات ينظم الملتقى الصيفي الثاني عشر، لم يعد من يبقى من الشباب في أبوظبي يحمل هم قضاء الصيف في البلاد، بل أصبح الكثيرون منهم يخططون لقضائه في نادي تراث الإمارات وتحت مظلة الملتقى الصيفي. كما تطور وضع الملتقى كثيراً كما وكيفاً بعد أن زادت مرافقه، وتعددت أنشطته، وكان لابد من التعرف على هذا التطور وإلى أين وصل الأمر، وكيف ساهم الملتقى في تحقيق فكر وتوجيهات سمو رئيس النادي، وماذا أثمر وماذا أنجز وماذا ينتظر منه.

أسئلة كثيرة دارت في الذهن عن الملتقى، وكل منها يغري ببداية قوية لهذا الملف، لكن تغلبت نقطة واحدة وهي كيف كانت البداية؟ ولحسن الحظ، فقد ساعدنا على ذلك وجود المسؤول الأول الذي بدأ الملتقى في وجوده، وهو سعادة خميس راشد الرميثي، مدير نادي تراث الإمارات وقتها، ورئيس اللجنة العليا المنظمة للملتقى هذا الصيف، والذي لايزال يحتفظ بالكثير من التفاصيل عن النادي وعن الملتقى في تلك الفترة.

«أبو أحمد» بدأ الحديث معرباً عن سعادته بالتطور الذي طرأ على النادي وعلى الملتقى وقال: ما أجمل أن يعمل المرء ما يفيد وطنه، وما أسعده عندما يرى نتائج عمل ساهم في بداياته، وأتذكر أن الأخ سعيد عبد الله المهيري مدير إدارة السباقات والأنشطة البحرية في نادي تراث الإمارات حالياً كان قد بدأ بتجميع بعض الشباب المواطنين في العام ١٩٩٣ وكانوا في حدود السبعين شاباً وبدأ معهم ممارسة بعض النشاط، وفي العام التالي قمنا



إعداد القهوة وتجهيزها للضيوف




سعيد المناعي

بالإعلان في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى عن تنظيم الملتقى الصيفي في جزيرة السمالية، ووجدنا تجاوبا وإقبالاً كبيرين من الطلاب وأولياء أمورهم ومن المشرفين، نظراً لأنها كانت المرة الأولى في أبوظبي التي يعلن فيها عن تنظيم مثل هذا الملتقى، كما لقي الإعلان عن الملتقى اهتماماً كبيراً من وسائل الإعلام للغرض نفسه، وبدأنا نتلقى طلبات الاشتراك وفرزها، ثم عمل مقابلات شخصية للمتقدمين واختيار المناسب منهم.

■ وما هي المعايير التي وضعت وقتها لاختيار المشاركين في الملتقى وكيف تم اختيار وتوفير المشرفين عليهم؟

■■ المعايير التي وضعناها لاختيار المشاركين كانت تركز بالدرجة الأولى على تمتع الشاب بالأخلاق الحسنة والسمعة الطيبة والسيرة المحمودة، وألا يكون من المدخنين. ولم نقتصر في مسألة اختيار المشاركين على مقابلة الشباب وحدهم بل تعدت المقابلات إلى أولياء الأمور لمعرفة سلوك الشاب مع والده وتجاه أسرته وطبعاً كانت هذه توجيهات سمو رئيس النادي أطال الله في عمره، وقد بلغ عدد المقبولين وقتها ١٣٠ طالباً، في حين أن الفرع الواحد من فروع النادي حالياً يمكن أن يطلب مشاركة ٢٠٠ إلى ٢٥٠ شاباً. ولك أن تقارن بين هذه الأرقام. أما عن المشرفين فقد تم اختيارهم في بادئ الأمر عن طريق الانتداب من جهات أعمالهم، إضافة للبعض من ذوي المهن الحرة كالنواخذا والصيادين، وقد أبدوا حماساً شديداً للتجمع في الملتقى وتدريب الشباب على الأنشطة التراثية.

شهادة حسن سير وسلوك

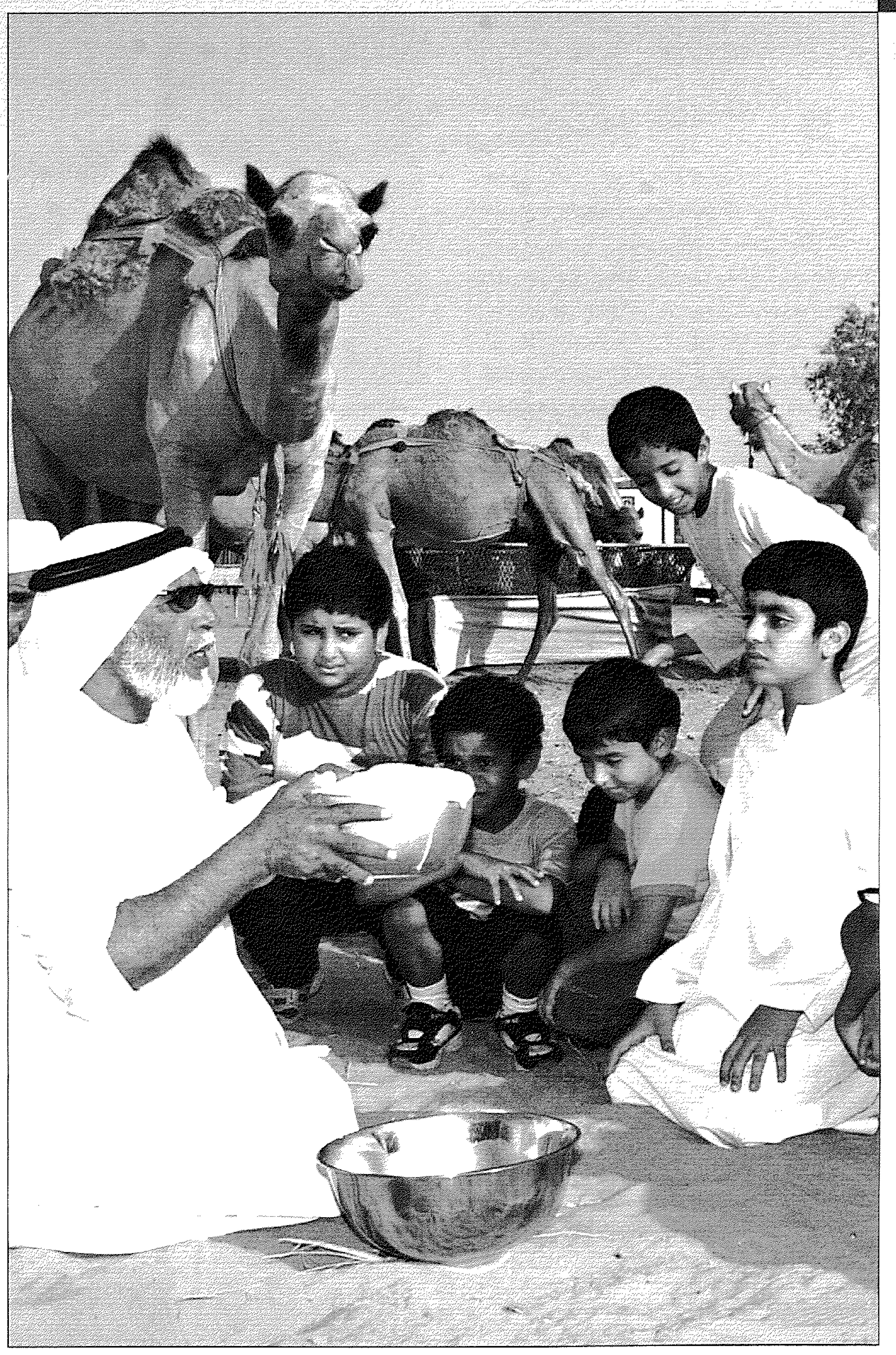
ويمضي أبو أحمد قائلاً: كان اختيار الطالب للمشاركة في الملتقى مصدر فخر واعتزاز له لإحساسه بأن هذا الاختيار هو تزكية لأخلاقه وشهادة لحسن سيره وسلوكه ومكافأة على هذه الأخلاق الطيبة، وهكذا فإن الملتقى كان يحقق أحد أهدافه قبل أن تبدأ فعالياته، كما ارتبط الصيف لدى أهل أبوظبي بالسمالية وبالملتقى. أما المشرفون والمدربون فلم يكونوا أقل سعادة من الطلاب بل كان

خميس الرميثي

سمو رئيس النادي صاحب فكرة الملتقى والسابقون يستحقون الاحترام والتقدير

سعيد المناعي

قفزة عددية ونوعية تحلق بالملتقى نحو آفاق جديدة من العمل التراثي والتربوي



حليب النوق.. رواء وشفاء



هذا الاختيار أيضاً مبعث حماس لهم، وتسألني عن الدافع فأقول بكل اطمئنان إنه راعي الملتقى، سمو الشيخ سلطان بن زايد حفظه الله الذي حرص على التواجد مع الشباب ومدربيهم باستمرار والاهتمام بكل التفاصيل، ومتابعة طعامهم وشرابهم وتفقد أحوالهم، وكل من يتم اختياره منهم يشعر إنه مختار من قبل سمو رئيس النادي شخصياً، وبالفعل تكاد تكون هذه هي الحقيقة.

■ هل تتذكرون كيف كانت السمالية وقتها؟

■■ نعم أتذكر جيداً كيف كانت جزيرة السمالية ولا وجه للمقارنة بين السمالية الحالية والسمالية وقتها، فالأرض سبخة وملحية، ولا يوجد مبانٍ أو صالات أو طرق معبدة ، كل الموجود كان عبارة عن بيتين تراثيين (عريشين) أحدهما كان يستخدم كقاعة طعام، والآخر كمكان للمحاضرات والاجتماعات وتسيير الأمور الإدارية، ووضع بكل منهما مكيف هواء من تلك التي تعمل بالماء. ومن جانب آخر لم تكن هناك باصات بحرية مجهزة ومكيفة كتلك الموجودة حالياً.

السابقون يستحقون الاحترام

ويختتم أبو أحمد كلامه بالتأكيد على شكر كل من أشرف أو ساهم في كل جهد بذل أو يبذل في العناية بالشباب والإشادة بالسابقين ممن عملوا في الملتقى سواء من داخل النادي أو من خارجه، ويقول هؤلاء يستحقون الاحترام والتقدير من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ومن الإنصاف أن ننسب لكل ذي فضل فضله، ونحن أو غيرنا لا نفعل سوى الاجتهاد في تحقيق الأهداف المرجوة، ولكن لكل منا طريقته واجتهاده.

قفزة عددية ونوعية

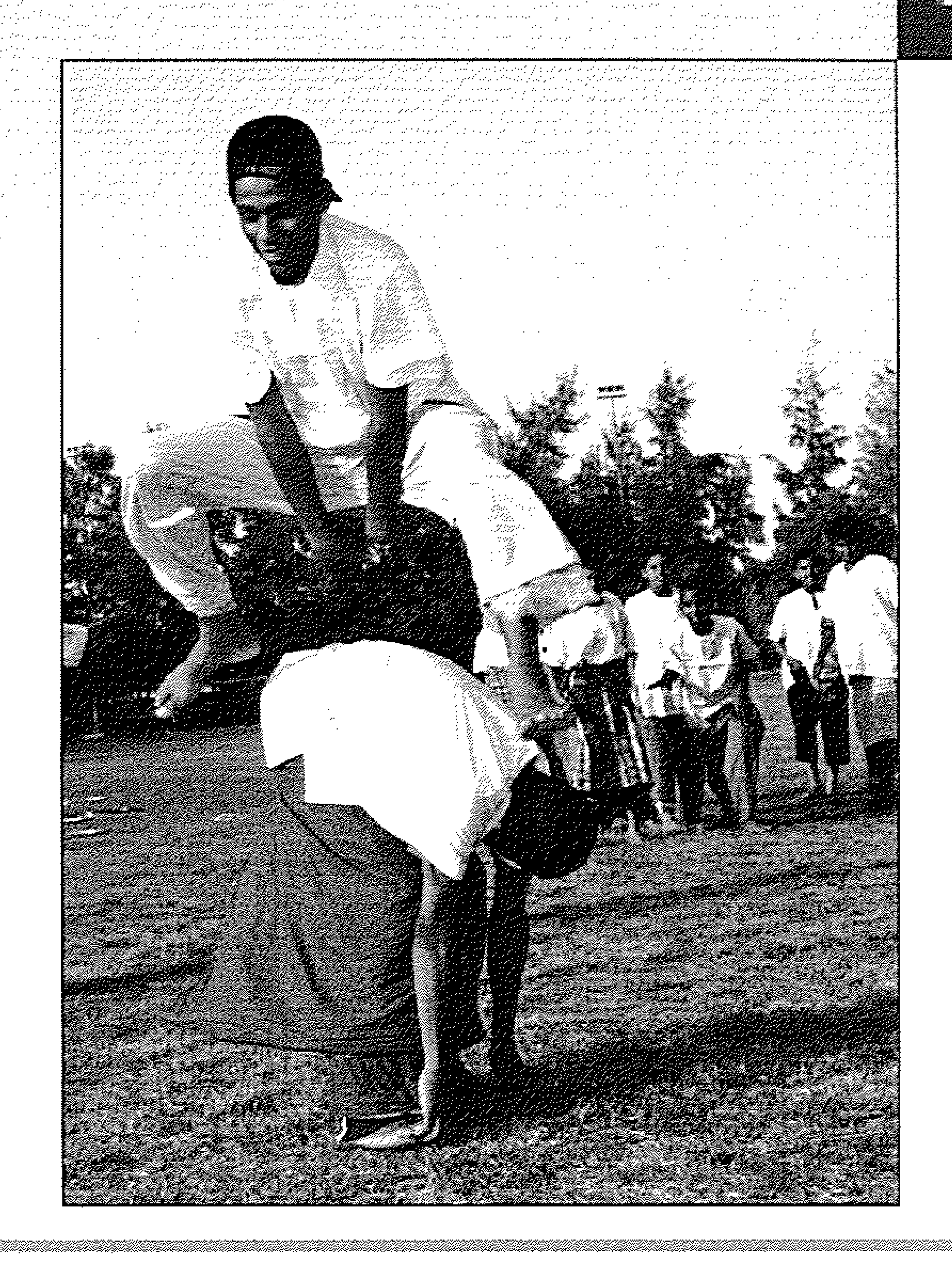
وقد شهد العام ١٩٩٧ إعادة هيكلة نادي تراث الإمارات وتوسعة نشاطاته وأنشئت إدارات متخصصة في السباقات والأنشطة والإعلام والبحوث والبيئة وغيرها، وآلت مسؤولية تنظيم وإعداد الملتقيات الشبابية إلى إدارة الأنشطة والفروع التي ما فتئت تقوم بدور كبير ومميز في هذا المجال، وتضيف إلى الملتقى الصيفي الجديد والكثير من الأنشطة في كل عام، بعد أن أوكل إليها العمل على تحقيق واحد من أهم أهداف نادي تراث الإمارات، وهو المحافظة على تراث الدولة وحمايته ونقله وتعليمه للجيل الجديد والحرص على إبراز الهوية الوطنية من خلال جملة من الأنشطة والفعاليات والبرامج التراثية، وقد أدت الجهود المستمرة والمتواصلة لإدارة الأنشطة والفروع بنادي تراث الإمارات إلى قفزة عددية ونوعية حلقت بالملتقى إلى آفاق جديدة من العمل التربوي والرياضي والاجتماعي مع عدم إغفال الهدف الرئيس في حفظ ونقل التراث إلى النشء، والحفاظ على الجانب الترويحي والترفيهي في أنشطة وفعاليات الملتقى، وهي المعادلة الصعبة التي أشرنا إليها في مقدمة هذا التحقيق.

فلسفة العمل الجماعي

الإدارة التي يتبعها حتى الآن سبعة من الفروع منها فرع نسائي أعطت الملتقى الصيفي اهتماماً خاصاً بعد النجاحات المتتالية التي تحققت عبر السنوات الماضية، فحددت أهدافه وغاياته واستحدثت أنشطة جديدة، وجدولت برامج هذه الأنشطة وهذا العام (٢٠٠٦)

مزايا

في سبيل سعيه لتوفير أقصى خدمة للمشاركين في الملتقى، يقدم النادي عدداً من المزايا مثل توفير حافلات مكيفة لنقل المشاركين من مقار إقامتهم إلى أماكن الأنشطة، والعودة في وجود مشرف مع كل حافلة، كما يتم توفير الزي الرياضي المناسب لكل نشاط والأدوات والأجهزة اللازمة لممارسة هذا النشاط، ويقدم الإعاشة للفرق المشاركة، وتوزع في نهاية الملتقى جوائز عينية وتقدم مكافآت مالية للمتميزين وتمنح شهادات تقدير للمشاركين.



الألعاب الشعبية

وكل عام يشهد الملتقى الجديد والجديد، وقد حرصنا على أن نعرف المزيد عن الملتقى، وأن نقدمه كنموذج للعمل الناجح الذي يعتمد على رؤية واضحة في التخطيط الدقيق لأنشطته وعلى فلسفة بسيطة في تنفيذ هذه الأنشطة وهي أنجح فلسفة ونعني بها فلسفة العمل الجماعي.

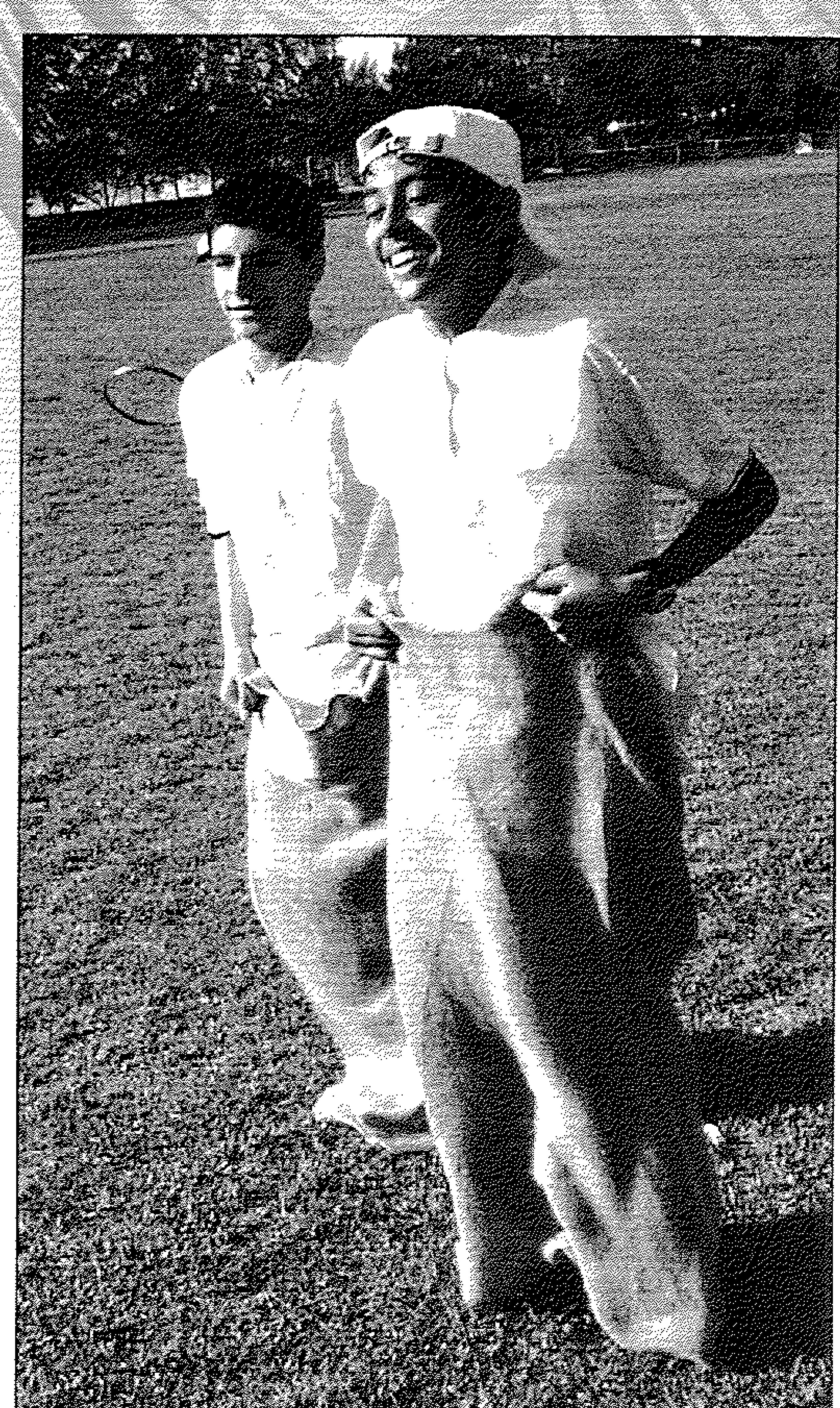
لذلك، فقد التقينا السيد سعيد علي المناعي المشرف العام على الأنشطة في نادي تراث الإمارات، والذي بدأ الحديث بالإشادة بسمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس نادي تراث الإمارات حفظه الله الذي يقف وراء كل إنجازات النادي ويخص الشباب بعنايته ورعايته، والذي لا يترك مناسبة إلا ويؤكد فيها على ضرورة إيلاء الشباب كل الدعم والاهتمام، والعمل على تعريفهم بتراث آبائهم وأجدادهم الذي حفظ لهذا البلد هويته وحافظ على عاداته وتقاليده أمام العاديات من موجات الحداثة والعولمة التي لانرفضها كلها ولكن نرفض منها ما لايناسب هذه العادات وما يتعارض مع التقاليد العريقة الراسخة التي تحض على الخير والتعاون والتسامح والعيش في سلام.

غايات ومفاهيم

ثم ينتقل المناعي إلى بيان الغايات المبتغاة من وراء هذا النشاط في نادي تراث الإمارات بشكل عام، وفي الملتقى الصيفي بشكل خاص، فيقول: إن من أهم هذه الغايات غرس وتعميق القيم والعادات والتقاليد الأصيلة لدى النشء والشباب باعتبارهم أهم رصيد للتنمية في الوطن، ثم العمل على ربط المشاركين في الملتقى وفي غيره من الأنشطة التي ينظمها النادي بتراث الآباء والأجداد من خلال البرامج التراثية المصممة بعناية لخدمة وتحقيق هذه الغاية، وكذلك العمل على إحياء التراث الشعبي في أوساط الشباب، واكتشاف الموهوبين منهم، وشغل أوقات فراغهم بالنافع والمفيد، وتنمية القدرات الإبداعية لدى المشاركين مع توفير مناخ ملائم وبيئة خلاقة للقاء والعمل والتنافس الشريف وتهذيب السلوكيات والممارسات الأخلاقية والاجتماعية والصحية لديهم، مع عدم إغفال مفاهيم مثل البيئة والأرض والموارد الطبيعية.

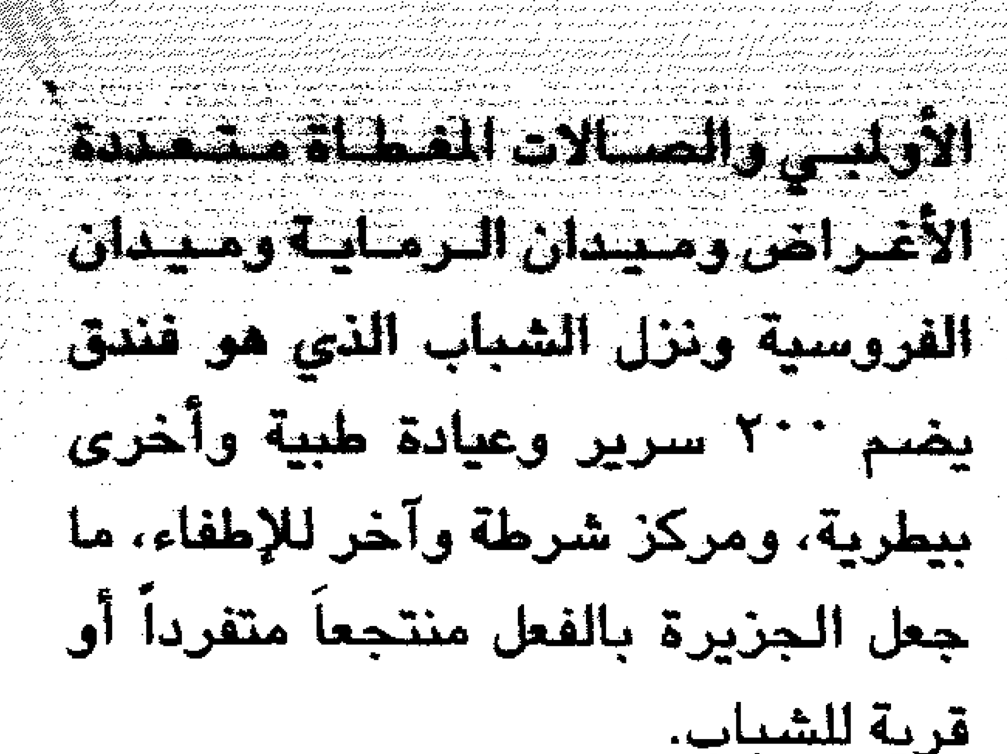
السمالية حاضنة للتراث

وعن كيفية تحقيق هذه الغايات يقول المشرف العام



على الأنشطة إنه يتم وضع برامج مدروسة ومكثفة لممارسة هذه الأنشطة على فترتين صباحية ومسائية على مدى أسبوعين هما الفترة التي يستغرقها تنفيذ الملتقى الصيفي، وينوه بأن هذه البرامج تنفذ في جميع الفروع في وقت واحد، كما تنفذ في ميادين الأنشطة الموجودة بجزيرة السمالية، وهنا تساءلنا عن سر ارتباط الملتقى الصيفي بجزيرة السمالية على الرغم من وجود أماكن أخرى لتنفيذ فعالياته، فقال المناعي، ربما كان السبب في ذلك طبعاً هو أن السمالية هي التي احتضنت فعاليات الملتقى في بداياته، ثم استمر الوضع على ذلك حتى الآن، وربما للتطور الكبير الذي شهدته الجزيرة في المباني وميادين الأنشطة والمرافق بفضل الله ثم بفضل رئيس النادي حفظه الله، ما جعلها تحتضن أكبر نسبة من الأنشطة والفعاليات، ولكن الحقيقة إن نادي تراث الإمارات يتميز بوجود امكانيات كبيرة، ويشتمل على مواقع كثيرة تجعل منه مكاناً جاذباً للأنشطة الخارجية التي تمارس في الهواء الطلق، لكن جزيرة السمالية تبقى على الرغم من ذلك مقصد الشباب ومتجهه الأثير لما توفره لهم من بيئة حاضنة للتراث وناقلة له نظراً لما فيها من منشآت وتجهيزات فريدة مثل ميادين الأنشطة والمسبح





الأولمبي والصالات المغطاة متعددة الأغراض وميدان الرماية وميدان الفروسية ونزل الشباب الذي هو فندق يضم ٢٠٠ سرير وعيادة طبية وأخرى بيطرية، ومركز شرطة وآخر للإطفاء، ما جعل الجزيرة بالفعل منتجعاً متفرداً أو قرية للشباب.

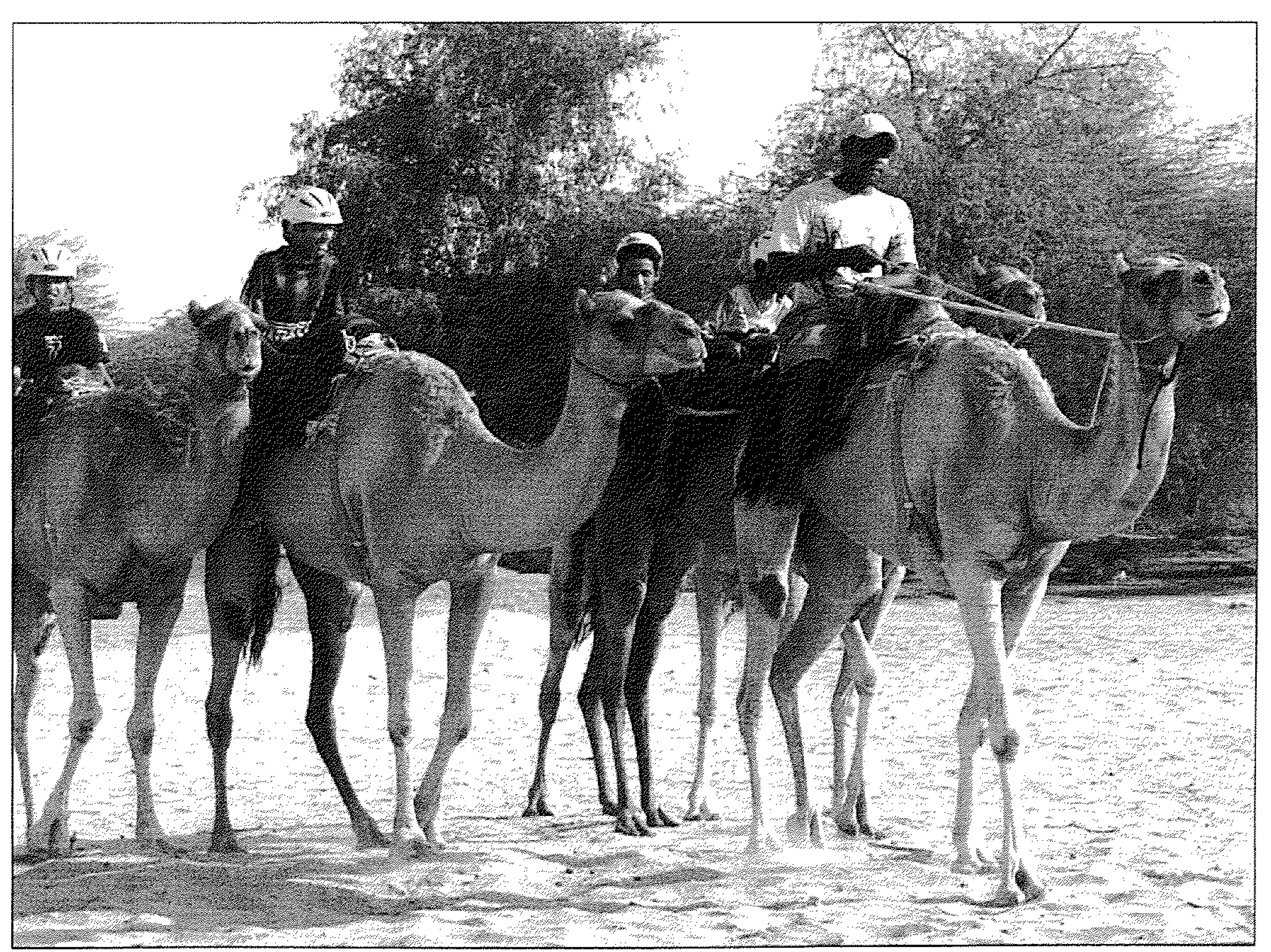
ويضيف المناعي: ولك أن تتخيل القوى البشرية التي تقف وراء هذه المنشآت وتعمل على خدمة رواد الجزيرة عامة ورواد الملتقى خاصة، فإلى جانب الطاقم الخاص بإدارة وتسيير العمل في الجزيرة، هناك طاقم آخر من المدربين المتخصصين والمشرفين التربويين وكلهم تم اختيارهم بعناية ويعملون على تزويد المشاركين بالمعرفة، وإكسابهم المهارات، وتوجيه السلوكيات وتعديلها، بطريقة إيجابية تضمن بناء شخصية متوازنة حريصة على تطوير ذاتها.

تطور دائم ومستمر

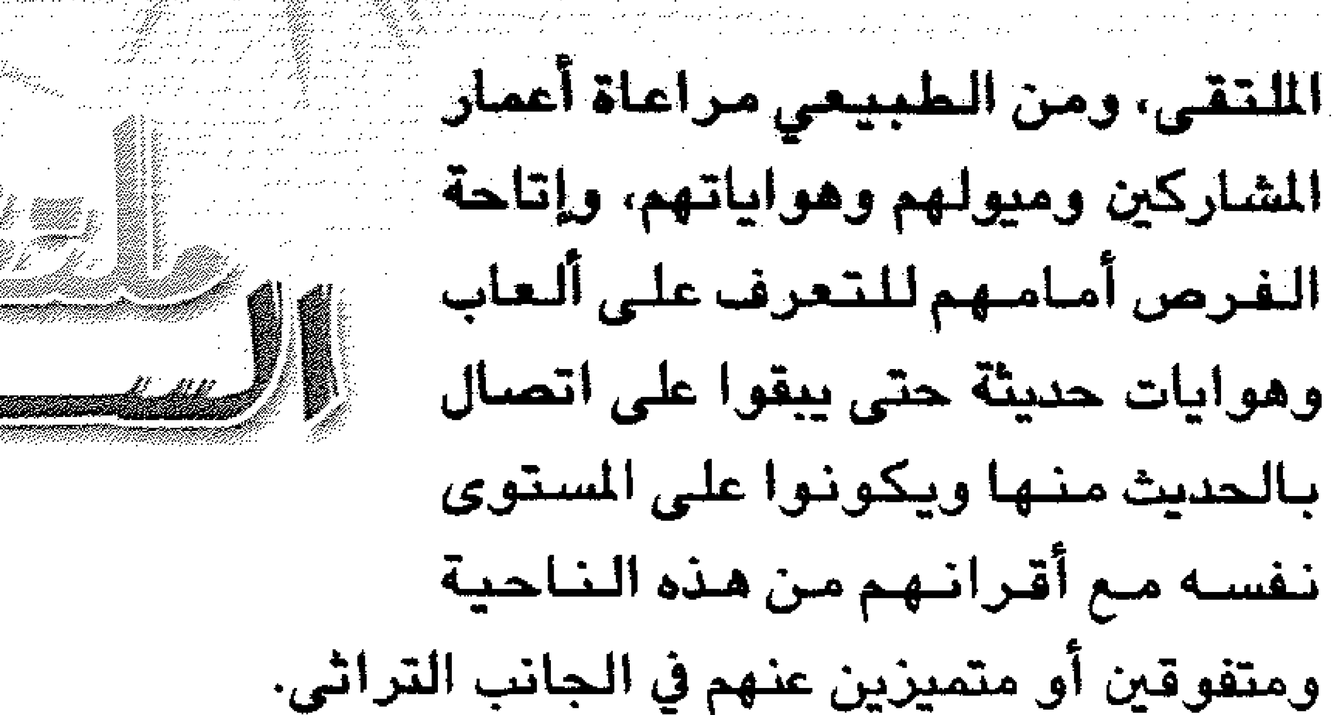
وعن التطور الذي شهده الملتقى من حيث أعداد المشاركين يقول: إن عدد المشاركين في الملتقى الآن قد بلغ ٢٠٠٠ مستفيد، معظمهم بالطبع من أهل أبوظبي بحكم الموقع، وقليل منهم من أهالي الإمارات الأخرى، وهؤلاء يشاركون حسب الأوقات المتاحة لهم، وهو العدد الذي حددته إدارة النادي حرصاً منها على تقديم خدمة متميزة لرواد الملتقى، وإلا فالعدد مرشح للزيادة لو ترك بدون تحديد، وهذا العدد الكبير يحمل دلالة مهمة تعبر عن قناعات ترسخت عند المشاركين بأن الملتقى الصيفي الذي ينظمه نادي تراث الإمارات يوفر لهم حاجاتهم من الترفيه الجاد ويكسبهم الكثير من المهارات ويساعدهم في قضاء أوقات مفيدة وسعيدة. أما من الناحية النوعية فهناك أنشطة تراثية متخصصة تمارس فقط في جزيرة السمالية، وهي الرماية، والفروسية بقسميها أي الركوب والعدو، إضافة إلى قفز الحواجز، وركوب الهجن، ورياضة التجديف والتدريب على سباقات المحامل الشراعية التقليدية، إضافة إلى أنشطة نوعية حديثة مثل الشراع الرملي، والطيران الألكتروني، ورياضة التسلق والقوارب الشراعية الحديثة، حيث هناك مدرسة خاصة لهذه الرياضة، وإلى جانب هذه الرياضات



الصقار الصغير

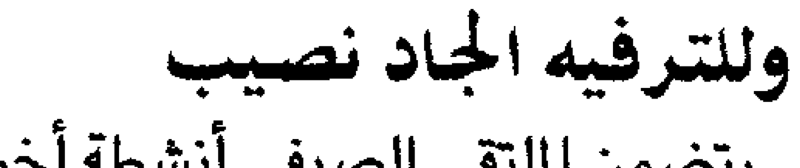


سياحة على ظهر
سفينة الصحراء



والفعاليات هناك أنشطة شبابية مركزية تمارس في الفروع وفي صالة مغطاة خاصة تابعة للنادي وتحتضن أنشطة الكاراتيه والمبارزة بالسيف (الشيش) وتدريبات اللياقة البدنية ومباريات كرة القدم والطائرة والسلة وكرة الماء والسباحة.

ويوضح المناعي مسألة مهمة حول هذه الرياضات الحديثة والأنشطة الترفيهية، فيقول إنها أنشطة جاذبة للشباب ولابد من توفيرها في مكان واحد إلى جانب الأنشطة والفعاليات التراثية، حتى لا يصاب المشاركون بالملل فيتسرب البعض منهم بدعوى البحث عن ممارسة هواية معينة لا يجدها ضمن برنامج الملتقى، ومن الطبيعي مراعاة أعمار المشاركين وميولهم وهواياتهم، وإتاحة الفرص أمامهم للتعرف على ألعاب وهوايات حديثة حتى يبقوا على اتصال بالحديث منها ويكونوا على المستوى نفسه مع أقرانهم من هذه الناحية ومتفوقين أو متميزين عنهم في الجانب التراثي.



وللترفيه الجاد نصيب

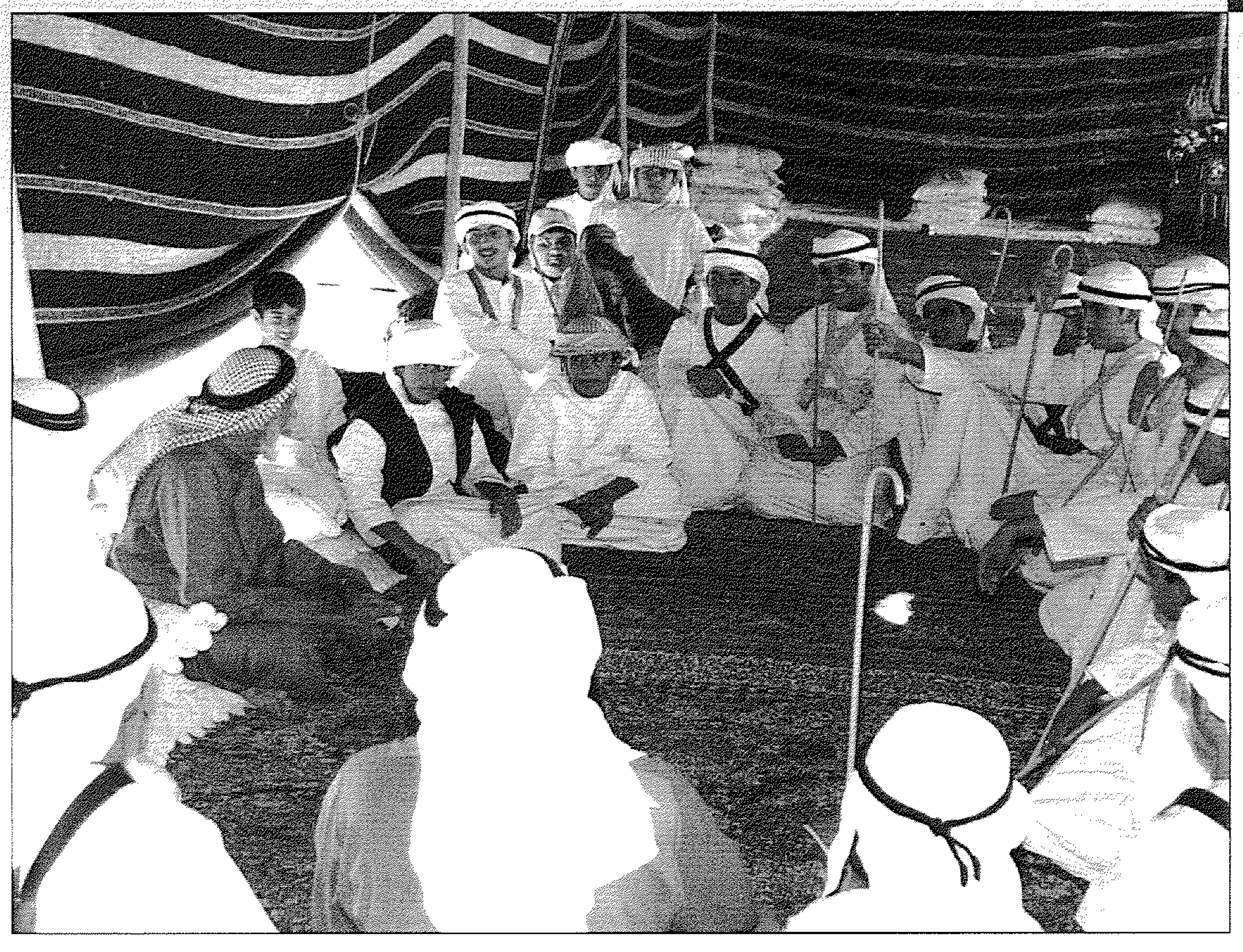
يتضمن الملتقى الصيفي أنشطة أخرى ترفيهية متنوعة لكنها جادة ونافعة أيضاً مثل الأنشطة الفلكية ورحلات

أبناء الملتقى كبروا



أحمد مرشد الرميثي

من بين المستفيدين من فعاليات الملتقى الصيفي بعض الذين كانوا طلاباً صغاراً وقتها، والآن كبروا وأصبح بعضهم من موظفي نادي تراث الإمارات والمسؤولين عنه، ومن هؤلاء أحمد مرشد الرميثي، الذي أصبح الآن رئيساً لقسم المشتريات بالنادي، الذي يذكر كيف التحق بالملتقى الأول عن طريق أحد أصدقائه في «الفريج» الذي أخبره بأن سمو الشيخ سلطان بن زايد أطال الله عمره قد دعا لتنظيم ملتقى للشباب وأنه بالإمكان الذهاب لمقابلة سموه. يقول أبومرشد: بالفعل ذهبنا في الموعد وتشرفنا بالسلام على سموه، وكنا وجلين فأكبرنا لم يتجاوز العشرين، لكن سموه حفظه الله بادرنا بالسلام علينا فرداً فرداً وسؤال كل منا عن أحواله، وأزال رهبة الموقف خاصة عندما اكتشفنا معرفته بآبائنا وقبائلنا، ثم طرح فكرة إنشاء ناد للتراث نمارس من خلاله الأنشطة ونتعرف على تراثنا ونحافظ عليه، وتم تحديد يوم معين ذهبنا فيه إلى جزيرة السمالية، وكان المسؤول عنا الشاعر المعروف سالم بوجمهور القبيسي، ورأينا سمو الشيخ سلطان وهو يحدد بنفسه أماكن النشاط، وتعاونا جميعا في تنزيل الكرافانات وتمهيد الموقع وكانت معظم المعدات بالإيجار أو بالاستعارة من دائرة الأشغال التي قدمت تسهيلات كبيرة في ذلك الوقت لإنجاح الفكرة، وكانت الأنشطة محدودة أذكر منها النشاط البحري ولكن على الشاطئ والهجن وبعض الألعاب الشعبية البسيطة. وعن أثر ذلك على نفسه يقول أبومرشد: إن الملتقى ترك آثاراً إيجابيا عليه وعلى أولاده حيث يحرص على تعليمهم العادات والتقاليد التراثية ويشجعهم على التمسك بهذه العادات، أما من جهة العمل فيقول إنني أعطي المزيد من الاهتمام لتوفير طلبات الملتقى الصيفي بالسرعة الممكنة، ثم يبتسم ويقول تدري ماذا يقولون عني في النادي، ثم يجيب يقولون إنني ابن الملتقى وأنا فخور بذلك.

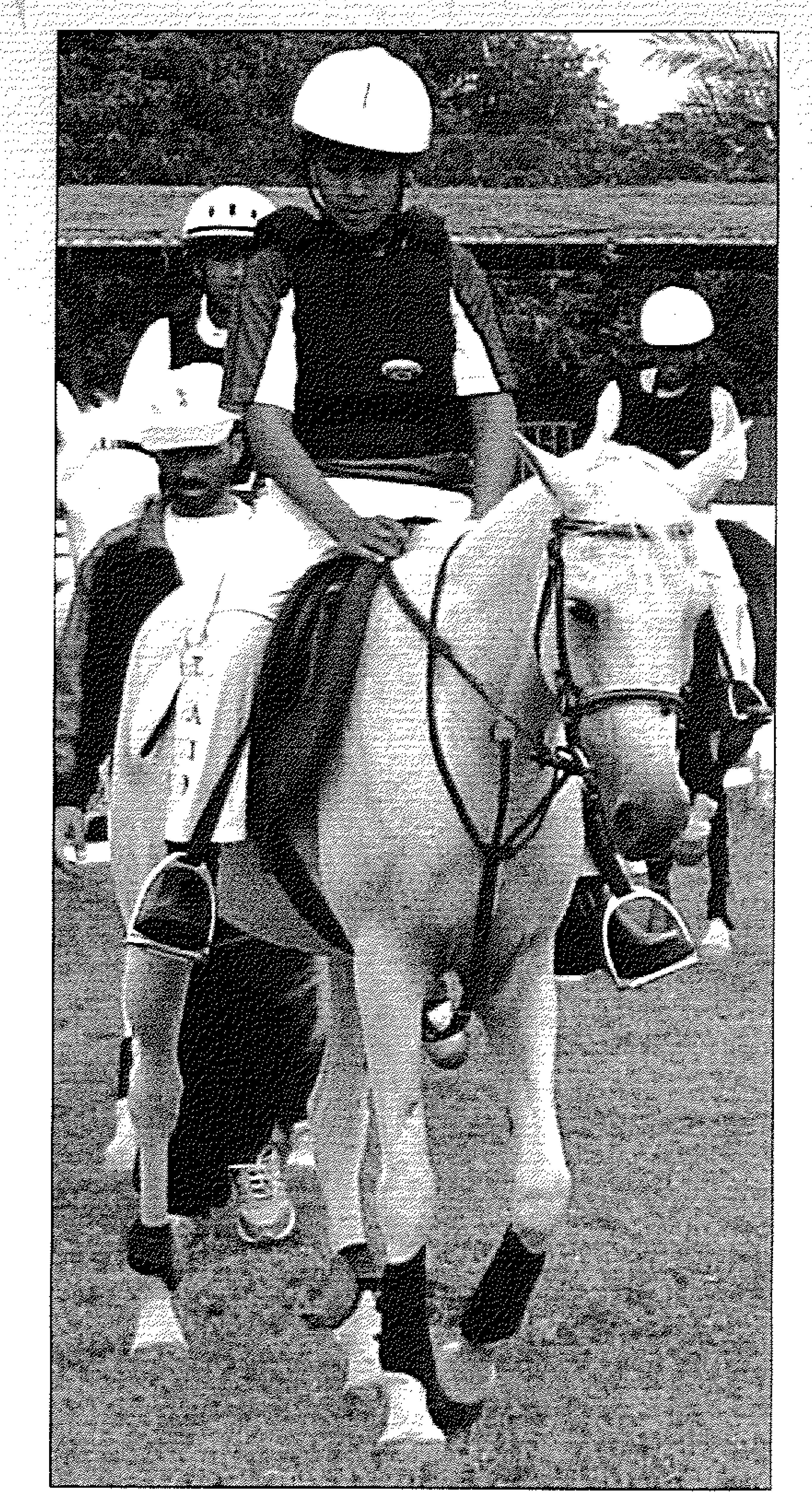


بيت الشعر وجلسة من التراث الشعبي

السير الليلي، والمسابقات الثقافية، وهناك دورات تخصصية في المهارات الحياتية والاجتماعية لتعلم العادات والتقاليد التراثية مثل استقبال الضيف وصنع وتقديم القهوة العربية وطهي وإعداد الأكلات الشعبية، والحرف التراثية والبيزرة (الصقارة) إضافة لدورات عامة في موضوعات متنوعة مثل إدارة الوقت والإبداع الفكري والتفكير الابتكاري وغيرها واسمح لي فقد أكون غفلت عن ذكر بعض الأنشطة، لكن ما أود ذكره إن إدارة الأنشطة والفروع بنادي تراث الإمارات بدعم من إدارة النادي وبمعاونة جميع إداراته ومرافقه لا تألو جهداً في سبيل تطوير الأنشطة وتوجيهها الوجهة التي تسهم في تحقيق أهداف النادي وتسهم في عملية التنشئة الاجتماعية وتنمية الشباب وتطوير مهاراتهم ومساعدتهم على الاحتفاظ بهويتهم والحفاظ على شخصياته والافتخار بتراثهم.

من الهواية إلى الاحتراف

ويستدرك «أبوعلي» لكن دعن أركز على أن الأمر ليس مقصوراً على مجرد إتاحة الفرصة أمام الشباب لقضاء أوقات ممتعة وممارسة هواياتهم فقط، لكنه تعداه إلى الحرفية في ممارسة هذه الهوايات، فمن خلال ممارسة الشباب للأنشطة يتم اكتشاف الموهوبين منهم وضمهم إلى الفرق الرياضية المتخصصة التابعة للنادي، وإخضاعهم للتدريب المكثف كل في مجال لعبته، وصولاً بهم إلى مستويات تؤهلهم للبطولات والانتقال من الهواية إلى الاحتراف، وفي هذا الصدد فقد حصل أبناؤنا على بطولات محلية وأخرى خليجية على مستوى مجلس التعاون وذلك في الشيش والكاراتيه والسباحة، بل إن أحد سباحينا وهو ماجد عبد الله الحمادي الذي حصل على المركز الثاني والميدالية الفضية في بطولة جنيف الدولية للسباحة وهو أصغر سباح على مستوى الشرق الأوسط يحصل على هذا المركز حيث لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر، وقد قمنا بتأهيل أكثر من ١٦٠ فارساً في سباقات القدرة من خلال قرية بوذيب للقدرة التي تعد أحدث قرية للقدرة في الدولة، ومثل هذا العد من السباحين. وأود هنا


فرسان واعدون

التركيز على أمر غاية في الأهمية وهو أن نادي تراث الإمارات لا يحتكر جهود هؤلاء اللاعبين أو الأبطال، بل يسمح لهم بالانتقال بحرية تامة إلى أي ناد آخر داخل الدولة، ونحن نفخر بأن نادينا قد أصبح مفرخاً للأبطال، وهذا الأمر يعكس سياسة وتوجهات النادي الرامية إلى إعداد شباب واعد وبناء جيل واع يخدم مجتمعه بالمعنى الواسع لكلمة المجتمع وليس الهدف احتكار المواهب وتحقيق البطولات.

جديد الملتقى

– ذكرتم أن النادي لا يألو جهداً في تقديم الجديد والمفيد للشباب في كل ملتقى، فما هو جديد هذا الملتقى؟

– هناك أكثر من جديد في هذا الصيف، سواء من حيث إدخال أنشطة جديدة مثل طرق صيد الأسماك التقليدية، ورحلات السفاري التي تنفذ في سويحان عبارة عن مسير لمسافة خمسة كيلومترات على ظهور الهجن في اتجاه صحراء الربع الخالي، أو سواء على مستوى الأنشطة القائمة بالفعل مثل التخصص في بعض الأنشطة وزيادة الجرعات التراثية في كل نشاط، فعلى سبيل المثال في نشاط رياضة الهجن العربية الأصيلة يتم هذا العام التعرف على بيئة الهجن من خلال زيارات إلى العزب المخصصة للهجن للتعرف على أكل المطية والأمراض التي تصيبها وطرق الوقاية منها والعتاد الذي يلزمها وكل ما يتعلق بهذه الرياضة من مفردات وخبرات. كما يشهد هذا العام تخصيص يوم واحد من أيام الأسبوع لممارسة أولياء أمور المشاركين والمشاركات للأنشطة، لزيادة الارتباط والتواصل بين النادي والأسر وإتاحة الفرصة أمام أولياء الأمور للتعرف على الأنشطة التي يمارسها أولادهم ومراقبتهم أثناء ممارسة هذه الأنشطة، ولتوفير أجواء يسودها المرح والترفيه.■

مركز مصادر المعلومات

للعام الرابع على التوالي يشارك مركز مصادر المعلومات التابع لإدارة الأنشطة والفروع في دعم فعاليات الملتقى الصيفي، والمركز عبارة عن مكتبة ضخمة تعمل على توفير أنماط متعددة من مواد ووسائل المعرفة ومصادر المعلومات للمترددين عليها، وعلى تدريبهم على حسن استخدام هذه المصادر لتحقيق الاستفادة المثلى منها، وجزء كبير منها مخصص لخدمة الأطفال، وتقدم خدمات متعددة منها الخدمات الارشادية والتكنولوجية مثل البحث الآلي وشبكات الأقراص المدمجة.■



الفرع النسائي بنادي تراث الإمارات يشارك في الملتقى

يشارك الفرع النسائي التابع لنادي تراث الإمارات في الملتقى الصيفي بجزيرة السمالية، وخصص يوم الأربعاء من كل أسبوع خلال فترة إقامة الملتقى للمشاركات من الفرع في ملتقى السمالية حيث يتضمن البرنامج النسائي بعض الفقرات كالفروسية والرماية والهجن والألعاب الشعبية الخاصة بالفتيات، والبرنامج البيئي الذي يتضمن مجموعة من المحاضرات في الفرن الشمسي وإعادة تدوير الورق والنفايات، كذلك دورة خاصة في علوم الفلك.

وقالت قماشة خميس السويدي نائبة مدير الفرع النسائي إنه تم تخصيص باقة من الأنشطة المتنوعة للمشاركات في مقر الفرع ومقر إدارة الأنشطة والفروع في صالة الأنشطة وحصن الشباب ومركز المصادر والمعلومات منها الرياضية كالسباحة والكاراتيه وتعلم فنون الدفاع عن النفس وتمارين اللياقة البدنية ومنها الأنشطة المكتبية والتربوية ومحاضرات لتعزيز القيم السلوكية وغرس عادة القراءة ومطالعة الكتب والتعرف إلى آداب وثقافات الشعوب والعادات الحميدة.

كما يتضمن البرنامج دورات في صناعة العطور والدخون والحناء وتزيين الشيل والطب الشعبي والحاسوب والحرف اليدوية والتدرب على العادات والتقاليد من خلال دورات تشرف عليها مدربات في القرية التراثية التابعة للنادي.■

القرية التراثية بكاسر الأمواج تستقبل المشاركين في الملتقى الصيفي

ونموذج مصغر لها في السمالية للتدريب العملي على التقاليد التراثية



من المواقع المهمة التي تشارك في استقبال المشاركين في الملتقى الصيفي لهذا العام القرية التراثية التابعة للنادي والكائنة بكاسر الأمواج على كورنيش أبوظبي.

ويقول سعادة عتيق بن قنون الفلاسي نائب مدير مكتب المتابعة والتدقيق والتطوير الداخلي للشؤون التراثية والقرى بنادي تراث الإمارات إن برنامج الملتقى يتضمن تنظيم زيارات ميدانية لمرافق القرية يتعرف المشاركون من خلالها على البيئات البرية والبحرية والزراعية التي تضم القرية نماذج لها، وعلى الحرف التقليدية القديمة، وطرق إعداد وتجهيز بعض الأطعمة والمشروبات الشعبية، وزيارة متحف القرية الذي يحتوي كثيراً من ملامح الماضي في الإمارات.

وأضاف الفلاسي قائلاً: إنه تم بناء نموذج مصغر للقرية التراثية في جزيرة السمالية يتواجد فيها الخبراء والمربون التراثيون لتنظيم دورات تدريبية وورش عمل للطلبة المشاركين في الملتقى حول العادات والتقاليد ورياضة الصيد بالصقور وبعض الأشغال اليدوية، وإن هذا الاتجاه جاء بعد أن لمست اللجنة العليا المنظمة للمهرجان اهتمام الصغار والشباب بتراثهم والإقبال عليه.■



بسملة للخطاط التركي
عثمان أوزجاي

عند الالتقاء على «خط» واحد

همس الحروف.. يوحد نبض القلوب

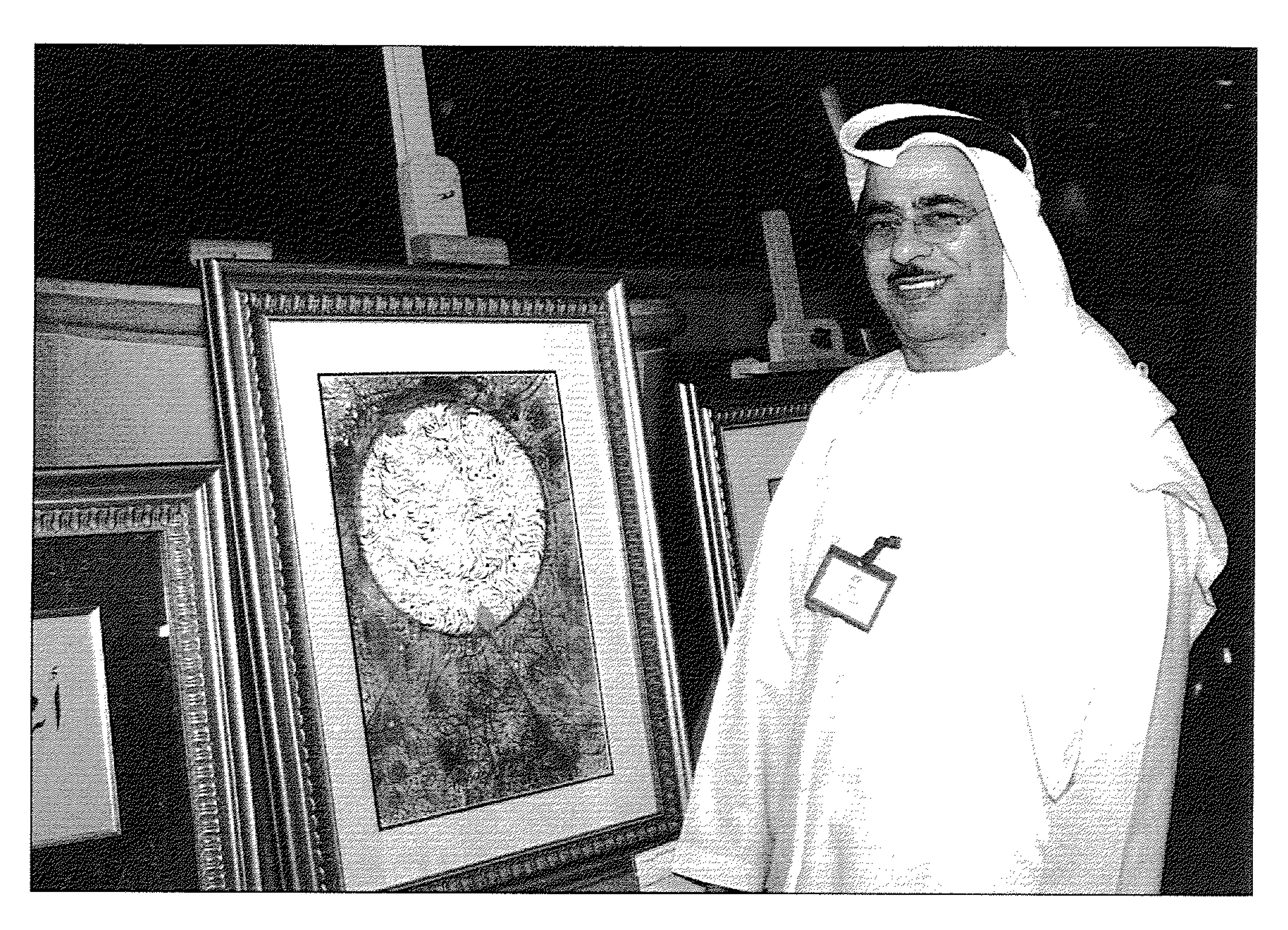
■ مأمون السعيد

عندما تجتمع القلوب على «خط» واحد، تبدو الألفة في أرق معانيها وأجمل لحظاتها، فما بالنا إذا كان الملتقى هو الخط العربي، وكانت مفرداته هي الفن، وتكويناته هي المهارة، وتنسيقه هو قمة الإبداع.

إذا قدر لك أن تلتقي بخطاط، ووقف معك ليشرح لك أسرار لوحته فإنك تكتشف أمرين: الأول ذلك الترابط والتواصل العميقان بين اللوحة والفنان، والآخر أن الخطاط يشرح لوحته فتجد من التخريجات والأسرار ما لم يخطر لك على بال، وتكتشف حجم المعاناة التي كان يعانيها وقت رسم لوحته حتى خرجت إلى النور.

هذا هو إحساس كل فنان أمسك بريشته وجثم على صدر لوحته ينقش فيها بإزميل الصبر حروف الإبداع والتأمل، فما بالنا لو أنك حاولت استكشاف أسرار ١٢٠ لوحة عرضها الخطاطون في معرض دبي الدولي لفن الخط العربي في دورته الثالثة، التي أقيمت في نهاية شهر فبراير الماضي، ورسمها ٣٨ خطاطا من ١٨ دولة، منها دول شاركت من قبل وهي: الإمارات العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان، والعراق وسوريا والسودان وتركيا وإيران، ومصر، والأردن ولبنان، ودول تشارك لأول مرة هي: المغرب وتونس وليبيا والجزائر، وخطاطون من دول ليست ناطقة بالعربية مثل: بنجلاديش والبوسنة والهرسك، والخطاط الياباني فؤاد هوندا الذي تتلمذ على يد الخطاط حسن جلبي عضو لجنة التحكيم في مسابقات المعرض.

«تراث» عاشت لحظات تألق الخط العربي وأناقته وفخامته، وعايشت مرونته وحيويته، في المعرض الذي أقيم بفندق البستان روتانا ونظمته دائرة السياحة والتسويق التجاري بدبي مؤخراً، بالتعاون مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية



الخطاط محمد مندي بجانب لوحته

(أرسيكا). والتقت عدداً من الخطاطين عشاق الخط العربي، الذين حدثونا عن عشقهم ومعشوقهم، وعن الخط وابداعاته.

مندي ووجه القمر

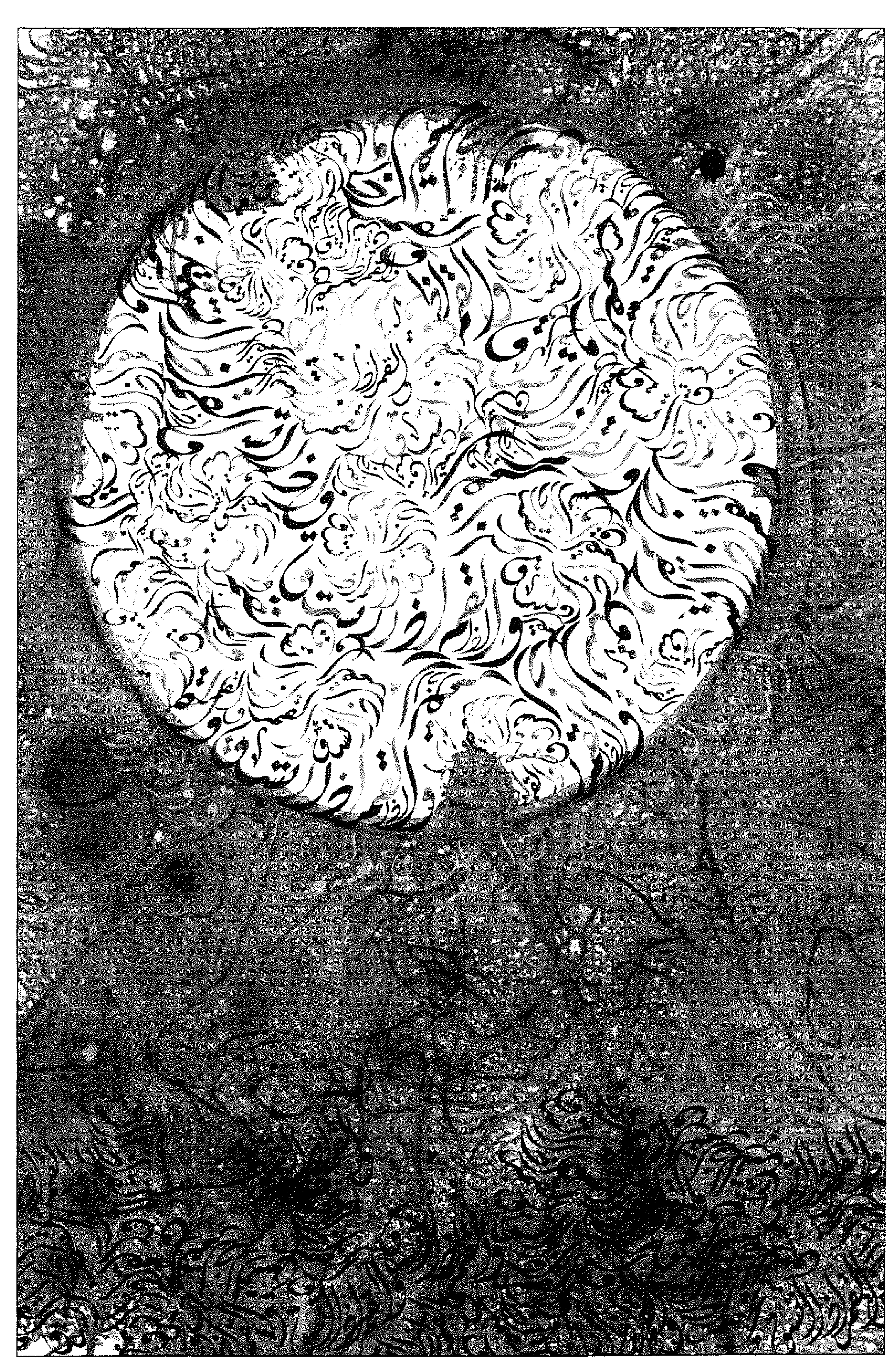
الخطاط الإماراتي والفنان التشكيلي المعروف محمد مندي عرض لنا اللوحات التي شارك بها وهي تتباين بين اللوحات الخطية واللوحات التشكيلية التي دخلت الحروف العربية في تكوينها حتى النخاع بتكوينات فريدة تظهر عمق الموهبة والخبرة التي يتمتع بها هذا الفنان.

وقد استعرضنا معه إحدى لوحاته الحديثة التي أبدع في تكوينها وهي آية قرآنية نصها: ﴿والقمر إذا اتسق﴾ ومعناها والقمر إذا اكتمل بدراً. وقال: اخترت لها الخط الجلي الديواني الذي يتميز بانسيابيته وإمكانية تطويع حروفه كما أشاء، كما حاولت التوصل إلى لون القمر. والمعروف أن القمر لونه ليس أبيض كما قد يظن البعض، بل يظهر بالمنظار مائلاً إلى الصفرة، وقد حاولت هنا الوصول إلى لون قريب. وتعمدت التدرج بالألوان من الغامق إلى الفاتح.

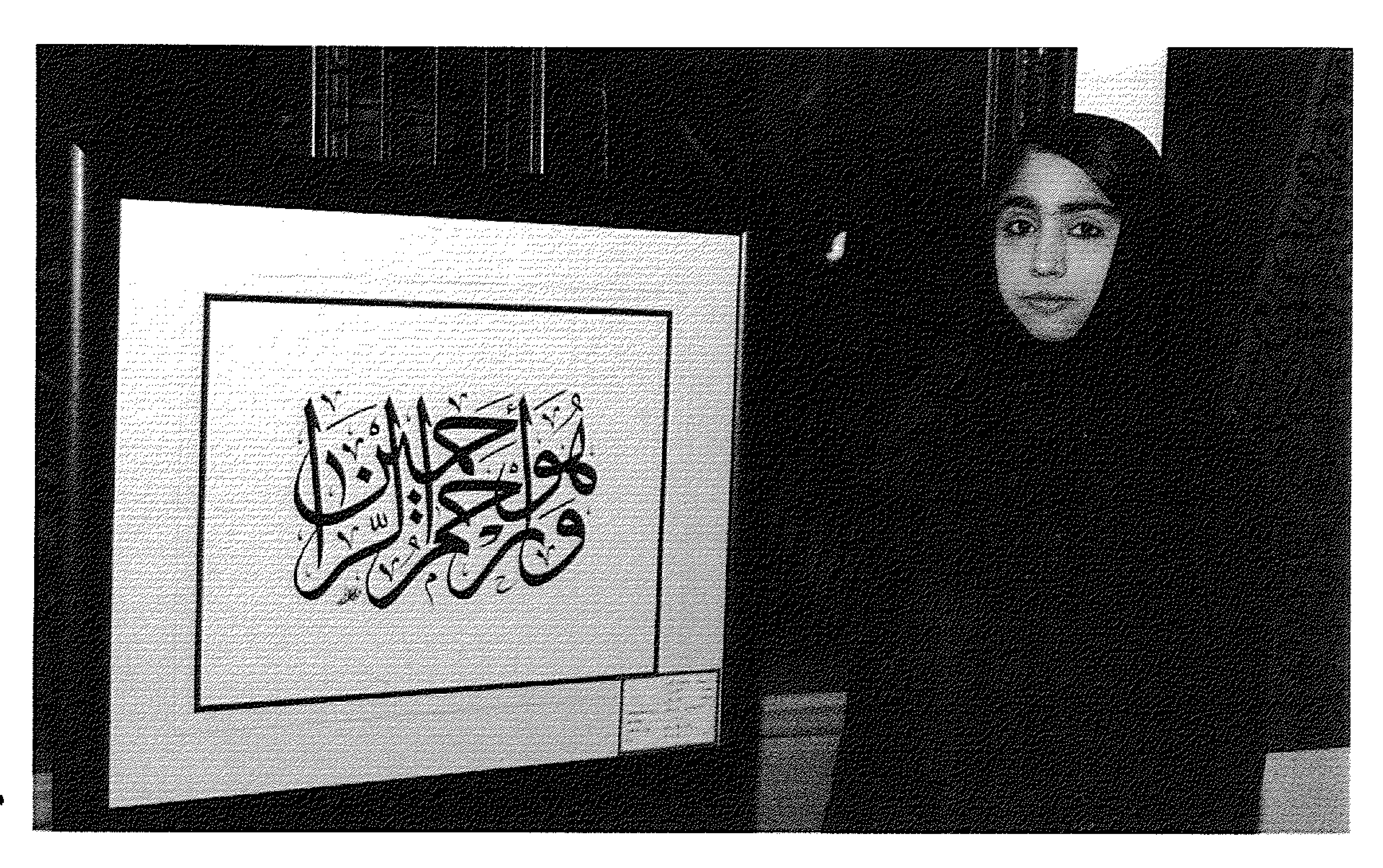
وقد حاولت عمل تأثير نور القمر على اللوحة، وهو الإشعاع الذي يحيط بالقمر عند اكتماله بدراً، ونلاحظ أنه بالابتعاد عن اللوحة تبدأ صفحة القمر تظهر كتضاريس. وأنا أتعمد أن تكون لوحاتي أشبه ببروفات لمشاريع أكبر، مثل مجسم للقمر أو عمل اللوحة كسيراميك أو موزاييك.

وقد أضفت كتابات في المنطقة الداكنة الزرقاء وفي المنطقة المحيطة بالقمر، حيث اهتم دائماً بشكل اللوحة عند النظر إليها من بعيد، كما انني أهتم بإضافة تفصيلات وكتابات تظهر للمشاهد عند الاقتراب من اللوحة. ولقد حازت اللوحة الإعجاب والتقدير بحمد الله وفضله.

وعندما سألناه عن نقاط الالتقاء والاختلاف بين الاتجاه الحروفي الحديث للخط والاتجاه الكلاسيكي أجاب قائلا: إن ثمة لبساً في هذا الموضوع، فأنا كخطاط وفنان تشكيلي أكتب الحروفيات وأكررها، كما هو الحال في لوحة القمر. ولكني أحاول المحافظة على شكل الحرف وقاعدته، مع قيامي بتكرار الكلمة وتكوين لوحة رسم من هذه التركيبات الحرفية، فيما يكتفي بعض الفنانين بكتابة حروف قليلة لإنشاء اللوحة



(والقمر إذا اتسق)
للفنان محمد مندي



ماجدة المازم

الحروفية دونما إلمام بقواعد الخط، مما أدخلنا في معمعة الحروفيين، وأنا هنا لا أمانع بأن يقوم الحروفيون بكتابة الخط العربي بشرط الالتزام بقاعدة الخط.

خطاطة شابة

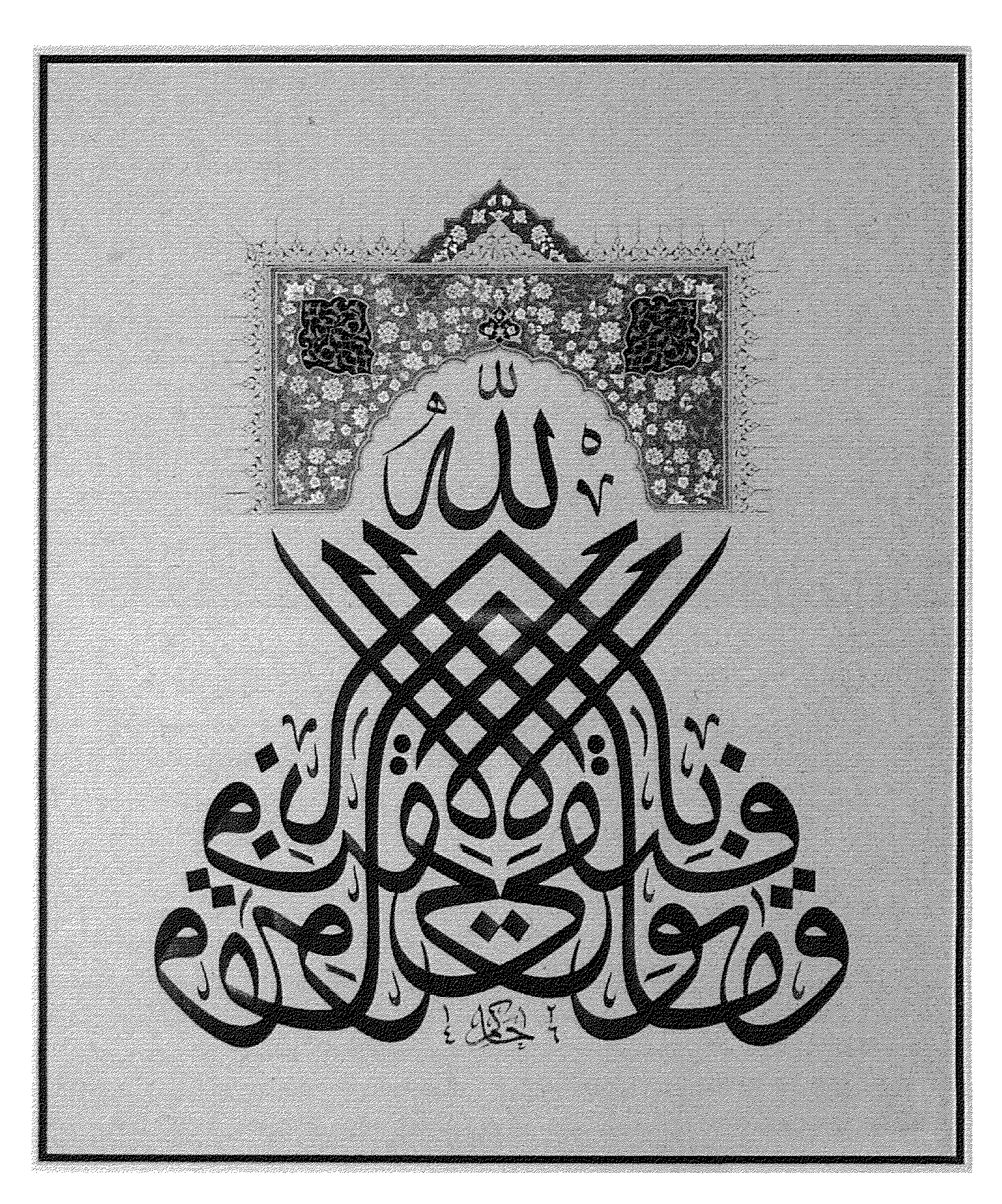
أما الخطاطة الإماراتية الناشئة ماجدة المازم فكنا التقيناها من قبل في ملتقى الشارقة الدولي لفن الخط العربي الذي أقيم في شهر مايو من العام ٢٠٠٤م، وقد ظهرت بوادر التطور الواضح في كتاباتها خلال عامين منذ ذلك التاريخ، حيث انتقلت إلى التدرب على يد الشيخ حسن جلبي في تركيا، وهي تجربة جريئة ومفصلية في مسيرتها، قلبت مفهومها لعالم الخط العربي، و غيرت الطريقة التي تتعامل بها مع الحروف، وكانت فرصة كبيرة لها لاستقاء أسرار الحرف العربي من منبعها ممن أبدع فيه طوال القرون الخمسة الماضية، وهم الخطاطون الأتراك، ومع عبارات التفاؤل التي ملأت كلماتها قالت لنا ماجدة: مشاركتي هذه هي الثانية في المعرض. وقد شاركت بلوحة واحدة بالخط الثلثي ﴿وهو ارحم الراحمين﴾. وهي من نوع اللوحات التركيبية، ومثل هذه المشاركات تساعدنا نحن الشباب في عرض أعمالنا على الأساتذة والاستفادة من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

وتضيف ماجدة: اعتمدت في هذه اللوحة على توزيع الحروف ضمن مستطيل دون أن يشذ أي حرف عن الشكل العام، وقد سعيت للالتزام بتركيب واضح ضمن الشكل الهندسي المطلوب.

وكان انتقالي إلى تعلم الخط العربي في تركيا على يد الشيخ حسن جلبي ضمن التعاون بين دار الخط العربي في الشارقة ومنظمة (أرسيكا) في تركيا، بعد أن بدأت في التدريب على فن الزخرفة العربية، ثم بدأت بتعلم أصول الخط العربي، وكانت دراستي في تركيا فرصة عظيمة لي للالتقاء بكبار الأساتذة وشيوخ الخط وعلى رأسهم الشيخ حسن جلبي، وأنا أتابع دراستي للخط العربي من هنا وأتحين الفرص للسفر إلى تركيا لعرض خطوطي وتقييمها من قبل أساتذتي.

خطاط من العراق

الخطاط العراقي حاكم غنام شارك في المعرض بخمس لوحات خطية بيعت جميعها خلال الساعات الأولى، لما تميزت به من عراقة في الحرف وتجديد في التركيب وتطويع الكتابة العربية لتكوين أشكال غاية في الدقة والجمال، أكدت ما لهذا الفن العريق من مرونة وقدرة على كسر الجمود الذي يمكنه من دخول المحافل العالمية من أوسع أبوابها.



(وما توفيقي إلا بالله)
لوحة متناظرة للخطاط
حاكم غنام

يقول الخطاط حاكم: بدأت الخط من صغري قبل دخولي المدرسة، وقد درست الموسيقى في معهد الدراسات النغمية، وبعد خروجي من العراق وجدت نفسي في مكان ليس فيه سوق للموسيقى، فاتجهت إلى الخط الذي تحول إلى حرفتي ومهنتي بشكل لا إرادي.

وقد شاركت في عدة معارض ومسابقات عالمية، وفزت بجوائز عدة مثل: المسابقة الدولية التي يقيمها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بتركيا (ارسيكا)، كما شاركت في مهرجانات عدة، حيث حصلت على المركز الأول في مهرجان الإمام علي في طهران، ومهرجان القرآن الكريم حيث تم تكريمي من وزير الثقافة والإعلام الإيراني، كما حصلت على تكريم وشهادات من كبار أساتذة الخط في إيران لخطوط التعليق والثلث. كما حصلت على تكريم من رئيس مجلس

الشورى الإيراني مع شهادة تقدير، بالإضافة إلى العديد من المهرجانات العالمية. وهذه هي المشاركة الثانية في معرض دبي الدولي للخط العربي.

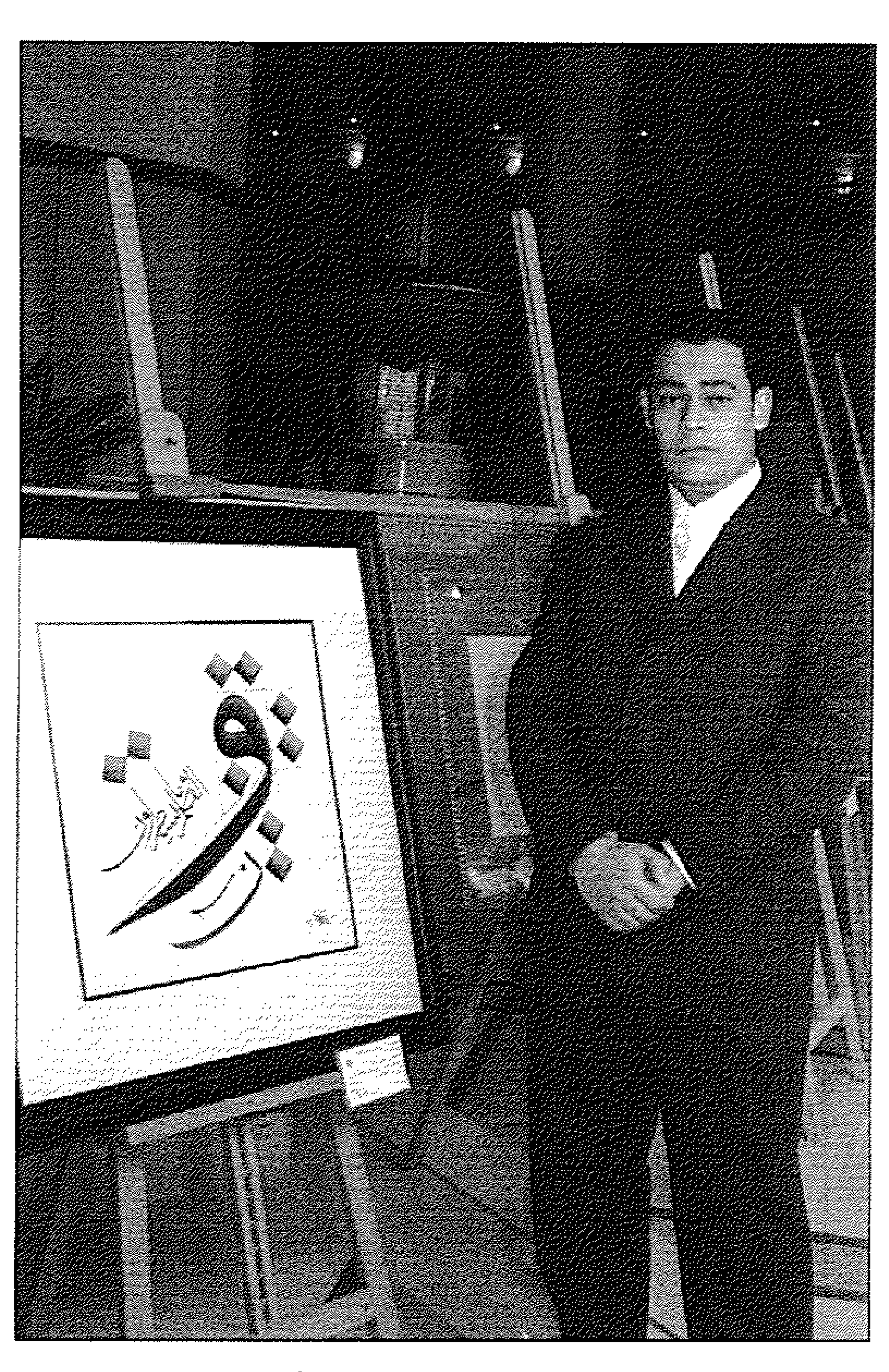
وعن لوحاته يقول حاكم: تأخذ اللوحة جهداً كبيراً ابتداء من تصميم اللوحة واختيار القلم المناسب لكتابتها، حيث إن اللوحة لا تبدو بنفس الجمال لو كان القلم أكثر أو أقل سماكة مما هو مفروض، وبعد الانتهاء من تصميم اللوحة والتوصل إلى التركيب ننتقل إلى التنفيذ والذي يستغرق من ساعتين إلى ثلاث ساعات. ثم تبدأ عمليات الترميم والتصحيح، والتي تستغرق شهراً حيث يكون الترميم بقلم صغير جداً يضيف الرتوش على الكتابة ليظهر جمال الحروف وأسرارها.

أما أبرز لوحاتي التي أشارك بها فهي: ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ لوحة بالثلث الجلي المتناظر، ويكتب أحد الطرفين عادة بالقصبة بينما يملأ الطرف الثاني بالقلم، بينما كتب طرفا هذه اللوحة بالبوص. وجاء التكوين في هذه اللوحة ليجمع بين الكلاسيكية والحداثة، وبعد الانتهاء من التنفيذ تبدأ عملية الزخرفة وهي في العادة مهمة يقوم بها مزخرف متخصص.والزخرفة في هذه اللوحة تعد جزءاً منها، أي أنك إذا حذفت الزخرفة فسوف تبدو اللوحة ناقصة.

وقد قام ابني أحمد بزخرفة هذه اللوحة وهو يبلغ من العمر ١٦ عاماً، وقام باختيار تشكيل ألوان اللوحة بنفسه، وقد وفقه الله في ذلك، ونلاحظ أن اسم الخطاط يكون واضحاً في اللوحة، بينما يكون ا سم المزخرف صغيراً، والسبب أن اللوحة تعود إلى الخطاط من الألف إلى الياء، فالخطاط يصمم اللوحة وينفذها، ولهذا تنسب اللوحة إليه دون المزخرف.

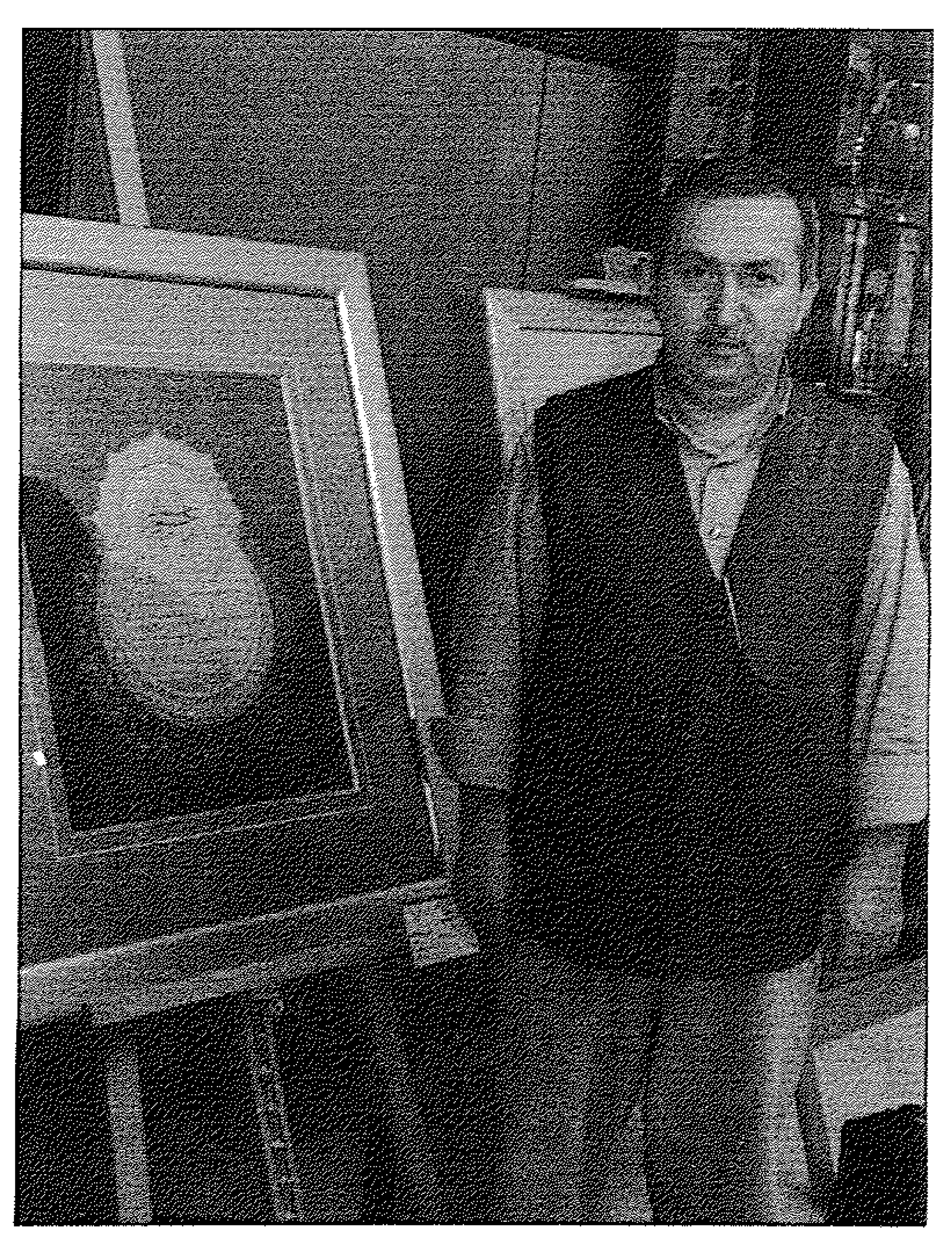
خطاط من مصر

أما الخطاط المصري شيرين عبد الصابر فقد تكلم عن رحلته مع الخط العربي قائلا: بدأت رحلتي في الخط صغيراً، وكانت بدايتي رساماً، وفي عام ١٩٨٩م عندما صادفت أول لوحة خطية للأستاذ محمد ابراهيم وعجزت عن تقليدها فأدركت أن للخط شأناً آخر غير الرسم، مما أثار حفيظتي ودفعني للتوجه إلى مدرسة الخط، حيث التقيت بالخطاط الكبير عبد القادر، وهو فنان عظيم سبق عصره في فكره التشكيلي والفني، وقد تأثرت كثيراً به. وكان عمري آنذاك حوالى ١٧ عاماً.



شيرين عبد الصابر

والفكرة عند شيرين هي الجزء الأهم في اللوحة، فهي التي تصنعها. أما التنفيذ فهو عملية تقليدية يمكن أن يتعلمها أي إنسان. ويضيف شيرين:أستطيع أن أعلم أي شخص التنفيذ والكتابة، ولكن لا أستطيع أن أجعله



الخطاط التركي
ممتاز أوردو



(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) للخطاط المصري شيرين عبد الصابر

يستشعر الفراغ والتوافق والاحساس المطلوب لتركيب اللوحة.

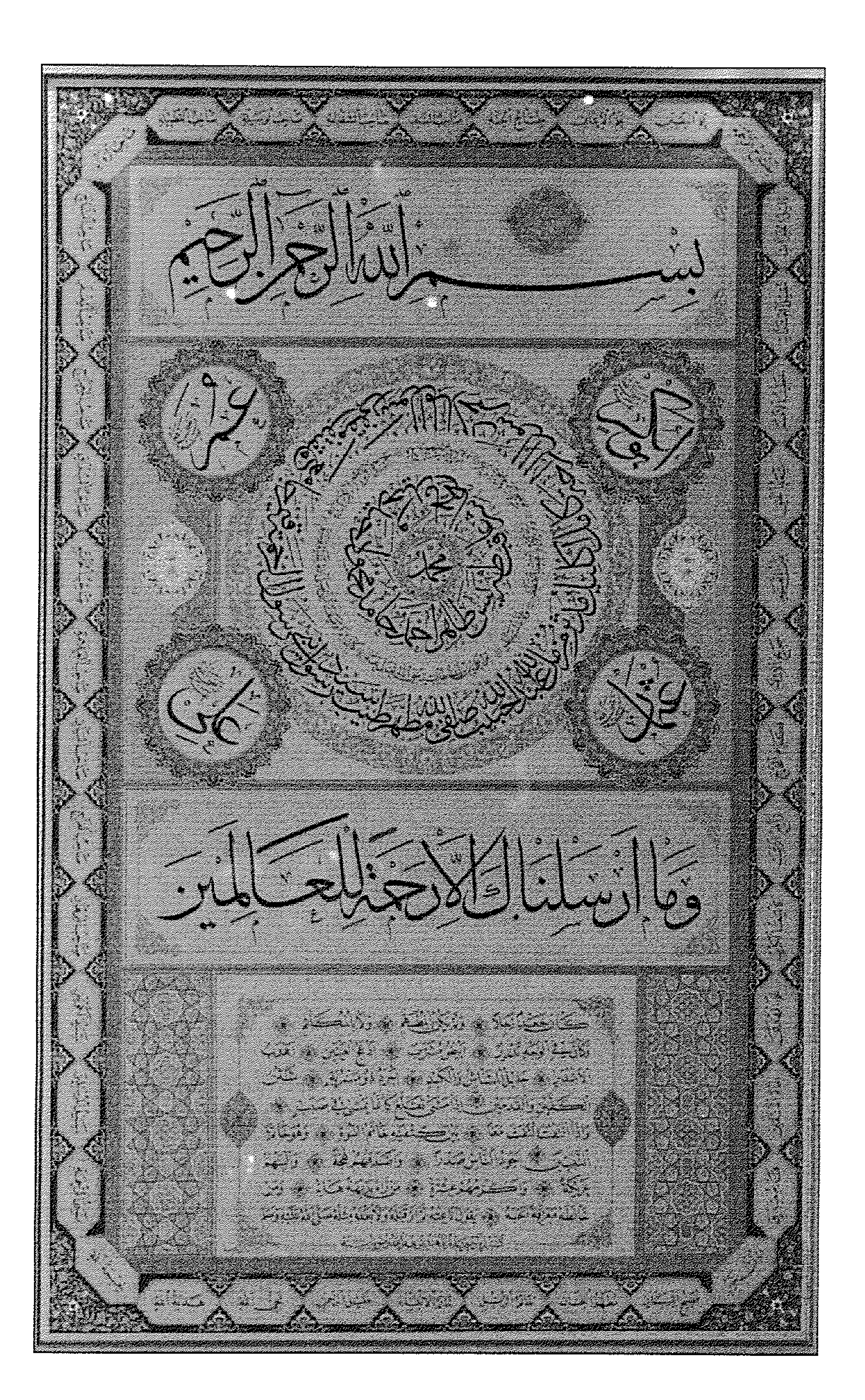
وعن الحداثة والكلاسيكية في الخط يوضح شيرين أن الكلاسيكية لا تعني القوالب الجامدة، فهناك قواعد ينفذها كل خطاط بطريقته، وقد نلاحظ اختلافات بين الخطاطين في كتابتها، فأحد الخطاطين يكتب الواو بفتحة واسعة بينما يكتبها خطاط آخر بفتحة ضيقة جداً، وكلاهما مصيب ولم يخالف القاعدة، إلا أن استخدامهما وتطبيقهما للقاعدة فيه اختلافات فردية قد تميز بعض الخطاطين وتجعل لوحاتهم معروفة.

وعن إحدى لوحاته، اختار شيرين أن يشرح لنا اللوحة التي نصها ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ وقال عنها: تحقق في هذا العمل قدر من الترابط والتوازن. وقد تحقق التناظر في كاس الحاء (أحسن) والعين (دعا) كما ارتقى لفظ الجلالة في الأعلى. ونلاحظ أيضاً الترابط الذي تحقق بين أجزاء هذه اللوحة ومنها العلاقات بين النون والألف. وكذلك نسب الفراغات بين أجزاء هذه اللوحة، كما تتميز هذه اللوحة بالعلاقة الجديدة للميم والنون في كلمة (ممن)، وهي مالم يتطرق إليه خطاط من قبل.

ومن بين الخطاطين الذين حضروا المعرض ولم يشاركوا فريد عبد الرحيم العلي أمين سر الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ومؤسس مركز الفنون الإسلامية في الكويت، حيث قال: مجالي هو الخط التشكيلي، وقد أصدرت كتاب (تشكيلات في لفظ الجلالة) الذي يحتوي على ٩٩ تشكيلاً مختلفاً بعدد أسماء الله الحسنى، بطريقة مبتكرة، كما أصدرت كتاب (محمديّات) وهو كتاب مكون من ١١ جزءاً، وفي

كل جزء إحدى عشرة مجموعة لونية وشكلية، أي يحتوي على ٥٠٠ تشكيل مبتكر لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتابع: حضرت إلى دبي للالتقاء بإخواني الخطاطين من جميع أنحاء العالم، حيث إن لي علاقات وطيدة معهم، وقد لمست تطوراً كبيراً في الأعمال الخطية المعروضة، وفي أعمال الخطاطين أنفسهم، ودولة الإمارات فيها العديد من المؤسسات الثقافية والشخصيات العامة التي تحرص على اقتناء هذه الأعمال، وقد انعكس اهتمام من الدولة على اهتمام الخطاطين أنفسهم بالإمارات، الذين تسابقوا لعرض كافة الفنون الخطية المختلفة، ولولا الاهتمام الرسمي بالخط العربي لما وجدنا معرض دبي الدولي أو ملتقى الشارقة الدولي لفن الخط العربي ومن خلال المعارض الخاصة، وهذا الكم من الاقتناءات يدل على اهتمام الدولة بالخط، وأنا ألاحظ هنا الفرحة البادية على وجوه الخطاطين لأن أعمالهم قد اقتناها من يقدر قيمتها ويستحق أن يقتنيها.



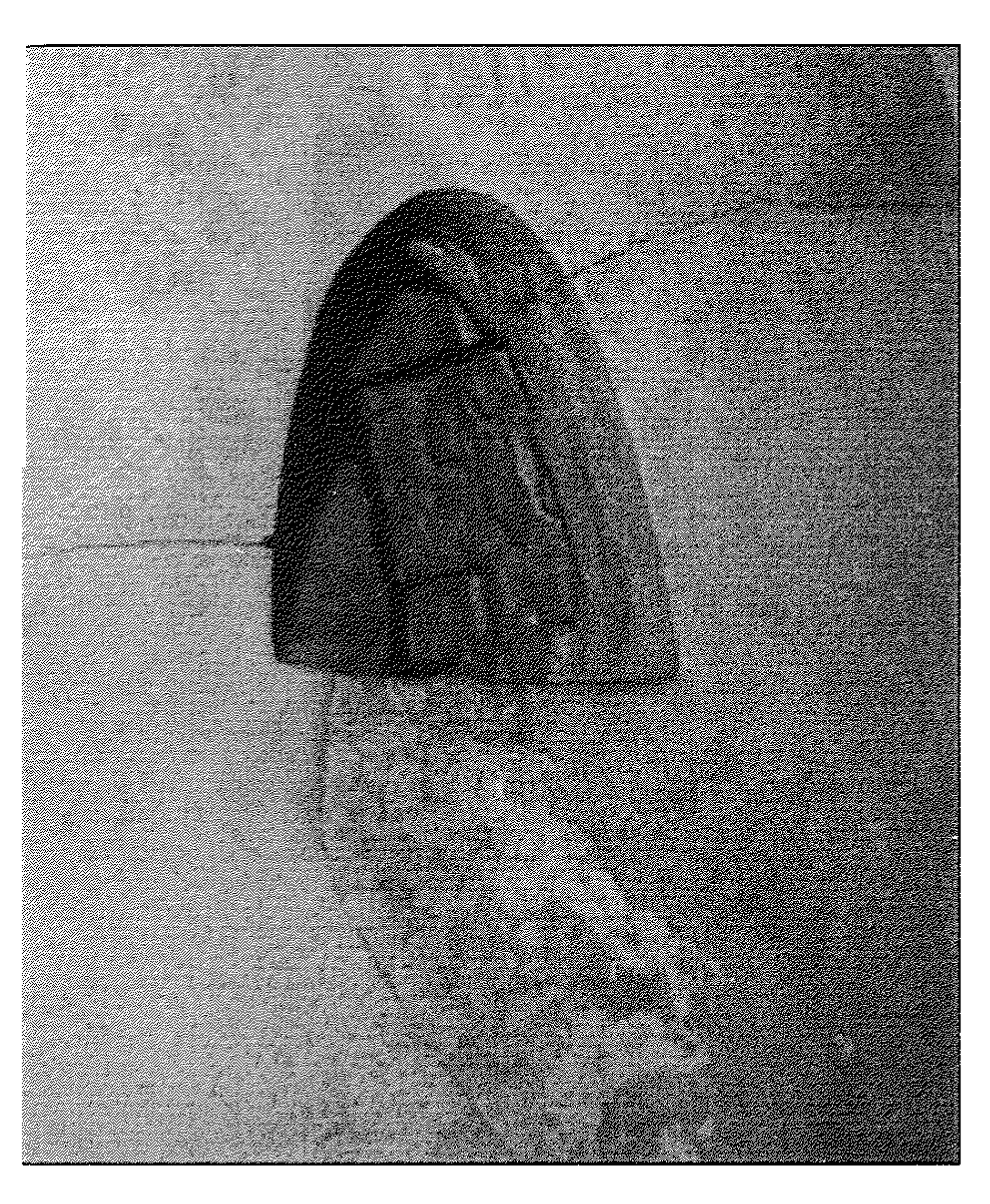
حلية محمدية للخطاط العراقي زياد المهندس

ومثل هذه المعارض مهمة لإبراز الجانب الدفين في الفن الإسلامي، وهو جانب الخط العربي، واستنهاض هذا الفن وإبرازه حتى يبرز هويتنا الإسلامية ويعيد الأمجاد الاسلامية القديمة من خلال الفن الإسلامي.

نظرة أخيرة

وبين الخطاطين المشاركين والضيوف والزوار المهتمين، تألقت اللوحات المعروضة وشدت اهتمام كل من كان في القاعة، ولم يترك الحاضرون فرصة للاستفسار عن تفاصيل اللوحات وأنواع الخطوط، بينما تسابق الخطاطون للإجابة عن أسئلتهم، فيما جلس آخرون ضمن مجموعات يتداولون حال الخط العربي ويناقشون آخر اللوحات التي أنتجوها أو اقتنوها، وفي زاوية بعيدة كان بعض الخطاطين يروون ظمأ الجمهور بكتابة أسمائهم بالحبر العربي، في مشهد نتمنى أن نراه كل عام وأن نكون كعادتنا دائماً من أوائل الحاضرين.■





كيفية إدارة المواقع التراثية والتاريخية

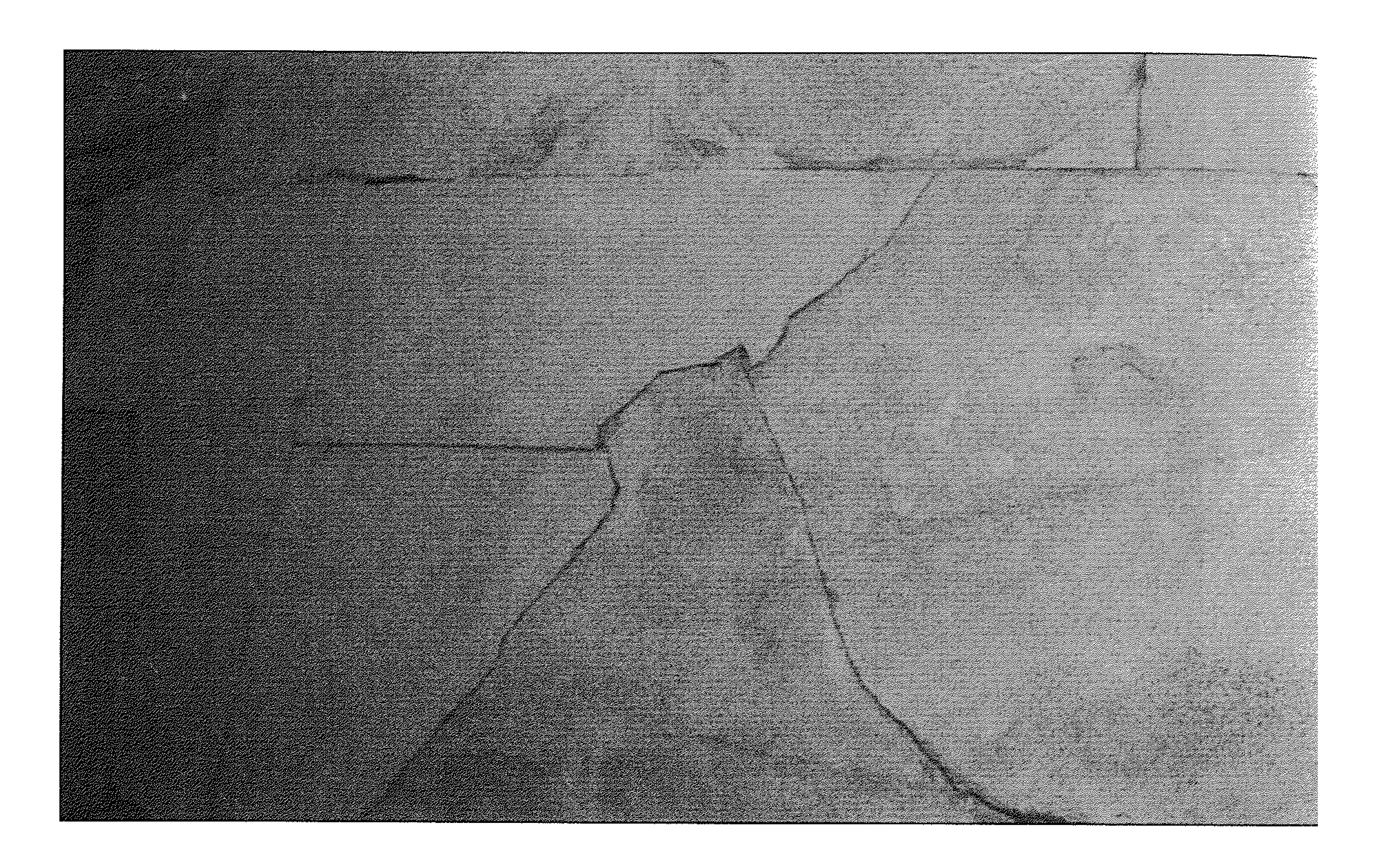


■ د. امتثال النقيب

كثيرة هي المواقع الأثرية والتاريخية في إماراتنا وكثيرة هي أوجه المحافظة على هذه الشواهد التاريخية والتي تعد سمة من سمات المجتمع وشاهداً حياً على حضارة الأجداد، وقد تنوعت تلك الشواهد المعمارية التراثية بين العمارة البحرية، والعمارة البرية، والعمارة الجبلية، استنادا إلى تنوع البيئة، وهكذا فعملية صيانة وترميم هذه الشواهد المعمارية تسير على قدم وساق في كل الإمارات.

ولكل دائرة من دوائر الدولة ذات العلاقة تجربتها الخاصة والتي تستند فيها إلى خبراتها المحلية، وإلى تاريخها الشفهي والتراث المعماري الخليجي المرتبط بهذه الشواهد، وقد ساهم الدعم اللامحدود من قبل القيادة الحكيمة إلى الإسراع في عملية ترميم هذه الشواهد، وككل الشواهد في العالم فقد أصبحت هذه الشواهد جزءاً من النسيج العمراني للمدينة وجزءاً من استخدامات مناسبة مع شكل وحجم وهوية المبنى.

وفي عالم اليوم والذي تتحدى فيه هذه الشواهد التقدم التكنولوجي والعمراني الحديث، تبقى سمة الأصالة والثقافة التراثية جزءاً لا يتجزأ من عالم اليوم والغد إن شاء الله، حيث دخلت هذه الشواهد المعمارية فصولاً جديدة من فصول التأهيل والحياة، ألا وهي صناعة السياحة وهي تحد جديد أمام هذا الإرث المعماري الذي تحكمه قوانينه وإدارته الخاصة، فعندما نتحدث عن المواقع الأثرية علينا ألا نجهل إدارة هذه المواقع بكل الأساليب المتطورة واستخدام كافة الوسائل الحديثة للمحافظة على هذه المباني، فهي جزء من ثقافة معمارية وهي كذلك جزء من صناعة ذات قوانين حديثة ومعروفة، وهي جزء من قانون الطبيعة، وهي جزء من صناعة حديثة تماشت مفرداتها مع عالم اليوم. فصناعة السياحة الآن جزء من ثقافتنا ومن اقتصاد السوق، وتأتي في المرتبة الثانية من الناحية المالية بعد صناعة النفط. والسياحة نشاط متنام، وهي صناعة لا تتطور بسرعة، بل يتعين أن تتاح لها الفرصة للنمو بشرط عدم تجاوز قدرة الموقع والبنية الأساسية المعاونة فيه. وكما أشير في إعلان مانيلا الصادر عن منظمة السياحة العالمية فإن المكسب الاقتصادي ليس



الهدف الوحيد للسياحة، إذ ينبغي للسياحة أن تنهض بنوعية حياة السكان المحليين دون الإضرار بالثقافة المحلية.

إن زيارة المواقع التاريخية والتراثية يمكن أن تكون تجربة ناجحة. ويسعى معظم زوار المواقع التاريخية والتراثية إلى القيام بنزهة أو تغيير منظر أو اكتساب تجربة تحكي للناس لدى عودتهم إلى ديارهم. ويهتم البعض بتراثهم الثقافي، في حين يهتم البعض الآخر بالآثار أو المعمار. ويتمثل جزء من مهام المدير في جعل الزيارة ممتعة ومهمة بالنسبة لكل فرد، وسوف يساعد ذلك في تحقيق الدعم السياسي لصون التراث الثقافي والفكري واكتساب الخبرة والترويج عن الموقع، وتوفير فرص العمل والدخل. ومن الممكن أن يخرج بعض الناس باهتمام أكبر بثقافتهم عما كانوا عليه عندما جاءوا إلى المكان.

وإذا لم يتمتع الأطفال وطلاب المدارس بزيارتهم، فقد يتجنبون جميع المواقع التاريخية والتراثية لعدة سنوات ولن يأتوا إليها.

وتتحقق عملية جعل الزيارات ممتعة ومهمة من خلال التفكير في البنية التحتية للموقع منها، مصالح ومواقف الزوار قبل التفكير في الموارد، ويمكن أن يكون ذلك أمراً صعباً بالنسبة لمديري المواقع التراثية الذين يعتبر الكثير منهم أن الزوار ليسوا سوى فكرة تخطر على البال في وقت متأخر. وسوف يقدم الخبراء في مجالات السياحة والإدارة والزوار والعرض والتسويق مساعدة كبيرة في هذا المجال، وسوف تساعد مسوحات الزوار في تحديد اهتماماتهم والأماكن التي جاءوا منها ومدى الفترة التي سيمكثون فيها وما إذا كانوا سيعودون مرة أخرى.

ينبغي أن تبين خطة الإدارة لموقع تراثي أهداف خدمة الزوار، وسوف يتعين مناقشة هذه الأهداف مع لجنة الموقع والسلطات المحلية وهيئات السياحة لضمان عدم وجود أي تضارب في هذه الخطة. ويتعين أن تعالج هذه الخطة بعض المسائل مثل الدخل من الرسوم المفروضة، الفوائد التي تعود على أعمال السياحة المحلية، الأضرار المحتملة التي يمكن أن تلحق بالمواقع التراثية، والكيفية التي يمكن بها التعاون مع الزوار المحيطين، والازدحام وانخفاض أعداد السائحين في أوقات الذروة وتركيبة الزوار. ويتعين التمييز بصورة مفيدة بين الناس الذين يأتون في جولات والذين يقضون إجازاتهم، وزوار



النهار، والفرق المدرسية، ومندوبي المؤتمرات، والخبراء الزائرين، ويتعين أن يكون لخطة الإدارة أهداف مختلفة لكل فئة من هذه الفئات.

ومن الأمور الواجب إتباعها لخدمات زوار المواقع التراثية والتاريخية والمتاحف هي:

- الترحيب الودي والمعاونة في حل أية مشكلة أو حادثة.
- يجب أن يكون الموقع نظيفاً خالياً من المخلفات وحسن الصيانة.
- سهولة الوصول إلى الموقع.
- العرض لقصة المعلم التاريخي أو الموقع وكنوزه بطريقة يمكنهم فهمها.
- الأمان والحماية للزوار لأنفسهم وممتلكاتهم.

وبحسب العرف العام، فإن الزوار الذين يقضون ليلة بعيداً عن منازلهم يطلق عليهم لقب السائحين. وسوف يحتاج هؤلاء الناس إلى فنادق وبيوت للشباب ومواقع مخيمات ومطاعم وأنواع مختلفة من وسائل النقل كما قد يحتاجون إلى متاجر لتلبية احتياجاتهم النوعية. ويعد توفير جميع هذه الوسائل أمراً مهماً بالنسبة لمواقع التراث الثقافي، لأنه بدونها لن تصل الثقافة إلى الكثيرين. وهذه الخدمات ليست المهمة العادية لمديري المواقع، إلا أنها تتطلب التعاون بين السلطات العامة والقطاع الخاص، حيث ستؤدي الإدارة الجيدة للزوار إلى الحد من الحاجة إلى الإنفاق على أعمال التسويق، والترويج والإعلان عن الموقع التراثي.

طريقة العرض

وقد تتعرض بعض المواقع الأثرية للتلف بفعل عوامل كثيرة، ولذا فإن طريقة العرض الجيدة في مواقع التراث الثقافي سوف تقلل من احتمال حدوث ذلك. ويمكن حل الكثير من مشكلات الأمن الأخرى من خلال الإدارة الجيدة المقترنة بأعمال الصيانة الدورية المباشرة. ويمكن للسياحة للأسف أن تتسبب في حدوث إفراط في تلف الموقع. وعلى الرغم من أنه لا توجد دراسات حالية عن الأضرار التي يلحقها الزوار، فإن القرائن العارضة تبين حدوث زيادة في تكاليف المحافظة على الموقع.

وفي الأماكن الأثرية، ينبغي إصدار التعليمات للزوار بالتزام الهدوء وتجنب التقاط الصور بالفلاش، وينبغي مراقبة عمليات التدخين والتخلص من النفايات، وينبغي أن يلتزم الزوار بالسير في الممرات ومنعهم من قطف الأزهار وخربشة النقوش.

ويقع على المرشدين في المواقع التاريخية والتراثية والمتاحف مسؤولية بالغة حيث إن تعامل الموظفين مع الزوار يعتبر أهم عامل بمفرده في جعل زيارتهم ممتعة. وينبغي الترحيب بكل زائر بصورة شخصية قدر المستطاع، وينبغي أن يكون هناك مصدر واضح وحسن وعليه علامة واضحة للمساعدة في حالة وقوع حادث أو مشكلة، وينبغي الإشارة إلى أية أخطار نوعية، بما في ذلك الحيوانات أو النباتات الخطرة أو السرقة وغير ذلك.

ولا يوجد شيء يفسد تجربة الزائر أكثر من أن يتعرض للإحباط خلال زيارته من جراء تجاهل المرشدين له لطلب ما، وأيضا يتعين على موظفي الحراسة، أن يراقبوا حوادث السرقة أو التلف، في الوقت الذي يعاملون فيه الزوار باعتبارهم ضيوفاً ينبغي الترحيب بهم ومساعدتهم. ومن المهم أن يتعامل المرشدون باحترام في جميع الأوقات مهما كانت المضايقات التي تصدر عن الزائر.

لافتات إرشادية

وينبغي وضع لافتات وخرائط كبيرة تبين تصميم الموقع في مواقف السيارات، فضلاً عن الأماكن التي يمكن أن يفقد فيها السياح طريقهم. ويمكن تثبيت اللافتات حيثما لا تتسبب في إلحاق أضرار بالهياكل القديمة للمواقع أو إفساد المناظر. وتساعد الملاحظة الدقيقة لسلوك الزوار في وضع اللافتات في أماكن واضحة.

وينبغي أن يكون الغرض من اللافتات هو معاونة الزائر وليس استرعاء الاهتمام المباشر بالضرورة إلى أهم المواقع، وينبغي للمرشدين أن يضعوا شرائط على الاذرع أو ملابس موحدة حتى يمكن التعرف عليهم بسهولة وطلب المساعدة منهم.

وتعد النظافة في المواقع التراثية من الأمور المهمة التي يجب الانتباه لها حيث إن أفضل وسيلة لمنع تراكم الفضلات هو التقاط ما يسقط منها فوراً، وينبغي تفريغ أوعية الفضلات بصورة منتظمة، وفي بعض البلدان يتساقط قدر أقل من الفضلات إذا لم تكن هناك أوعية فضلات على الإطلاق. وفي بلدان أخرى تعد الغرامات المفروضة على إلقاء الفضلات رادعاً في هذا المجال، وحيثما يتم استخدام جزء من موقع تراثي لأغراض ترفيهية أو لأحداث خاصة، فإن من الأفضل أن يطلب من المنظمين إزالة جميع الفضلات والمعدات الخاصة والمواقف، وغير ذلك بمجرد انتهاء الحدث. ومن الأمور التي يجب أخذها بعين الاعتبار الاستخدامات التي يجب أن يستخدم فيها الموقع بالإضافة إلى الزوار، منها الاستخدامات الخاصة بالموقع التراثي ومنها استخدامه لتصوير الأفلام فهي عملية مربحة وتحقق دعاية جيدة. ومع ذلك يتعين إصدار تعليمات واضحة لصانعي الأفلام وأطقم التلفزة لمنعهم من إلحاق أضرار بالموقع نتيجة للإهمال. كذلك فإن الحرارة الناتجة عن الأضواء التي يستعملونها يمكن أن تضر بالمواد التراثية وتنطوي على أخطار قد تسبب الحريق.

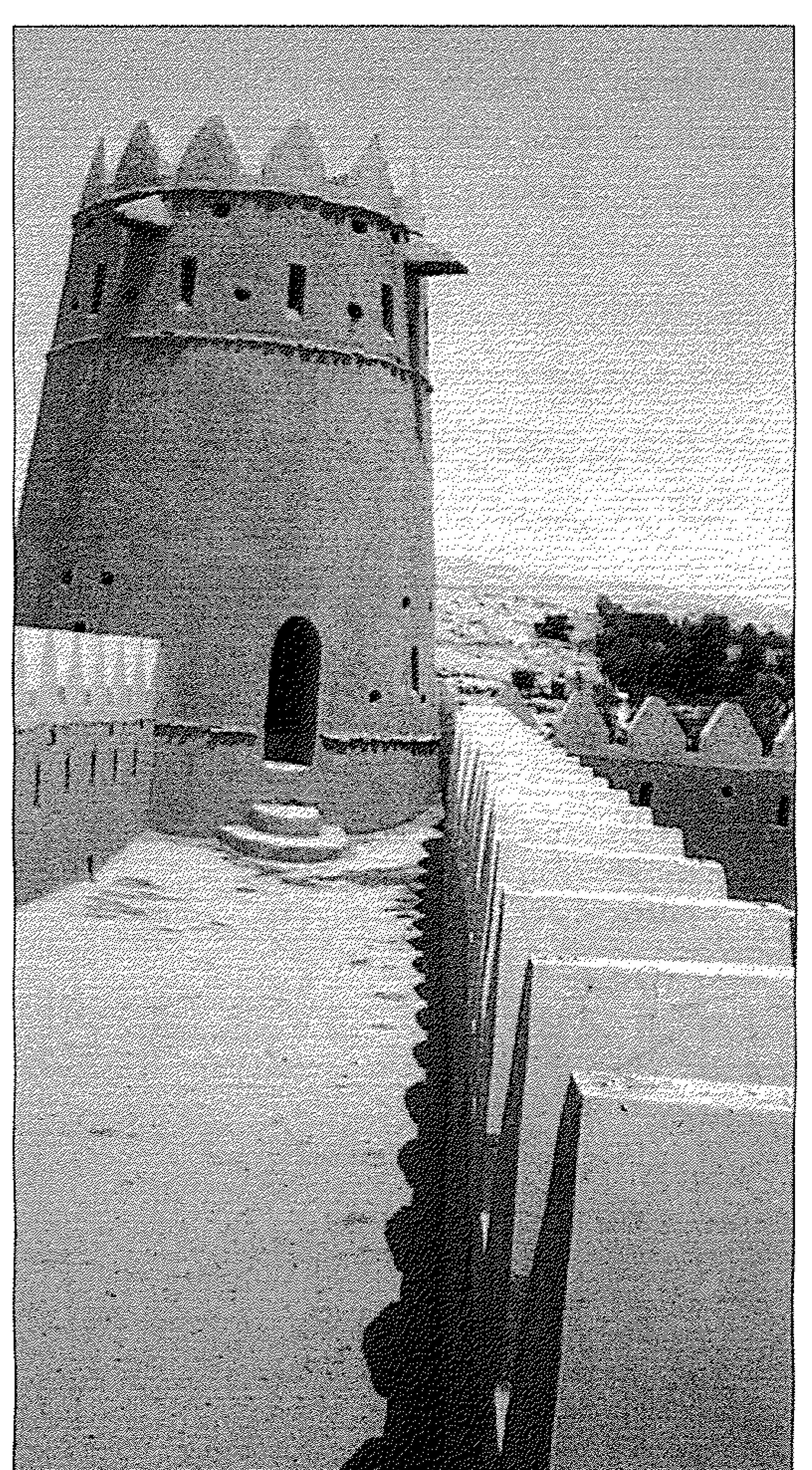
وينبغي الإبقاء على مواقف السيارات في حالة نظيفة، ويتعين ملء البرك أو الرقع الطينية. وينبغي وضع تحذيرات من السرقة. وتقسيم المناطق الشاسعة لوقوف السيارات بالقرب من المواقع التراثية بواسطة أسوار أو نباتات أو مناظر طبيعية أو تجنبها على الإطلاق. وحيثما تستخدم مواقف السيارات البعيدة، ينبغي اتخاذ الترتيبات لمساعدة الأشخاص من كبار السن والمعاقين للوصول إلى الموقع.

رواية التاريخ

ومن الجدير بالذكر أنه يجب أن نتكلم عن هوية المبنى فقد تنطوي جميع مواقع التراث الطبيعي على أكثر من

«يمكن للسياحة، للأسف، أن تتسبب في حدوث إفراط في تلف الموقع»





قصة هامة تروي عن تاريخها، والطريقة التي أقيمت أو دمرت بها، الناس الذين عاشوا هناك، مختلف النشاطات والأحداث وهناك الاستخدامات السابقة للموقع وربما قصص عن الكنوز البارزة. ولدى عرض وتفسير القصة التاريخية للموقع التراثي يتعين أن تكون انتقائية، والبت في العناصر التي يمكن أن تكون موضع أكبر قدر من الناس الذين سوف يجتذبهم الموقع، وفي كثير من الأحيان، فإن قصص الاهتمامات البشرية هي الأكثر شعبية. وبذلك يتعين تحديد أهداف تفسير الموقع التراثي بصورة واضحة قبيل بدء العمل واستعراضه بصورة منتظمة في ضوء التجارب والتفكير المتغير.

وينبغي اختيار الوسيلة التي تستخدم لتفسير تاريخ الموقع لكي تؤثر بقدر أكبر على جميع الزوار دون الإضرار بمظهر أو محيط الموقع التراثي. فعلى سبيل المثال، قد تتسبب معدات عروض الصوت والضوء في إحداث أضرار في الجدران التاريخية أو حجب المحيط الشامل خلال ساعات النهار. كذلك فإن اللافتات التي تفسر الأشياء يمكن أن تفسد المناظر وتتسبب في أضرار نتيجة لتثبيتها. ويمكن أن تشمل الوسائل المستخدمة في التفسير والشرح ما يلي:

- لافتات مكتوبة بوضوح، ألواح إرشادية، خرائط، منشورات، كتيبات إرشادية، كتيب هدايا، كتب مراجع بمختلف اللغات حسب المطلوب.
- مرشدين.
- متاحف ومعارض ونماذج وأمثلة على مواد البناء ونسخاً من المعالم الفنية والصور والعملات والمجسمات.
- صور ديوراما وأماكن الاستماع ومسجلات الأشرطة المتنقلة.
- الأفلام، والتلفزيون، والفيديو، وعروض الشرائط، والشرائط والشرائح المصورة، والمسرحيات والموسيقى، وعروض الصوت والضوء، والضوء للتركيز على بعض الجوانب.

ويمكن أن ترتكب الأخطاء بسهولة في استخدام الوسائل: فالأموال يمكن أن تتبدد، ومظهر الموقع يمكن أن يتضرر، كذلك فإن الجولات المنظمة يمكن أن تضايق الزوار الآخرين، كما أن المنشورات والألواح الإرشادية يمكن أن تكتب بخط رديء. فإن من الأفضل

البدء بتحديد الرسالة التي يتعين نقلها وتحديد الجمهور الخاص بها. وكل موقع فريد في طابعه، ويمكن أن يكون قد نجح في أحد مواقع التراث قبل أن يكون فعالاً بالنسبة للمواقع الأخرى. وينبغي السماح بميزانية كبيرة والسعي إلى الحصول على مشورة متخصصة في تفسير جميع مواقع التراث ذات الأهمية.

ومن المفيد في كثير من الأحيان بيع المطويات الإعلانية، والكتيبات الإرشادية البسيطة التي يسهل فهمها من جانب أولئك الذين لا يتمتعون بأية معرفة سابقة عن الموقع أو أن معارفهم قليلة عنه. ويمكن أن تصمم تلك المطبوعات بطريقة تسد بعض الثغرات في المعلومات التاريخية. وينبغي تزويد الدارسين الجادين بكتيبات إرشادية مفصلة يتم مراجعة دقتها بواسطة خبراء وتكون خالية من التفسيرات الحدسية وتشمل مراجع للحصول على مزيد من المعلومات.

وكثيراً ما تقدم المعلومات السياحية العامة في المواقع التراثية. وذلك عن طريق مكاتب تنشأ لهذا الغرض، ويعد ذلك خدمة مفيدة، بل ومربحة في بعض الأحيان حيث تتراوح بين بيع الأدلة والخرائط السياحية وتقديم المشورة والحجز في الفنادق والمسارح وتوفير المنشورات عن المناسبات الأخرى وتقديم المشورة بشأن وسائل النقل. فإذا كانت هذه الخدمات واسعة النطاق ينبغي فصلها عن الإعلام وعن موقع التراث في حد ذاته، وذلك حتى لا يكون هناك تجمع للزوار، ومن ناحية أخرى فإن الكتب حسنة التصوير التي تذكر الناس بزيارتهم، وبطاقات البريد المصورة والكتب عن مختلف الموضوعات ذات الصلة بالموقع والهدايا التذكارية، يمكن أن توفر مصدراً هاماً للدخل.

مواصفات خاصة

وسوف يتعين أن تكون الألواح الإرشادية التي تفسر الموقع حسنة التصميم ومصنوعة من مادة متينة مع حروف جذابة وألوان مختارة بعناية. وينبغي أن تستخدم كلها نفس نمط الرسوم البيانية التي ينبغي أن تكون متميزة بوضوح عن تلك المستخدمة في علامات التوجيه أو التحذير. وينبغي تجنب التعبيرات التقنية إلا إذا وضعت بين قوسين. وسوف تكون في كثير من الأحيان أهم جزء في تفسير الموقع، وينبغي إسناد أولوية قصوى لعرضها. ومن الصائب إسناد مسؤولية التصميم ووضع جميع اللافتات إلى شخص واحد على وعي بالنواحي المرئية وأن يراقب أيضاً كمية اللافتات التي يحتاجها الموقع.

وينبغي أن تكون العروض السمعية والمرئية على أعلى مستوى من الجودة، والطول الأقصى المقبول بالنسبة لها عادة هو ما بين ١٠و١٥ دقيقة. ويمكن أن تكون عروض الصوت والضوء أطول كثيراً من ذلك، إلا أنه ينبغي مراعاة أن تكون الكتابة مسرحية ودقيقة من الناحية التاريخية دون تحيز أو تمييز.

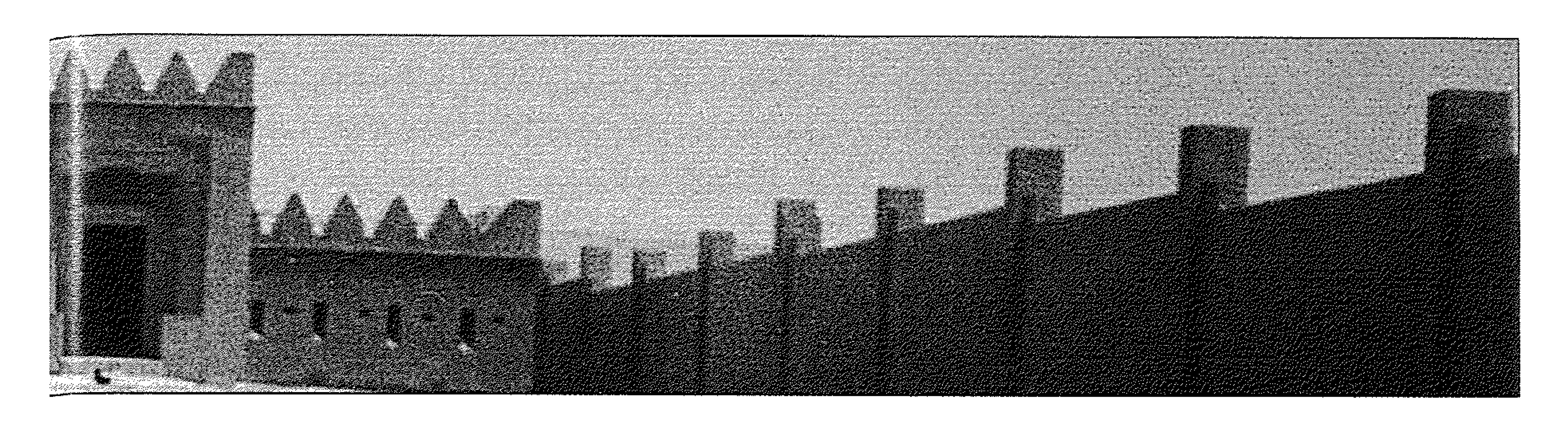
ويمكن استخدام إنتاج النسخ المصغرة أو التي بالحجم الكامل في المساعدة في توضيح الأحداث السابقة في الموقع، وتنطوي هذه النسخ على ميزة أنه يمكن استبدالها عندما تصاب بأضرار أو تبلى. وينبغي قدر المستطاع استخدام نفس المواد التقليدية للأصل، حيث إن المواد الحديثة مثل البلاستيك لن تتحمل بنفس الطريقة.

ونظراً لأن اللغات واسعة الانتشار (مثل الإنجليزية والفرنسية)، تنطلق بلهجات مختلفة في مختلف أنحاء العالم، فلا يمكن الافتراض بأنها سوف تفهم من جانب الزوار حتى من المتحدثين المحليين. ويمكن أن يؤثر هذا العامل في استخدام مواقع الاستماع والمرشدين لدرجة أنه من الأفضل في بعض الأحيان استخدام المواد المكتوبة فقط. وتوفر شاشات العرض التي يمكن سؤالها من خلال أزرار ضغط، وتقدم ردوداً مكتوبة وبرسوم بيانية، بديلاً لمواقع الاستماع.

مواصفات المرشدين

وينبغي أن يكون المرشدون مدربين تدريباً جيداً وواسعي المعرفة، وأن يكونوا حاصلين على تراخيص من المؤسسة ذات العلاقة أو من إدارة موقع التراث. وينبغي تجميع إدارات المدارس وإعطاؤها معلومات موجزة عن الموقع في منطقة تخصص لهذا الغرض، ويفضل أن تكون داخل المبنى. ويمكن أن يساعد المدربون من الموظفين، مدرسي الأطفال على توضيح موقع التراث، ومن المفيد دعوة المدرسين الزائرين إلى مشاهدة الموقع والحصول على معلومات موجزة عنه قبل إحضارهم مع هذه الفرق. وسوف يكون توافر المواد التعليمية للمدرسين أمراً مفيداً في هذا المجال.

ويمكن توضيح الحفريات الأثرية بواسطة ألواح



إعلامية أو مرشد أو كليهما، وقد يحتاج الأمر إلى ترتيب خاص لتيسير الرؤية مثل منصات مشاهدة للزائرين وذلك لتجنب توقف هذه الحفريات. ويتعين تحديث المعلومات على أساس منتظم والإعلان عن الاكتشافات الخاصة للصحافة وذلك فقط خلال الأوقات التي لا يحتمل أن يزيد ذلك من مشكلات إدارة الزوار. وسوف يفهم الأطفال قصة الموقع التراثي بصورة أفضل إذا ما تمكنوا من الحديث إلى الممثلين الذين يؤدون أدواراً تاريخية، أو المرشدين، أو إذا قاموا بمشاهدة أو حتى المشاركة في عملية إعادة تمثيل الأحداث الكبيرة والإنصات إلى الأغاني الشعبية أو مشاهدة عروض الصوت والضوء مع الممثلين. وينبغي أن يكون الممثلون حاضرين في المناسبات والعروض التي يتم الإعلان عنها بدرجة كبيرة. وينبغي أن يتناسب العرض مع الجمهور النوعي الحاضر وأن تكون المعلومات دقيقة وبسيطة سهلة الفهم بالنسبة للأطفال.

إدارة الزوار

يمكن أن تضمن تقنيات إدارة الزوار ألا تلفت الأعداد الكبيرة من الزائرين الأنظار بعيداً عن التمتع العام بالموقع، وتمنع التقدير السليم لهذا الموقع، أو تتسبب في أية أضرار مادية للموارد التاريخية ويمكن أن تقلل هذه التقنية أيضاً من تكاليف الصيانة وتزيد من الدخل.

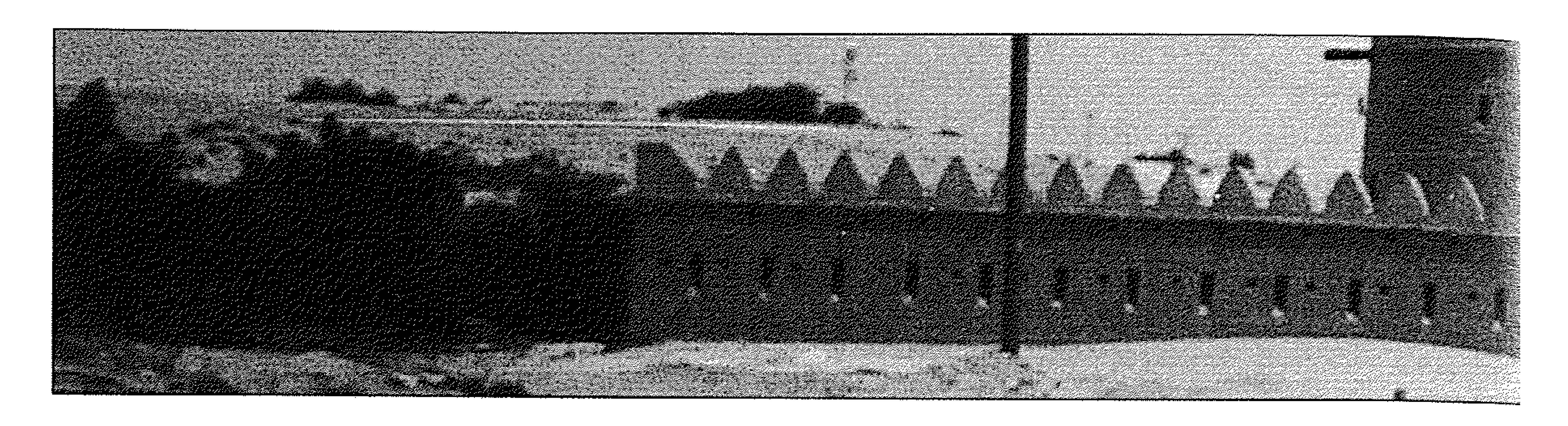
ويمكن التقليل من الضغوط المفرطة للزوار إذا كانت هناك مواقع جذابة أخرى قريبة. وتشمل هذه المواقع حدائق الحيوان وأحواض الأسماك ومتنزهات قضاء أوقات الفراغ أو الشواطئ أو وسائل الترفيه الحية. ونظراً لأن معظم مواقع التراث هي تلك التي تكون معروفة جيداً وتم الترويج لها مع عدم وجود مواقع جذابة أخرى قريبة، ففي هذه الحالة يمكن الاعتماد على المواقع الأخرى ذات الشهرة المعروفة للترويج عن الموقع اوالاعتماد على المواقع ذات الخدمات الخاصة والجذابة بالنسبة للجمهور.

ويمكن الحد من تلف الأرضيات من خلال وضع أغطية من السجاد أو الموكيت أو المطاط وغير ذلك. ويمكن المحافظة على الحشائش من خلال نقل الممرات بصورة منتظمة إلى مسافة متر أو نحو ذلك إلى أحد الجانبين. وليس من السهل إصلاح الأضرار الناجمة عن ملامسة الآلاف من الأيدي أو عن الأنفاس البشرية، لذا قد يكون من الضروري في بعض الحالات وضع ضوابط لإبقاء الناس على مسافة آمنة.

وينبغي السماح للزوار بمشاهدة المواقع التراثية التي يختارونها. وحيثما يكون هناك لأسباب أمنية أو نقص في الأماكن، تستحيل الرؤية الفردية. ويمكن أن تتباين سرعة تجول الفرق الموجهة للمرشدين وإعطاء الزوار فرصة الاختيار بين الجوانب السريعة والأكثر بطئاً والجولات الأكثر تفصيلاً. ونظراً لأن الجماهير داخل المباني يمكن أن تزيد من الرطوبة النسبية لدرجة تصل إلى مستويات مدمرة، قد يتعين التحكم بصورة جادة في أعداد الزوار في وقت واحد.

- يتعين لطرق الزوار أن تتيح فرصة الاتجاه الطبيعي للناس للدوران ناحية اليسار لدى الدخول إلى أي مكان.
- ينبغي أن تقام المتاجر بصورة مريحة بالقرب من الدخول أو الخروج من الموقع.

ويتعين تحديد رسوم الدخول، وذلك حتى يتم تحسين الخدمات المقدمة للزوار دون الحد من الأموال المتاحة لأعمال المحافظة على الموقع التي يجب إبقاؤها في بند منفصل في الميزانية. ويمكن أن تتباين رسوم الدخول من يوم لآخر للتشجيع على توزيع حمولات الذروة وتعد أفضل وسيلة لتحديد مدى الاهتمام والتمتع بالموقع. فإذا كان الناس يدفعون مقابل زيارتهم



للموقع، فإنهم يتوقعون أن يحصلوا على قيمة مقابل ما دفعوه من أموال وإعلان انتقاداتهم. ويمكن أن تساعد أيضاً العائدات الإضافية من بيع الطعام أو مبيعات الدراسات، والصور، والرسومات، والأدلة، أو الهدايا، وغير ذلك في تطوير الموقع وإفادة زواره. وقد تظهر شكاوى عندما تفرض رسوم الدخول لأول مرة، وفي مثل هذه الحالات، قد يكون من الصائب منح السكان المحليين بطاقات مرور مجانية أو السماح بالدخول المجاني في أحد أيام الأسبوع (الهادئة) أو بعد ساعة معينة. كذلك يمكن أن تكون رسوم الدخول طوعية مع ترتيب بأن يمر هؤلاء الذين لايدفعون من خلال البوابة والموظفين.

وحيثما يكون ممكناً، ينبغي أن يسمح رسم واحد للدخول لموقع التراث بأكمله، حيث إن ذلك يحقق أكبر قدر من الدخل مقابل أقل قدر من تكاليف الموظفين. أما إذا كانت هناك مبانٍ مختلفة يتعين دخولها، فيمكن وضع علامة على البطاقة الواحدة عند كل نقطة دخول. وإذا كان عدد المواقع كبيراً، قد يتعين عرض بعض الاختيارات للإبقاء على سعر البطاقة شاملاً ومعقولاً. وفي هذه الحالة، ينبغي أن تكون الخيارات المتاحة واضحة وينبغي ايضا فرض رسم للعائلة الواحدة بدل رسم لكل فرد. وعموماً، ينبغي أن تراعى إدارة الزوار الترتيبات المادية وعمليات الإقناع بالقواعد وعلامات الحظر.

استراتيجية للترويج والتسويق

وتشمل إدارة الزوار في المواقع التراثية والتاريخية، وضع استراتيجية للترويج والتسويق وذلك عن طريق الإعلان المرئي والمسموع أو عن طريق الإعلان المقروء أو عن طريق الكتيبات الإرشادية لدى شركات السياحة مما يؤدي الى زيادة أعداد الزائرين للموقع. ومن الجدير بالذكر أن من غير المرغوب فيه وجود صفوف طويلة للسماح لها بالدخول إلى المرافق حيث إن ذلك يقلل من رضاء الزائرين ويؤدي إلى ازدحام الموقع وأماكن دخول السيارات. وينبغي تحديد السعة القصوى للزوار وعدم تجاوزها. وعلاوة على ذلك، يمكن أن يؤدي الشعور بالازدحام إلى التقليل من الحساسية في استخدام تقنيات إدارة الزوار.

ونظراً لأن مواقع التراث التاريخية تشكل أصولاً اقتصادية وثقافية هامة، فإن من المحتم أنه سوف يتم التوعية بها والإعلان عنها والترويج لها من خلال أولئك الذين تتمثل واجباتهم اليومية أو اهتماماتهم بهذا الأمر. فإذا لم يكن لدى إدارة الموقع الخبرات اللازمة للقيام بذلك بصورة تحقق عائدات تكاليفها، فينبغي أن تؤثر في الطريقة التي سيتم بها ذلك من أجل الحصول على أكبر الميزات للموقع وأقل التكاليف لصونها.

ولأغراض الترويج، يشكل موقع التراث منتجاً وطنياً في السوق العالمية يتعين وصفه بصورة صحيحة وإن كانت متألقة من أجل اكتساب الزوار، على أن يتم ذلك من خلال توضيح مطلق لنوع وحجم المرافق المتاحة. وتعد التغطية الصحفية أفضل بكثير من الإعلانات، ومن ثم ينبغي تشجيع الزوار من الصحافة. ويتعين مساعدتهم من خلال توفير المعلومات الصحيحة وتوفير مجموعة من المعلومات الصحفية لهذا الغرض.

وينبغي تصميم جميع المواد الترويجية والإعلانات بمستوى رفيع لتحقيق المصداقية للموقع وخدماته، غير أنه يتعين– قبل تكبد أية مصروفات على الترويج– تحديد الجمهور المستهدف بصورة دقيقة وتعيين اهتماماته.

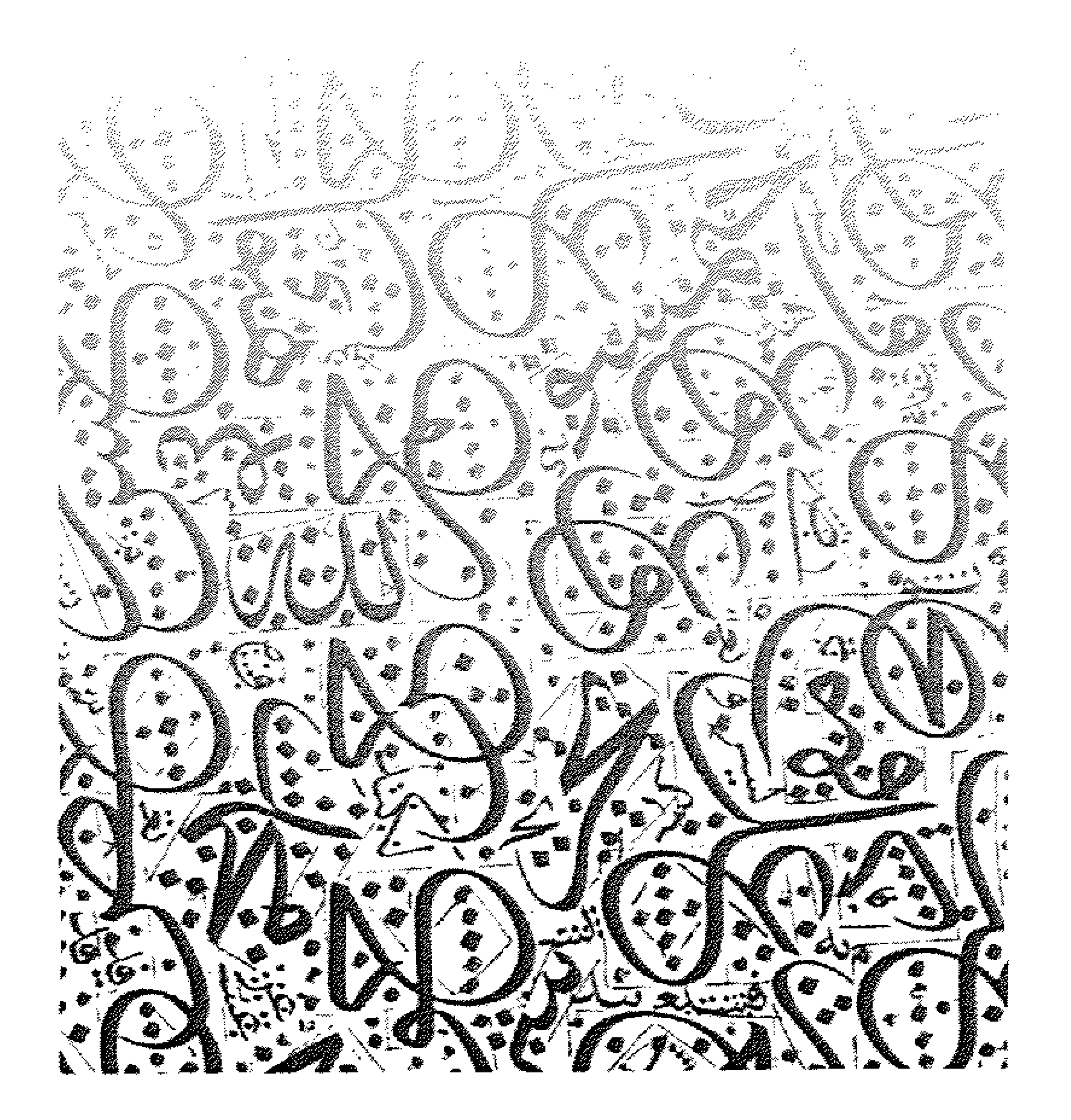
وهكذا فمن الضروري إيجاد توازن بين تنمية السياحة وصيانة المواقع التاريخية والأثرية وتنسيق الجهود لتحقيق منفعتهم المتبادلة.■

اللغة العربية.. والإعجاز

■ أ. د. محمد رضوان الداية

(١)

نَعِمَ العربُ بمزية عظيمة تميزوا بها من بين سائر الأمم، ونعمت اللغة العربية بفضل كبير على سائر اللغات بأن شرف الله تعالى العرب بنزول آخر الرسالات على نبي منهم، وشرّف لغتهم بأن كانت هي اللغة التي نزل بها آخر كتاب سماوي منزل: كتاب الله العظيم: القرآن الكريم.



ومنذ أن سمع الناس في مكة، ثم في جزيرة العرب آيات كتاب الله تتلى عليهم وقفوا منه أحد موقفين:

- فيهم من أنفذ آيات الكتاب الكريم إلى سمعه وقلبه فأسرع إلى الإسلام: تقوده قناعة الإيمان، ونصاعة القرآن، وتلقي ما يتلى عليه بنبض الوجدان، وانشراح الصدور له بقناعة الجنان.

وفيهم من وضع بينه وبين الهدي المبين حجاباً حاجزاً صفيقاً، ومد وادياً عريضاً سحيقاً، وكان هؤلاء المعاندون المعارضون إذا ثابوا إلى شيء من روية القلب، وشيء آخر من ملكة الفهم، ومن التجرد عن العناد لانوا شيئاً قليلاً أو كثيراً، ثم ردهم استكبار نفوسهم أوشيطان شخوصهم، فازدادوا عناداً، وتلبسوا كفراً، وأضاعوا فرصة بعد فرصة للاستنارة بالسراج المنير، ولاذ بعضهم ببعض بين كافر بالحق جاحد، وظالم بنفسه معاند، يلتمسون شيئاً يتقولونه في سيرة النبي ﷺ في الأربعين عاماً التي عاشها بينهم، وفيهم، قبل النبوة فلا يجدون ما يقبله عقل، أو يأثره خبر، ويلتمسون حجة تسوغ لهم كفرهم بالقرآن الكريم، وبما دعاهم إليه ﷺ فيعجزون. إن هي إلا المعاندة التي يأنفون معها من طاعة رسول الله ﷺ، والمكابرة التي يغطون بها نداء العقل فيهم إذا ناداهم.

(٢)

حين أذن الله سبحانه وتعالى بظهور خاتم الأنبياء، ونزول آخر الرسالات واختار للتكليف - أول ما كان- جنس العرب، واختار لكلامه لغة العرب إذ كانت اللغة العربية قد بلغت ذروة النضج: لغة عالية راقية وأداة تعبيرية كافية. وكان الشعر العربي وألوان النثر الفني قد وصلت إلى الغاية من الفصاحة والبلاغة في مأثور كلامهم وفي قدرات بلغائهم:

- من لغةٍ اشتقاقية قادرة على التوسع، والانفتاح،



دون فقدان أي جانب من جوانب الذاتية والهوية.
- ولغة ذات أصول وقواعد واضحة.
- ولغة معربة تستمتع بأعلى درجات الإيقاع الصوتي والجرس الموسيقي.
- ولغة قوية قادرة على احتواء ما تحتاج إليه من ألفاظ الأمم التي هي من خصوصياتها، وتجعل ذلك في إطار خصوصياتها ومقوماتها، فإذا الجديد الوافد قد حمل هوية اللغة، وأصواتها وسماتها، وصار كأنه منها في مدة قصيرة.
- ولغة واسعة تتيح لأبنائها أن يصيبوا فيها ما تحتاج إليه دقائق الأفكار، ولوامع الإبداع، ومباني المعاني، وخلجات العواطف، وأن يتصرفوا من خلال قواعدها، وأصولها وقوانينها بحيث يوجدون اللفظة التي يريدونها والعبارة التي يحتاجون إليها.
- ولغة طيّعة على لسان المتكلم وقلم الكاتب، سائغة حديثاً وكتابة، بالغة التناغم والتناسق. ومن هنا سماها العقاد «اللغة الشاعرة». على أن هذا لا ينقص من الجوانب الأخرى للغة القوية البارعة في العلوم والفنون وسائر مناحي الحياة.
- ولغة ذات تاريخ قديم عريق، انتشرت عروقها في كثير من لغات الناس في كل اتجاه. ودارسو اللغات المهتمون بالجوانب المقارنة، يقدمون حالاً بعد حال مايدل على عراقة اللغة العربية الأم، وضربها في أعماق التاريخ. وفي الباحثين من تحدث عن «المدارك» القديمة الأصيلة التي نجدها في اللغات الأعرابية (المسماة خطأً بالسامية)، ووُجد مشابه لها في لغات متباعدة الأقطار، مختلفة الشعوب.

(٣)

لقد وسعت اللغة العربية كتاب الله العظيم[١]، وكان لنزول القرآن الكريم باللغة العربية أثر مهم جداً، فقد وسعته اللغة، وفتح جوانبها من كل اتجاه؛ وأغناها غنى بما صار يعرف بـ (المصطلحات الإسلامية) أو: المعاني الإسلامية، وهو غنى قابل للتوالد، والاتساع، كلما دعت الحاجة إلى ذلك في المقاصد والموضوعات المختلفة.

وهكذا صارت اللغة العربية: لغة الإسلام، ولغة المسلمين:

- فهي لغة الإسلام للمعاني التي ذكرناها، والمقاصد التي أشرنا إليها، ولكل ما يتعلق بذلك: بها نزل القرآن الكريم، وبها وقع التحدي، فقد قيل للعرب (ومن ورائهم للناس جميعا): إن كنتم لا تصدقون أن القرآن كلام الله وأنه كتاب منزل من عند الله، فأنتم مطالبون بأن تأتوا بمثله (على تنوع التحدي وتدرجه في آيات الكتاب الكريم المتعلقة بذلك).
- وإلى اللغة العربية يكون الاحتكام حين ينظر المسلمون – في زمان ومكان– في تفسير معاني الكتاب الكريم، وحين يصل الفقهاء إلى استنباط الأحكام، وحين ينظرون في بدائع المعاني، وحين ينظرون في نظم القرآن.

واللغة العربية هي اللغة التي تقام بها الصلوات، وتتم بها الشعائر (وهناك كلام للفقهاء في تدرج غير العربي في ذلك..).

والتعبد بقراءة القرآن الكريم يثبت -عند غير العربي- هذا الجانب، ويحفزه على إتقانها بالدرجة التي يستطيع الوصول إليها.

وصارت اللغة العربية لغة المسلمين: بها يعرفون الإسلام، ومن خلالها، وبها يقيمون شعائرهم، ويتلون القرآن الكريم.

وقد انتقلت اللغة العربية – مع الإسلام– من الدعاة العرب إلى البلاد التي دخلت في دين الله، وصارت اللغة الأولى لتلك البلاد: في الأمور الدينية وفي الأمور الدنيوية: سائر شؤون الحياة. وانتقلت العربية إلى غير المسلمين في البلاد الإسلامية الذين بقوا على دياناتهم السابقة كالنصرانية، وكانت العربية على سبيل المثال هي اللغة الأولى في الأندلس، حتى إن العربية صارت لغة الكنيسة في الصلوات والطقوس في مدة سيادة الحكم العربي.

وسرعان ما أتقنت الأمم والشعوب غير العربية لغة القرآن، وازداد اتقانهم لهذه اللغة حتى صار جيل الأبناء الأول (ومَنْ جاء بعدهم) من المشار إليهم في البلاغة والفصاحة شعراً ونثراً، وتأليفاً وتصنيفاً، ولقد تعمقوا في اللغة وألفوا في جوانب كثيرة من بيانها وخصائصها.

ومن خلال حركة التاريخ منذ اللحظة الإسلامية الأولى أن طبيعة العلاقة بين اللغة العربية والإسلام، وبين اللغة العربية والحضارة الإسلامية بالمعنى الواسع

تقتضي أن يبقى أبناء الأمة، على اختلاف أصولهم القديمة، وألسنتهم المختلفة متقنين للغة العربية، وأن يستمر هذا الإتقان، والرعاية جيلاً بعد جيل.

ومن الضروري للأسباب الدينية والحضارية أن تكون اللغة العربية هي اللغة الأولى عند المسلمين. نعم إنهم في حاجة إلى اللغة الأجنبية السائدة اليوم: الانجليزية (فهي لغة التعامل العلمي والسياسي) ولا مانع يمنع من أن يعرف كل شعب لغته أو لهجته باعتبارها تراثاً لا يؤثر سلبياً على وحدة اللغة التي تدعم وحدة الأمة وثقافتها العربية الإسلامية.

وهكذا تصير اللغة العربية ذات الخصائص الواسعة لغة الأمة من جديد، ويكون لذلك أثره البالغ في فهم القرآن، وإتقان أمور الإسلام إضافة إلى المعنى الوجودي الشامل لها. وتكون معرفة أبناء الأمة (على اختلاف شعوبهم) للغة العربية سلاحاً قوياً يدافعون به عن عقيدتهم ويتصدون لأعدائهم الفكريين الذين يتربصون باللغة العربية والدين الإسلامي، ويقتحمون عقول بعض أبناء المسلمين مستغلين جهلهم باللغة أو ضعفهم الشديد فيها.

(٤)

وعى العرب -وقد انضووا جميعاً تحت راية واحدة- حقيقة الإسلام وفهموا مقاصده، وحملوا رسالته، وتابعوا ما بدأ به رسول الله ﷺ من التبليغ، ومن توصيل الرسالة (وقد كُلفوا بذلك) إلى الناس: يعرضونها عليهم كما أمرهم الله تعالى تقريراً للناس فلا يدعوا أنهم لم يعرفوا بالإسلام. فإذا سمعوا كلام الله وعرفوا معنى (إن الدين عند الله الإسلام) واختاروا طريقهم: كانوا إذن على بينة مما اختاروا، وأدى المبلغ ما يجب عليه من التبليغ (ما على الرسول إلا البلاغ).

وكان القرآن الكريم هو البشارة للناس إذا آمنوا وعملوا بما أمر الله، وكان النذارة لهم إذا كفروا وصدوا عن سبيل الله، وكان هذا الكتاب الكريم هو المعجزة الباقية على مر الزمان: تحدى به الله تعالى الناس جميعا (في كل زمان وكل مكان) وصار معروفاً لمن يعاند أو يكابر أو يخالف ليأتوا بمثله أو بشيء من مثله. إضافة إلى الشواهد العظيمة ذات الجوانب المختلفة من الدلائل الصادقة على أنه كتاب منزل من عند الله تعالى يشهد بذلك تناسقه، وعدم تناقضه، وإخباره بما كان مما لا يعرفه العرب ولا النبي الكريم، وإخباره بما سيكون مما هو مطويّ تحت جناح الغيب، فصدقته الأيام والسنون، ويشهد له ما ورد فيه من إشارات ولمع وحقائق ظهرت للناس في وقت بعد وقت وزمان بعد زمان.

وقد كشفت العلوم الحديثة جوانب مما ورد في القرآن الكريم في سياقه وموضوعه في ما عرف في الدراسات القرآنية المعاصرة بـ: (الإعجاز العلمي في القرآن) مما لم يكن معروفاً أيام رسول الله ﷺ: لا عند العرب، ولا عند سائر الأمم. ومن يرجع إلى تاريخ العلوم يلحظ ذلك دون كبير عناء. وكان هذا الجانب باباً واسعاً لدخول كثير من أهل العلم من الأمم المختلفة في أنحاء الدنيا في العصر الحديث في دين الإسلام، مشفوعاً بشهادات ومطالعات يقدمها كل واحد فيهم بما عرف من العلم وتاريخ العلم، وما عاينه وعرفه معرفة اليقين من هذه الإشارات والإخبارات التي كانت قبل ذلك من المجهول المخفي والمخبأ المطوي.

(٥)

فَهِمَ العرب (من قريش ومن غيرهم) القرآن الكريم وعرفوا مقاصده وتبينوا ما يطلبه الإسلام ممن يدخل فيه، وأدركوا عمق الأثر الذي يتركه اعتناق الإسلام في المؤمنين بما جاء به. ولا نعرف أحداً من العرب قال النبي ﷺ إنه لا يفهم القرآن، أو لا يدرك معانيه؛ يستوي في ذلك من آمن منهم ومن كفر.

في كتب التفسير وأسباب النزول عند سورة (المدثر) خبر عن أحد كبراء قريش وذوي النفوذ فيها: الوليد بن المغيرة أنه استمع إلى آيات من كتاب الله الكريم، ذكر أنها سورة غافر ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ (غافر،١-٢)، وقد تضمنت هذه السورة ... من أصول الدعوة إلى الإيمان فابتدئت بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن الكريم. وأجرى في السورة على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه. وعقب ذلك بأن دلائل تنزيل هذا الكتاب من الله بيّنه لا يجحدها إلا الكافرون من الاعتراف بها حسداً، وأن جدالهم تشغيب[1]..



ولما سئل الوليد التعليق على ما سمع قال: «والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر..»[٢] ويقول الخبر إنه شاع في قريش أن الوليد كاد أن يصبأ[٣] -كما كانوا يقولون- فاحتال أبو جهل في استثارة عنجهيته، وفي تنفيره من الإسلام، ومن محمد ﷺ فاستكبر وتغير، وغلب وسوسة أبي جهل على مقتضى العقل، ونزل فيه قوله تعالى ﴿ثم أدبر واستكبر﴾ (المدثر٢٣).

وقد نفى الوليد نفسه -ونضرب منه المثل- ما كانت قريش تتقوله في محمد ﷺ، وفي القرآن الكريم، ورد ادعاءاتهم، قال: أنتم تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه قط يخنق؟ قالوا: لا والله، قال: وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟ قالوا: لا والله. قال فتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذباً قط..؟ قالوا: لا والله. قال فتزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط؟[١] ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً وتخالجاً[٢] فهل رأيتموه كذلك؟ قالوا: لا والله..»[٣]. وكان النبي ﷺ يسمى الصادق الأمين من كثرة صدقه...[٤].

وهكذا، أدرك العرب؛ كما عرف سائر المسلمين بعد ذلك؛ أن هذا الكتاب الكريم ليس من الشعر، ولا من كهانة الكهان، ولا من أنواع أقوال العرب المعروفة. وبرأوا النبي ﷺ من أية شبهة اختلاق أو كذب، وقد سموه من قبل الصادق، والأمين، والمأمون. وكأن عرب الجاهلية استبعدوا -دون أن يقصدوا هم إلى ذلك- وبأسلوب علمي دقيق أن يكون القرآن الكريم من كلام محمد ﷺ أو أن يكون من كلام الإنس أو الجن، ولكن المشركين توقفوا -وقد دعوا إلى الإسلام- عن الموافقة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى المعز، واضطربوا في ما يقولون أو يتقولون. فوقع التحدي؛ وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان. وكانت قريش في الجاهلية إذا استحسنت شعر شاعر اعترف به العرب شاعراً وبوأوه مكانة عالية، وكان لسانهم أعلى كلام العرب صحة وإبانة وتناسقاً.

ونقرأ في سورة البقرة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (البقرة:٢٣). وقوله تعالى (فأتوا بسورة) معناه التعجيز، لأنه تعالى عَلِمَ عجزهم عنه. والشهداء في الآية الكريمة الأنصار والأعوان، ثم قال تعالى ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة:٢٤)، قال المفسر: وفي قوله تعالى: ﴿ولن تفعلوا﴾ إثارة لهممهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن الكريم قبل وقوعها..[١].

(٦)

أعرض المشركون من قريش وغيرها من سائر العرب عن مجاراة القرآن الكريم، ومحاولة الإتيان بمثله، معرفة منهم بمستوى كلام المخلوقين وإن كانوا عباقرة في الشعر والخطابة ومعرفة اللغة، واقتناعاً ضمنياً بعلو شأن الكتاب الكريم وارتفاعه عن طاقة البشر، وقد قبلت قريش وصف الوليد بن المغيرة لما يتلوه النبي الكريم عليهم بالسحر إيهاماً منهم لأنفسهم بعلة لرفض الإسلام والبعد عن القرآن.

وقد تجدد التحدي، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، واستمر التنبيه على الحقائق (التي يقدمها كتاب الله تعالى لهم وللناس) والذي يصل أحياناً إلى التقريع: افتتاحاً للمستغلق من الفهوم، واستدراراً للقاسي من القلوب، واستجلاباً للعصي من النفوس.

وحين دخلت قريش -وسائر العرب- في دين الله أفواجاً بعد الحديبية، وبعد فتح مكة، وما وراء ذلك، تنبهوا إلى ما كانوا فيه من العماية، وقالوا في الاعتذار عما سلف من الإنكار للإسلام والنبوة والقرآن ما قالوا. وكان للشعراء كلام مهم في التنصل من جهالة الماضي، ونقرأ لعبد الله بن الزبعري رضي الله عنه (وكان أحد شعراء قريش) بعد إسلامه يخاطب رسول الله ﷺ من قصيدة:[١]

إني لمعتذرٌ إليكَ من الذي
أسديت إذ أنا في الضلال أهيمُ

وقال من قصيدة أخرى:

يا رسول المليكِ إنّ لساني
راتقٌ ما فتقت إذْ أنا بورُ

وقال في أخرى:

سَرت الهموم بمنزل السَّهم
إذْ كنّ بينَ الجلد والعظم[٢]

ندماً على ما كان من زللٍ
إذ كنتُ في فتنٍ من الإثم

إلى أن يقول في هذه القصيدة:

فاليوم آمن بعد قسوته
عظمي وآمن بعده لحمي
بمحمد وبما يجيء به
من سنة البرهان والحكم

وحين حاول مسليمة بن ثمامة الحنفي (الكذاب) أن يضاهي القرآن الكريم ببعض أسجاعه (مدعياً فيها الوحي) جاء بما سخر منه أصحابه قبل أن يسخر منه المسلمون؛ واستحق لقب الكذاب ولا كرامة.

وبالمناسبة فإن القاضي عياض عقد فصلاً في كتابه[٣] (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) في إعجاز القرآن، وخصص فقرة للروعة التي تلحق قلوب سامعيه، وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره، قال: «وقد حُكي عن غير واحد ممن رام معارضة القرآن الكريم أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك..» وروي خبر عن ابن المقفع (ص٣٨٧) بأنه رام ذلك (من معارضة القرآن)، وشرع فيه، فمر بصبي يقرأ ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي...﴾ الآية، «هود: ٤٤» فرجع فمحا ما عمل وقال: «أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، وكان ا بن المقفع من أفصح أهل وقته.

قال القاضي[١]: «وكان يحيى بن حكم الغزال[٢] بليغ الأندلس في زمانه، فحكى أنه رام شيئاً من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها، وينسج، بزعمه، على منوالها؛ قال: فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة».

(٧)

اهتم العرب إذن منذ عصر النبوة بالقرآن الكريم، وحفظوا كتاب الله العظيم في الصدور وفي السطور، ورووا ما أثروه عن النبي ﷺ مما فصلّه، وبيّنه، وعلّمه وهم يستمعون إلى القرآن، ويرتلونه، ويتدارسونه، واشتهر نفر كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالعناية الفائقة بذلك حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما عُرف بترجمان القرآن، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»[٣]

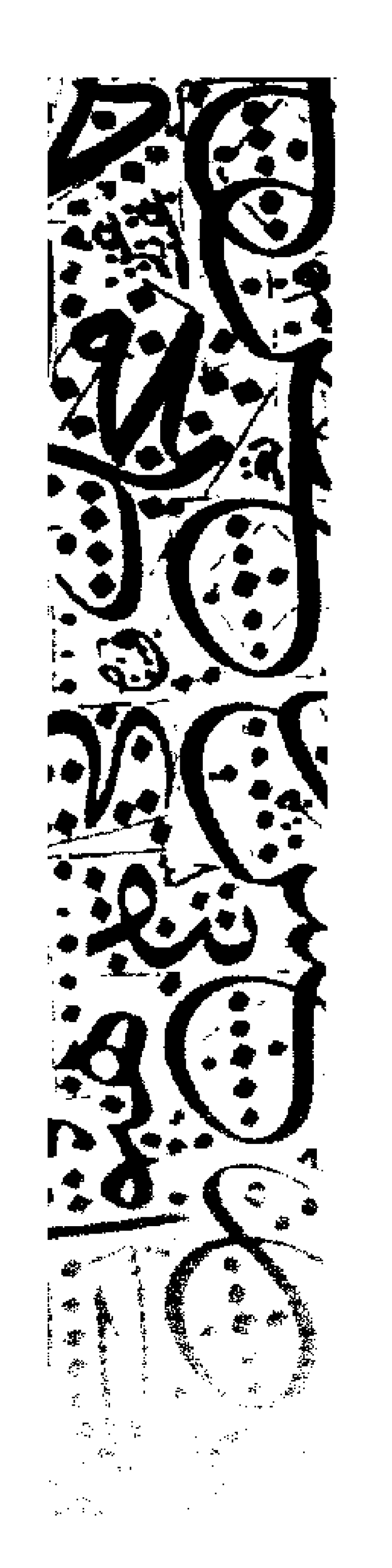
وصارت العناية بما يتعلق بالقرآن الكريم من الوجوه المختلفة على صعيد واحد مع العناية بالعربية: في ما عرف بعصر الرواية، وما عرف بعصر التدوين؛ وإذا كان البدء مع الرواية فإن الأمرين التقيا سريعاً، وترافقت الرواية مع التقييد والتدوين، وتفرعت علوم العربية سريعاً، واستقل كل فن منها بعنوان وموضوعات كانت في العموم في خدمة الجانب الآخر: فروع علوم القرآن، وعلوم الحديث.

وكان التوسع والإتقان في هذين الجانبين من وراء الحركة العلمية البحثية التي يكبرها ويوسعها طبيعة حركة العلم والثقافة المطردة في العصر الأموي أولاً، وفي صدر العصر العباسي فما و راءه؛ هذا من جانب، وكان ذلك التوسع والإتقان من وراء قضية قاصدة؛ فروعها:

- الدفاع عن العرب باعتبارهم أمة عريقة ذات صفات حميدة، وتوضيح خصال العرب الكريمة.
- وتبيان خصائص العربية ذات المزايا في فنون القول شعراً ونثراً.
- والدفاع عن حقيقة الإسلام، وتثبيت دلائل النبوة.
- وتبيان إعجاز القرآن، بالإيضاحات العلمية والبراهين الموضوعية، وإيضاح ملامح إعجاز القرآن الذي أفحم الفصحاء والبلغاء عند نزوله، وأن ذلك التحدي والإفحام ما يزال قائماً إلى قيام الساعة.

لقد حرّض على الجانب الإيضاحي -الدفاعي- المبين: ظهور الشعوبية وتجريد بعض الشعوبيين ألسنتهم وأقلامهم ضد الإسلام جملة، وضد العرب، والعربية (المؤدي نتاجها إلى الكلام في القرآن الكريم)، ونشاط فئات وفرق من الملاحدة وبعض أتباع الديانات الأخرى الذين خاضوا في الديانات جملة أو في الإسلام خاصة.

ومن هنا، وبأسباب موضوعية أخرى، نشط الاهتمام بالألفاظ والمعاني والأساليب واستقراء النصوص الأدبية شعراً ونثراً لاستخراج خصائص العربية، وجماليات الأدب: شعره ونثره، ونهض ما عرف في ما بعد بعلوم البلاغة العربية ليكون في خدمة الدراسات القرآنية، وليبين للعرب وسائر المسلمين ولكل مثقف



بالعربي إعجاز القرآن الكريم.

ومن هنا تعانق التأليف في البلاغة من جهة، وعلوم القرآن على اختلاف فروعها من جهة ثانية مع التأليف في إعجاز القرآن، وتصدى علماء الأمة على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والكلامية من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم فأغنوا المكتبة العربية برصيد ضخم أفلح في حينه في ما قصد إليه من الإيضاح والتبيين، ومن الدفاع والحماية، من حسن العرض ليكون غير المسلمين أمام حقيقة نظم القرآن، وإعجازه، وليكونوا أمام مسؤوليتهم في اتخاذ موقف لهم - باختيارهم- وقد اتضح لهم الأمر، واستبان لكل متابع؛ وليكون أبناء المسلمين أمام مؤلفات توضح لهم مالا يعرفون أو يتقنون، وتصونهم من الانزلاق إلى أباطيل الخصوم وأخطائهم ظاهرة وباطنة.

(٨)

في العصر الحديث مع حركة الإحياء في اللغة والأدب (الشعر وسائر فنون القول)، ونشر التراث العربي على الناس: عاد النشاط إلى التأليف والتصنيف في جانبي البلاغة وعلومها، والقرآن الكريم والعلوم المتعلقة به. وبالأسباب الموضوعية العامة، وبعوامل النشر والإيضاح والدفاع نشط التأليف في إعجاز القرآن: في زمن نحتاج فيه إلى الفهم والمعرفة والاستزادة الفكرية والثقافية، ونحتاج فيه إلى إثبات أصالة تلك العلوم وأهميتها الفكرية والحياتية، وإلى الوقوف في وجه نزعات التغريب في الفكر وفي الحياة. وقد ناب عن الشعوبية القديمة، في عصرنا الحديث، أكثر من دعوة لا تقل أذىً وخطراً عن تلك الفائتة الذاهبة.

ومن المهم المفيد ونحن في الصراع على إثبات الهوية، وثبات الذات أن تتعانق الدراسات العربية (في علومها المختلفة) مع الدراسات الإسلامية: ومن بينها، وفي المهم منها: إعجاز القرآن الكريم، هذا الكتاب المشرّف المكرّم، المحفوظ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد قال القاضي عياض في مثل هذا السياق:

«وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، وبالقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه: محبة قاهرة، ومعارضة ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلا، وجهابذة البراعة؛ والملحد فيهم كثير، والمعادي للشرع عتيد، فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر على مطعن صحيح...إلخ»[١]

ولا يزال قول القاضي في هذا الموضوع على قوته وعلى جدته على رغم مرور الأيام والأعوام..■

الهوامش:

١- العبارة لحافظ إبراهيم (ديوانه ١:٢٥٣)

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضقت عن آيٍ به وعظاتِ

١- من فقرة «أغراض السورة» في: التحرير والتنوير للعلاّمة ابن عاشور ٢٤:٧٧.

٢- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٩-٧٤.

٣- من صبأ يصبأ (من شيء إلى شيء) انتقل، وترك دينه. وكانت قريش تقول في من يسلم إنه صبا. فالدين عندهم - آنذاك- هو ما كان عليه آباؤهم...

١- كانوا في الجاهلية يرجعون إلى طائفة تزعم أنها تطّلع على الغيب (الكهان)، وكان الكاهن يدعي أن له تابعاً يوحي إليه يدعوه: الرئي. كان أكثرهم يقوم على خدمة بيوت أصنامهم وأوثانهم. وكان للكاهن منزلة كبيرة فيهم، وكان هؤلاء لا يتكلمون إلا بالسجع ولهم حركات وأصوات وأعمال للتهويل والتخييل، وأقوال وادعاءات.

٢- المادة من (خ ل ج) التي تفيد الحركة والاضطراب، وكان الكاهن يبدو وكأن أحداً يجذبه فيتحرك مضطرباً لذلك للإيهام.

٣- تفسير القرطبي ١٩-٧٤.

٤- وينظر في الكهانة: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي- ج٦ ص٧٥٥ وما بعدها.

١- تفسير القرطبي: ١:٢٣٤.

١- شعر عبد الله بن الزبعري المختار مستفاد من ترجمته في كتاب (منح المدح) لابن سيد الناس اليعمري.

٢- الإشارة هنا إلى سهم بن عمرو، قال ابن حزم (جمهرة أنساب العرب:١٦٥).. فولد الزبعري عبد الله الشاعر الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ، ثم أسلم وحسن إسلامه...» فهمومه من الندم تتجاوزه لتطوف بديار بني سهم قومه.

٣- ١:٣٥٨.

١- الشفا ١:٣٨٨

٢- الأندلسي. له ترجمة، وعنه دراسة في مقدمة مجموع شعره: ديوان يحيى بن حكم الغزال الطبعة الثانية بدار الفكر - دمشق- لمحمد رضوان الداية.

٣- الخبر وتخريجه في سير أعلام النبلاء ٣:٣٤٧.

١- الشفا: ١: ٣٨٨-٣٨٩.



دراسة مهمة في وثيقة بريطانية تتحدث عن بني ياس وتاريخ حكام إمارة أبوظبي الأوائل

■ د. فالح حنظل

تعني كلمة التاريخ «لغة» تحديد الزمن، من مادة أرخ يؤرخ، وقد عرّف ابن خلدون التأريخ في مقدمته الشهيرة على أنه بحث ونظر وتدقيق وتمحيص، ثم وضعت جملة تعاريف ومفاهيم للتاريخ، بأنه سجل الماضي أو سجل الأحداث الماضية، بيد أن هذا المفهوم صار أوسع في ظل نظريات التطور وعلم الاجتماع الحديث فاكتسب مدلولاتٍ حضارية وتطورية، بحيث أصبح في مفهومه الحديث دراسة أحوال المجتمعات الماضية، أي دراسة تطور الإنسان وما أنتجه من منتجاتٍ حضاريةٍ، وما تركته هذه المنجزات من تأثيراتٍ في تطور الحضارة المعاصرة.

ومن المعلوم أن أول خطوة لكتابة التاريخ هي جمع مصادر البحث، إذ لا تاريخ بلا مصادر، وهذه المرحلة الأولى من البحث التاريخي يطلق عليها مصطلح (جمع الأصول)، ومن البديهي أن المصادر والوثائق التي يجمعها الباحث لها ارتباط وثيق بنوع الموضوع والمسألة التاريخية التي يهتم ببحثها ودراستها، ومن المصادر التاريخية المهمة هناك الوثائق والمخطوطات والمدونات التاريخية القديمة، وهذه الأصول إذا ما جمعتْ فإن الخطوة المنطقية الثانية تكون مرحلة النقد، وهي عبارة عن تمحيص المصادر والوثائق من حيث إثبات صحتها وأصالتها وفهم نصوصها لإثبات صحة المعلومات الواردة فيها، وتفسيرها واستخلاص الحقائق التاريخية، لمعرفة مدى صدق الكاتب فيما رواه. بحيث يقوم الباحث بسلسلة من التحليلات

والاستدلالات والاستنتاجات.

ومن المصادر التي يعتمد عليها المؤرخون الذين يكتبون تاريخ الإمارات والخليج العربي، ما يسمى (الوثائق البريطانية) التي تقف في مقدمة المصادر المعتمدة، وهي التقارير التي كان المقيم السياسي البريطاني في الخليج يكتبها ويرسلها إلى حكومة الهند البريطانية، فصارت تعرف أيضا باسم (وثائق حكومة بومباي) وكذلك (الأرشيف الهندي)، لذلك فقد كان أول من جمعها هو الدبلوماسي البريطاني الشهير (لوريمر) في مصنفه المعروف باسم (دليل الخليج)، وهو قاموس جغرافي -تاريخي عن دول الخليج العربي والعراق فريد من نوعه عظيم في مادته.

غير أن الأخذ بالمصادر البريطانية، كموردٍ وحيدٍ لكتابة تاريخ الإمارات والخليج أمرٌ غير صائبٍ تماماً. فالذين كتبوا الوثائق لم يكونوا مؤرخين إنما سياسيون نقلوا الرواية من فمٍ أو من رسالة عربية، ثم ترجموها بشكل عام وأرسلوها إلى حكوماتهم، وهنا يأتي الخلط في أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن والسبك اللغوي، وشرح الأحداث الذي غالباً ما يكون شرحاً سياسياً يتحدث عن معارك وتقلبات ولا يدخل إلى الناحية التراثية فيها. لذلك فإن النقل عن المصدر الانجليزي يجب أن يدرس بإمعانٍ شديد ولا يؤخذ به من الوهلة الأولى بدون مضاهاته بالمصادر العربية.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تقرير كتبه (Captain Hennel) وكان يشغل منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج عن (بني ياس) الرهط القبلي الكبير في الإمارات والذين منهم أصحاب السمو آل نهيان وآل مكتوم الحكام الكرام.

وتدلنا المصادر التاريخية على أن هذا الرجل وصل إلى أبوظبي عام ١٨٣٢م يوم كان الحاكم الشيخ طحنون بن شخبوط وأنه اجتمع به والتقى بالحاكم، وبعد ذلك كتب رسالته.

ومن الطبيعي أن تكون الرسالة مكتوبة بخط اليد أولاً، ثم لما جاء زمن المطابع كتبت بالآلة الطابعة وحفظت في تقارير حكومة بومباي، وعليه فإن مضمونها العام ابتدأ بأن سمع (هينيل) من الشيخ طحنون أو من أحد المؤرخين من المستشارين العرب، ثم قام أحدهم بالترجمة، ثم كتب التقرير بالانجليزية بخط اليد وأخيراً وبعد سنواتٍ عديدة تمت كتابته بالآلة الطابعة. وبهذه الصورة وصل إلينا، لذلك أخذنا على عاتقنا تحقيقه وبيان نقاط الضعف فيه.

قال هينيل واصفاً جزيرة أبوظبي ومتحدثاً عن بني ياس:

إنها تقع تحت (Ras Suffan)[١] على شكل بقعة أرضية وهي جزيرة يمكن أن تمر من مضيقها المائي الخلفي سفينة صغيرة وقليلة العمق لأن الماء هناك ضحل وفي حالة الجزر فإنه لا يمكن مرور أية سفينة من هناك مهما صغر حجمها، أما ميناء المدينة الذي ترسو فيه السفن فهو بعمق حوالي أربعة عشر قدماً. أما المدينة، فما عدا قصر الحاكم وهو عبارة عن قلعة صغيرة، فالبيوت عبارة عن (عرشان)، ولعل من سياسة الحاكم الحالي وهو الشيخ طحنون ألا يكون في المدينة بناءٌ من الحجر خوفاً من أنه إذا ما وقع هجوم من ناحية البحر فيمكن للمهاجم الاعتصام بالمباني الحجرية، أما عدد السكان فلا يتجاوز (١٨٫٠٠٠) نسمة، وفي موسم الغوص يجتمع فيها حوالى (٦٠٠) سفينة غوص تحمل كل واحدة منها من سبعة رجال إلى خمسة عشر رجلاً، والجزيرة بصورة عامة قاحلة وماؤها مج، ولا تنتج الجزيرة شيئاً من المحصولات الزراعية فهي تستوردها من الخارج وإذا تم حصارها فمعناه تعرضها لمشكلة.

أما قبيلة بني ياس، فهي تضم معها قبائل أخرى مثل (Marier) (المرر) و(Kemzan) القمزان، وهؤلاء يتحدرون وينتسبون إلى (Beni Suker) بني سكر أو شكر[٢]، أما (Hawamul) الهوامل و(Mujalibah) المجالبة فهؤلاء يتحدرون وينتسبون إلى (Al Ali) آل علي[٣] أما (Sumeest) فهؤلاء من (Abedal) العبادل[٤] أما (Rameesat) الرميثات فهم ينتسبون إلى (Beni Humeed) بني حميد[٥]، أما (Maharbah) المحاربة، فهؤلاء ينتسبون إلى (Beni Naeem) بني النعيم[٦]، أما (Bomaher) البومهير فهؤلاء ينتسبون إلى (Shubeeb) و(Kalazy)[٧] أما (Al Boofalasa) البوفلاسه فهم أحد أفخاذ بني ياس. (Beni Kaab) وبني كعب ينتسبون إلى كعب[٨]. أما الحاكم لكل هذه المجموعة فقد تم انتخابه من عائلة البوفلاح وإليهم ينتسب الحاكم الشيخ طحنون.

وأصل موطن بني ياس فهو نجد، وعندما تركوا

404 BENIYAS.

On the occasion of one of these visits, in 1793, Shaikh [illegible] thought proper to give orders that the [illegible] Huza, together with all [illegible] dependents, [illegible] leave Aboothabee and settle in the interior. At this time Huza [illegible] absent in Bahrein, but receiving intelligence of the proposed [illegible] [illegible] and in the course of a [illegible] dispute [illegible] [illegible] [illegible] supported Huza, while the other and larger [illegible] adhered to Shaikh [illegible] the son of the murdered chief, who prevailed, the feud [illegible] [illegible] to put to death the ten individuals who were present at the time of his father's murder. Dreading a similar fate, Huza [illegible] Aboothabee with his dependents and settled in [illegible].

A. D. 1793

After his departure, Shaikh Shakboot assumed undisputed [illegible] of the chief authority in the tribe, and [illegible] at its head until 1816, in which year his [illegible] son, Mahomed, succeeded in deposing him. Mahomed remained [illegible] Shaikh for two years, when his younger brother, Tahnoon, [illegible] received a Buggalow, together with a considerable sum of money from the Imaum, returned from Muskat to Aboothabee, and with the [illegible] of his father and good will of the majority of the tribe, [illegible] in expelling the usurper in 1818. For some time after this event [illegible] father and son acted together as heads of the tribe, but [illegible] the authority of Shaikh Tahnoon became superior. To this [illegible] in their respective relations Shakboot appears to have [illegible] quietly, as he continued to reside in Aboothabee and its neighbourhood, and was at all times employed by Tahnoon in the arrangement of any affairs of negotiation he might be engaged in. Mahomed bin Shakboot with some difficulty saved his life by flight, and taking refuge in Biddah, claimed the protection of Abdoolla bin Ahmed, the Chief of Bahrein. Until this period the Beniyas had always been the close and intimate allies of the Joasmees, but the connection formed by Shaikh Tahnoon with the Imaum of Muskat gradually weakened the friendship existing between the two tribes, until at last a total change ensued in their relations, and they became bitter enemies.

A. D. 1793 to 1816.

In 1820 the Beniyas Tribes were admitted members of the General Treaty* concluded by the British Government with the Maritime Arabs of the Persian Gulf for the effectual suppression of piracy in that sea.

A. D. 1820.

About the year 1822, an individual of some rank, named Soodan bin Zaal, fled from Aboothabee, to avoid the payment of his debts, and at the same time

A. D. 1822.

* Vide pages 76 to 80 of this Selection.

موطنهم هناك سكنوا في منطقة تمتد من (Biddan) إلى البريمي[٩]، وأغلب القبيلة من البدو ويعيشون في المناطق الداخلية حيث يرتحلون مع مواشيهم للرعي، أما الذين لا يملكون مواشي كثيرة فهؤلاء يسكنون على ساحل البحر في المنطقة الممتدة من دبي إلى أبوظبي، أما أبوظبي فعلى الأغلب لم تكن مسكونة في الماضي وكانت المياه تغمرها، وفي السابق كانت الجزيرة مكاناً يجتمع فيه صيادو الأسماك من بني ياس، وكانوا عادة يأخذون معهم ما يحتاجونه من ماء الشرب، وفي مرةٍ من المرات قام أحدهم بحفر حفرةٍ في الجزيرة فتدفق منها ماء صالح للشرب، وهكذا ارتحل الناس إليها وسكنوها، وكانت أول مجموعة سكنية مكونة من عشرين بيتاً وكان ذلك في عام ١٧٦١م، وسرعان ما انتشر خبر العثور على الماء الصالح للشرب في الجزيرة فارتحل إليها عدد آخر من الناس، وبعد عامين أصبح عدد بيوتها (٤٠٠) بيتٍ ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا ازداد عدد السكان والبيوت، أما شيوخ القبيلة فقد اعتادوا على الإقامة في الداخل[١٠]، وكانوا يزورون جزيرة أبوظبي بين الحين والآخر حيث يقدم لهم سكان الجزيرة هدايا.[١١]

ومن الآراء المتداولة، أن نسب آل بوفلاح يعود إلى الشيخ ياس بن عامر بن قيس بن نزار، وهو النسب الذي ينتمي إليه النبي محمد ﷺ[١٢]. وهناك رأي آخر يقول إن نسب الشيخ طحنون يعود إلى (Zhelal) وهذا ينحدر من (Gmarren Al Zeghee)[١٣]، ولا يوجد تاريخ أكيد عن تسلسل الحكام إلى أن مات الجد الأكبر للشيخ شخبوط والد الشيخ طحنون. فذلك الجد الأكبر له أربعة أولاد هم (Inhian) نهيان و(Saddon) سعدون، و(Mohamed) محمد و(Sultan) سلطان. وقد اختلف هؤلاء الأخوة مع بعضهم، لذلك انقسم بنو ياس إلى أربع مجموعات تحزبت كل مجموعة إلى واحدٍ منهم، وقد مات ثلاثة منهم فخلفهم أولادهم وهم عيسى بن نهيان وزايد بن محمد وسلطان بن سعدون وقد اشتد العداء بينهم، وعندما مات عيسى فقد خلفه ولده (Zeab) ذياب وصار هذا زعيماً لبني ياس، وقد لاحظ هذا الزعيم أن أغلب بني ياس يميلون إلى عمه زايد بن محمد، لذلك تخلص منه حتى خلص الأمر له لفترةٍ لكن ابن القتيل وهو هزاع بن زايد بن محمد راح يجمع أعواناً له لكي ينتقم لأبيه، وكان الشيخ ذياب يعيش في المناطق الداخلية ويزور أبوظبي بين الحين والآخر، وفي عام ١٧٩٣م أصدر أوامره بأن يترك هزاع وعائلته جزيرة أبوظبي وأن يسكن في الداخل. ولم يكن هزاع موجوداً عندما صدر هذا الأمر إذ أنه كان في البحرين، وعندما علم بالأمر عاد مسرعاً ودخل في شجار مع عمه، وهكذا عاد الانقسام إلى بني ياس، فمجموعة ساندت هزاع ومجموعة أخرى ساندت شخبوط وكانت تضم أغلب بني ياس، الذي سرعان ما أمسك بزمام الأمور[١٤]، وهكذا استتب الأمر للشيخ شخبوط وكان ذلك في عام ١٧٩٥م.

هذه الوثيقة البريطانية لا تخلو من الخلط فيها، خاصة موضوع أنساب قبائل بني ياس التي ذكرها الكاتب، وقد وضعنا أرقاماً لتكون هوامش عند مناقشتها، غير أننا لابد وأن نأخذ أيضاً بما كتبه رواة ومؤرخون من أهل الإمارات عن تسلسل حكام بني ياس، فقد جاء في مخطوطة (الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي) لمؤلفها عبد الله بن صالح المطوع ما

يلي:
«قرر بنو ياس أن تكون الرئاسة في آل نهيان، وكان أول حاكم منهم هو محمد بن زايد، وقد خلفه أخوه سيف بن زايد، ثم حكم بعده شخبوط».

أما أقدم مخطوطة تحدثت عن بني ياس وحكامها الأوائل، فقد جاءت في (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة) لمؤلفها سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، فهو عندما يتحدث عن أخبار عام ١٦٤٥م يذكر أن بني ياس سكان إمارة تسمى (الظفرة) وأن مقدام القبيلة هو صقر بن عيسى وكان يحكم الإمارة بمساعدة أخيه محمد.

وهكذا يبدو واضحاً كيف أن البحث العلمي في المنهج التاريخي يتطلب سلوك طريق التحري والبحث وإسنادهما إلى أسس المنطقة الاستقرائي والاستنتاجي فلو عدنا إلى الوثيقة التي كتبها (Hennel) وناقشنا موادها وهي كما يلي:

١- قال عن جزيرة أبوظبي إنها تقع تحت (Ras Suffan) وهذا خطأ في الكتابة إذ أن الأصل هو (راس لفّان) والأصح هو (خور لفّان) المعروف مكانه.

٢- قال عن (المرر) و(القمزان) إنهم ينتسبون إلى بني سكر أو بني شكر، وهذا خلط آخر في الأنساب، فالمرر من القبائل الكريمة التي يذكر ناسبوها أنها بقية أو سلالة تنتسب إلى الخليفة الأموي مروان بن الحكم، وأن (عزوتهم) أي نخوتهم هي: أولاد مروان، أما (القمزان) فهم فخذ من أفخاذ بني حمّاد الذين يرجع نسبهم إلى بني تميم من العرب الكرام.

٣- قال عن (الهوامل) و(المجالية) إنهم ينحدرون وينتسبون إلى آل علي وهذا خلط آخر، فالهوامل لم يعرف عنهم أنهم من آل علي، أما (المجالية) فهذا الاسم لا وجود له، ولعله يقصد (المجارذ) أو (المجاعده) وهم بطنان من قبيلة (آلبوفلاسه) التي ينتسب إليها أصحاب السمو آل مكتوم الكرام، أما (آل علي) فهؤلاء نسب آخر وقبيلة أخرى ينتسب إليها (آل المعلا) أصحاب السمو حكام إمارة أم القيوين.

٤- وتحدث الكاتب عن (Sumeest) وهذا الاسم لا وجود له في قبائل بني ياس، اللهم إلا إذا قصد (السبايس) أو قصد (الشوامس) علماً بأن الشوامس ليسوا من بني ياس، ثم قال إنهم ينتسبون إلى (العبادل) وهذا خلط آخر، إذ أن العبادل ليسوا من بني ياس بل هم من بني تميم.

٥- ويتحدث عن الرميثات فيقول إنهم من بني حميد ولعله يقصد بني حمّاد وهذا خطأ آخر لا يوجد له سند عند أهل المعرفة بالأنساب.

٦- وينسب (المحاربة) وهم بطن من بني ياس، إلى قبيلة النعيم، وهذا خطأ أيضاً، فالنعيم من القبائل الكريمة التي لها بطون وأفخاذ متعددة لم يقل أحد أن (المحاربة) من النعيم.

٧- ويتكلم عن (البومهير) وهم أيضاً بطن من بطون بني ياس، ولكنه ينسبهم إلى اسمين كتبهما بالانجليزية ولم نقدر على أن نجد تفسيراً لهما.

٨- ويدعي الكاتب أن بني كعب الذين ينتسبون إلى كعب حسبما قال، إنهم من بني ياس، وهذا خلط أيضاً، فبنو كعب من القبائل العدنانية المعروفة، ولكنهم ليسوا من بني ياس.

٩- قال عن بني ياس إن موطنهم يمتد من (Biddah) إلى البريمي، ويبدو أن اللفظة الانجليزية يقصد بها (بينونة) أو لعلها خلط آخر.

١٠- قوله إن شيوخ القبيلة اعتادوا على الإقامة في الداخل، المقصود هو أنهم يسكنون مرابع (ليوا) في منطقة الظفرة.

١١- قوله سكان الجزيرة يقدمون الهدايا، لعل المقصود هو خمس الحاصل من اللؤلؤ وهو النظام الاقتصادي الذي قامت عليه حكومة القبيلة.

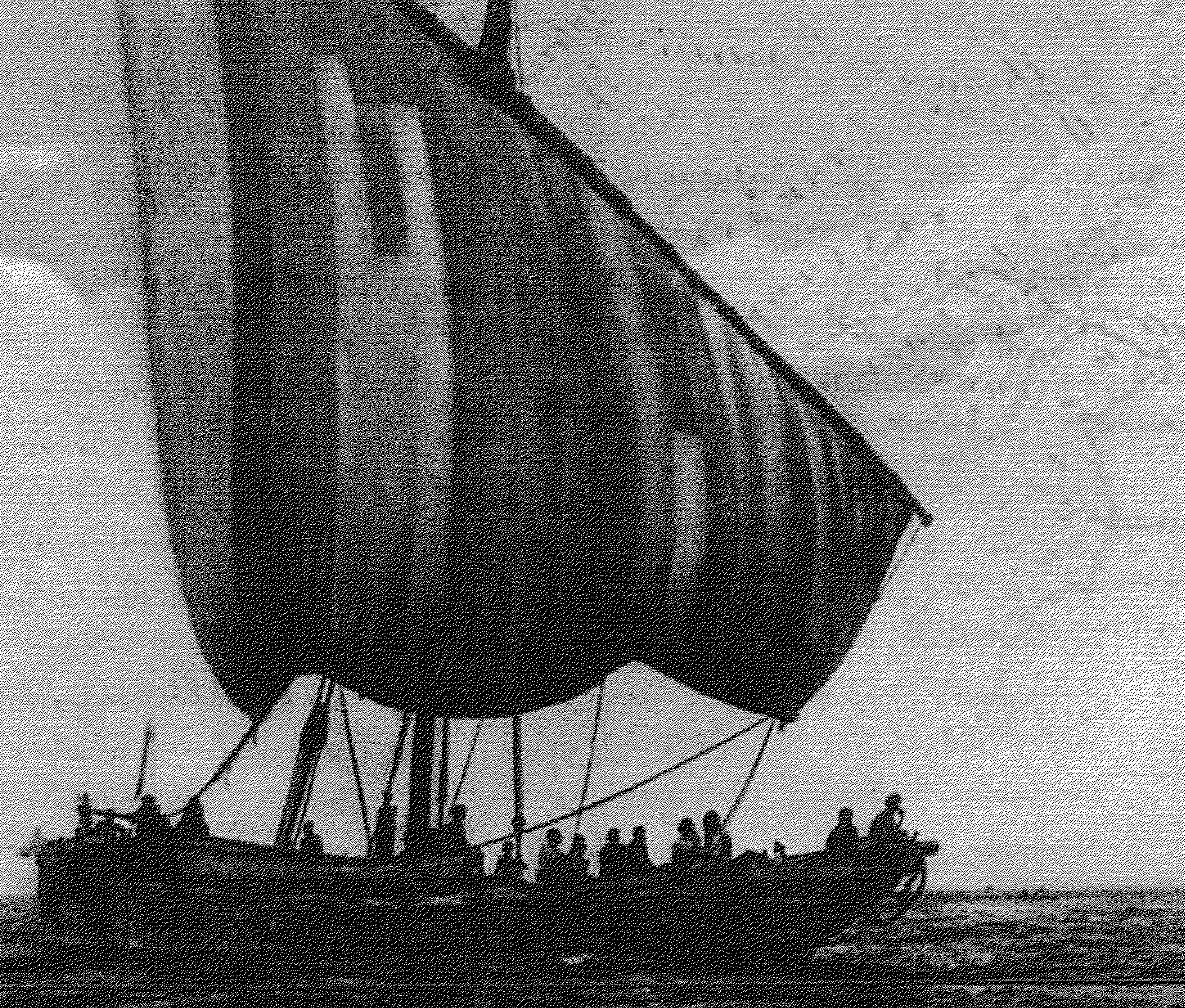
١٢- قوله إن نسب آل بوفلاح وهم البيت الحاكم الآن في الإمارات يعود إلى ياس بن عامر بن قيس بن نزار، هذا الرأي صحيح إذ ينسب الرواة بني ياس إلى ياس بن عامر بن صعصعة وهو نسب عدناني نزاري.

١٣- قوله إن الشيخ طحنون ينتسب إلى (Zehlal) هنا خطأ في الكتابة، الأصل أنه ينتسب إلى بني هلال القبيلة العربية الكريمة المعروفة.

١٤- قوله سكن في (Aboo Ali) فسرها البعض أنه سكن في جبل علي، منطقة حدود بين دبي وأبوظبي.

والحاصل الآن هو ما قلناه في مستهل مقالنا، وهو علم نقد الوثيقة الذي يؤدي إلى اكتشاف الحقيقة والذي لا يؤدي إلى مزالق تاريخية، بسبب خطأ كاتب الوثيقة في النقل أو عدم فهمه للمعلومات التي كتب عنها أو العجز في التعبير اللغوي الدقيق في وصف الحوادث، فتبدو مخالفة للحقيقة رغم حسن نيّة كاتبها. ■

العلاقات بين زنجبار وعُمـ



ـان في عهد ماجد بن سعيد

إعداد: طلال جمعان الجويعد العازمي

بلغت الدولة العُمانية أوج قوتها في عهد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي الذي حكم بين عامي (١٨٠٦م - ١٨٥٦م) فشملت عُمان وهرمز والساحل الأفريقي الممتد بين الصومال حتى موزمبيق. إلا أنه رغم كون عهده عهد قوة وازدهار فقد حمل في حياته عوامل الضعف والانهيار والانقسام وذلك لعدة أسباب من أهمها البعد بين جناحي الدولة الآسيوي والأفريقي وطبيعة العلاقة بين أفراد الأسرة البوسعيدية التي تميزت بالخلافات الداخلية بينهم ثم تدخل القوتين الاستعماريتين الانجليزية والفرنسية اللتين سعتا إلى تشجيع الانقسام حتى تضعف الدولة العمانية ومن ثم تتقاسمان أملاكها فيما بعد.

وفي هذا البحث أسلط الضوء على طبيعة العلاقات بين زنجبار في عهد السلطان ماجد بن سعيد وعمان، التي تميزت بالتوتر والتشنج مما أدى إلى انقسام الدولة العمانية إلى قسمين آسيوي تحت حكم ثويني بن سعيد وأفريقي تحت حكم ماجد بن سعيد وسلطت الضوء على عوامل هذا الانقسام و على الدور الانجليزي الفعال في تشجيع هذا الانقسام الذي يخدم مصالحه مستغلا حدة الخلاف بين أفراد الأسرة البوسعيدية. وقد استعنت بعدة مصادر من أبرزها كتاب المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، وكتاب ابن زريق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وكتاب مذكرات الأميرة سالمة بنت سعيد كمصادر أساسية في البحث إضافة إلى كتابات الدكتور جمال زكريا قاسم والدكتور خالد الوسمي. وفي النهاية أرجو أن أكون قد وفقت في جمع مادة هذا البحث وأعطيت صورة لهذه العلاقات فيما يشبع نهم الطالب الباحث.

نظرة عامة حول زنجبار

هي كلمة فارسية مأخوذة من العربية وتعني بر الزنج. تقع الجزيرة في المحيط الهندي وتبلغ مساحتها ٦٤٠٠ ميل وتبعد عن البر الأفريقي مسافة ٢٥ ميلاً وتبعد عن مسقط مسافة ٢٢٠٠ ميل. وأكثر أهلها من الأفارقة وبها نسبة كبيرة من العرب ذوي الأصول العمانية.

ويتخذ أهلها من الزراعة حرفة أساسية لهم، ومن هذه الزراعة زراعة القرنفل التي جلبها إليها السلطان سعيد بن سلطان بالإضافة إلى زراعة النارجيل والبرتقال.[١]

وقد ذكرها الرحالة التونسي محمد بيرم[٢] وذكر أن لأهلها تمدناً وفطانة عربية وأنها أغنى من عمان وزادت ثراءً بعد افتتاح قناة السويس.[٣]

السيد ماجد بن سعيد (نبذة عن حياته)

ولد السيد ماجد بحدود عام ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ) ولم تذكر سنة مولده بوضوح إلا أن المغيري ذكر أن سنه يوم تولى كان لا يتجاوز الثانية والعشرين وأنه توفي وهو في السابعة والثلاثين[٤] من العمر كما لم يذكر أحد مكان ولادته وهل كانت في عمان أم في زنجبار، غير أنهم ذكروا أن ترتيبه الخامس بين أولاد السلطان سعيد بن سلطان.

- **أوصافه**: كان أبيض البشرة طويل القامة مليح الشكل ثاقب الفكر بعيد النظر ذا همة عالية وذكاء حازماً في الأمور.[٥]

- **أهل بيته**: لم يكن السيد ماجد مهتماً باتخاذ الزوجات والجواري ولم يعقب سوى ابنة واحدة هي خنفورة التي تزوجها ابن عمها الأمير حمود بن محمد بن سعيد وأنجبت منه السيدة معتوقة زوجة السلطان خليفة بن حارب وهي والدة السلطان عبد الله بن خليفة سلطان زنجبار.[٦]

وفاة السيد ماجد:

توفي السيد ماجد بن سعيد في ١٢ رجب ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م) وهو ابن ٣٧ عاماً دون أن يترك ولداً ذكراً.

وصفه المغيري: بالتدين والتواضع وحب الرأفة وعدم الإستسلام وكان أشبه بأبيه في السياسة باللين.[١٠]

توليه الحكم في زنجبار

لما توفي السلطان سعيد بن سلطان في عرض البحر بالقرب من جزر سيشل على ظهر السفينة فيكتوريا أبحروا به إلى زنجبار حيث دفن في حديقة بيته الذي يسكنه بزنجبار ليلاً، وقعد ولداه ماجد وبرغش للتعزية أمام الناس ثلاثة أيام، ولما كملت التعزية تقدم ماجد على إخوته الذين بزنجبار فجلس على كرسي الملك وجعل كل واحد من أصحاب أبيه في المرتبة التي كان فيها من أبيه، ثم بعث مركباً بالخبر إلى إخوته ثويني ومحمد وتركي وبقية آل سعيد في عمان لإخبارهم بالحاصل[١١] كما أرسل للإمبراطور نابليون الثالث يعلمه بوفاة والده واستلامه للحكم وكان جلوسه على كرسي الحكم، في ١١ ربيع الأول ١٢٧٣هـ وهو في الثانية والعشرين من العمر.

وقد تولى ماجد الحكم بدعم من أعيان زنجبار وتجاهل حقوق ثويني أخيه الأكبر وهو سلطان عمان مما جر الحقد عليه من أخيه وتفكير ثويني بضم زنجبار بالقوة، وقد ساعد ماجداً في عدم تخليه عن حكم زنجبار دعم أعيانها له حيث إنه كان محبوباً لديهم منذ أن كان والياً عليهم من قبل أبيه.[٤]

محاولة ضم زنجبار

كان السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي سلطان عُمان وبعض أقسام شرق أفريقيا حريصاً على الوحدة بين قسمي الإمبراطورية العمانية.

وكان في حيرة من أمره في اختيار عاصمة وقاعدة لهذه الإمبراطورية المترامية، فإن ظل في عمان فإن بعد المسافة ومشاكل القبائل العمانية وثوراتها ستعيقه عن التوسع في شرق أفريقيا والاستفادة من ثرواتها، وإن هو انتقل إلى زنجبار واتخذها عاصمة له فإن ذلك لن يمكنه من الحفاظ على سيطرته على الجزء الآسيوي وكبح جماح القبائل المتمردة عليه، وربما فقد هذا الجزء



السيد ماجد بن سعيد

أهم الأحداث في عهد السيد ماجد بن سعيد:

١- محاولة السيد ثويني بن سعيد حاكم عمان ضم زنجبار.
٢- ثورة الحزب ضد السيد ماجد وتأييدهم لأخيه السيد برغش بن سعيد.[٧]
٣- زيادة الكشوف الجغرافية في مجاهل أفريقيا.
٤- انتقال العاصمة من زنجبار إلى دار السلام على الساحل الأفريقي[٨] لما يعرف اليوم بتنزانيا.
٥- بناء مدينة دار السلام على أنقاض بلدة مززيما.
٦- حصول السيد ماجد على لقب ملك إفريقيا من قبل الإنجليز.[٩]
٧- بناء دار الحكومة في زنجبار.
٨- إدخال المراكب التجارية الخدمة مع المراكب الشراعية.
٩- الشروع في تدريب الجيش على طريقة الأنظمة الحديثة.
١٠- أراد إرسال عشرين شخصاً إلى أوروبا للتعلم غير أنه مات قبل ذلك.

المهم والذي يعد الوطن الأم له ولشعبه. وكان هذا التفكير يشغله في السنوات الأخيرة من حكمه فهداه تفكيره بأن يجعل لكل قسم من قسمي الإمبراطورية حاكماً من أبنائه حتى يضمن عدم اغتصاب السلطة لصالح حاكم من خارج أسرته، فجعل ابنه الأكبر ثويني على عُمان وابنه الثاني خالد على زنجبار، وطلب دعم بريطانيا واعترافها بما قام به وقد أخطأ بذلك حتى قيل فيه إنه سلم الحمل للذئب.[١٣]

وقد توفي خالد بن سعيد في حياة أبيه عام ١٨٥٤م ومات السلطان سعيد دون أن يختار من يخلف خالداً[١٤] وبما أن وجود السلطان سعيد في زنجبار بعد وفاة خالد وممارسته للسلطة فيها لم يحوجه لتعيين أحد أبنائه، غير أن دور ابنه ماجد كان قد برز منذ وفاة خالد، وقد تمكن السيد ماجد من إقناع وجهاء زنجبار في تعيينه سلطاناً عليهم وقوى مركزه كونه من كان ينوب عن والده في زنجبار أثناء سفرة أبيه الأخيرة والتي توفي بها في عرض البحر.

وقد تهيأت لانقسام الإمبراطورية العمانية عدة أسباب منها:

١- لم ينص السلطان سعيد بن سلطان بولاية العهد لأي من أبنائه وجعل الأمر مفتوحاً.

٢- بعد المسافة بين طرفي عُمان وزنجبار والتي تبلغ أكثر من ألفي ميل كان من أهم معوقات الوحدة.

٣- حرص بريطانيا على انقسام الإمبراطورية ودعمها لعملية الانقسام حتى تضعف الدولة العمانية.[١٥]

٤- عدم مقدرة عُمان عسكرياً ومادياً على ضم زنجبار وخصوصاً أن معظم القوة العسكرية قد انتقلت إلى أفريقيا في أواخر عهد السلطان سعيد.

٥- بروز شخصية السيد ماجد وتطلعه للاستقلال في الحكم ساعد في عملية الانفصال.

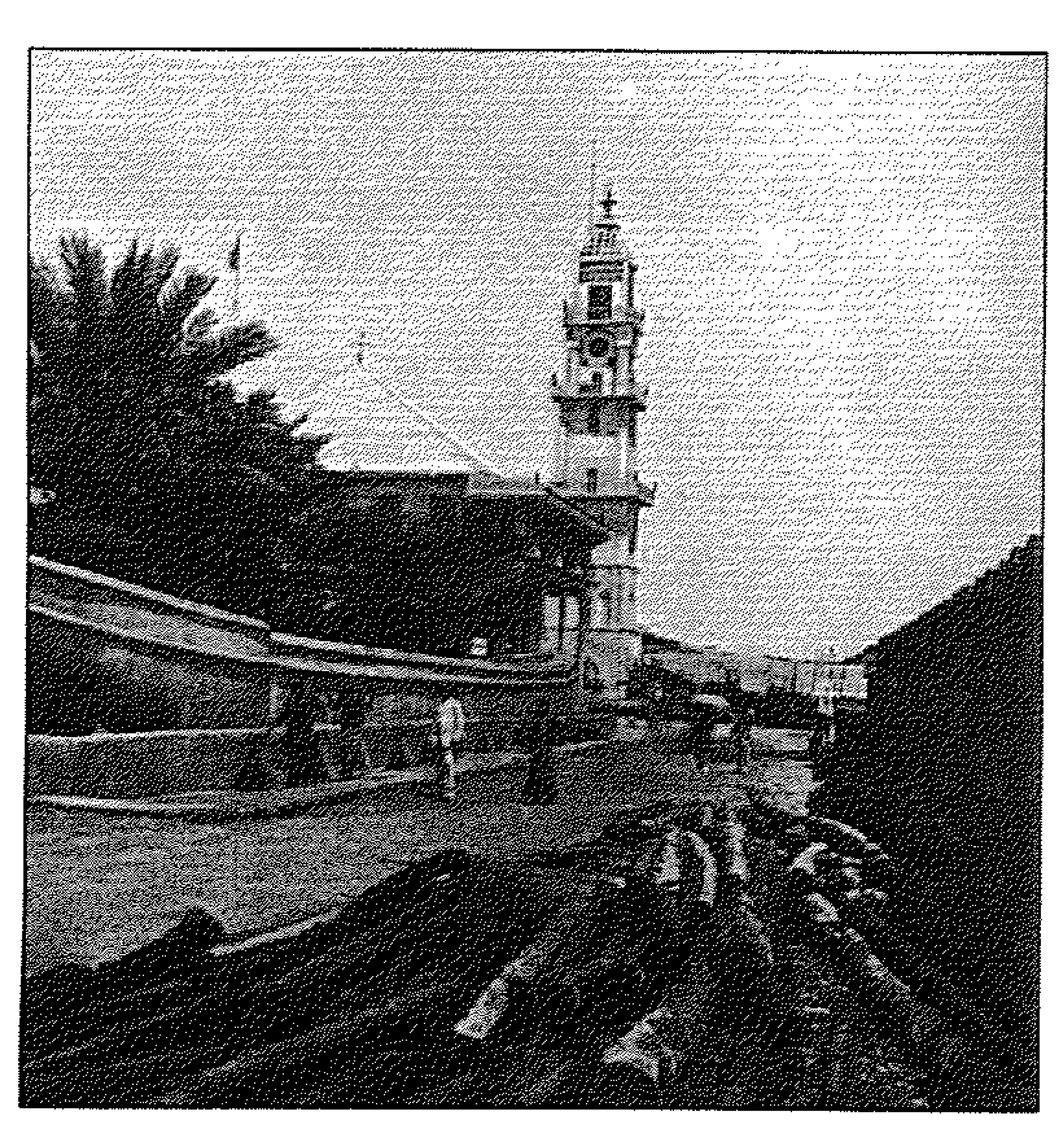
فلما تولى السيد ماجد بن سعيد حكم زنجبار لم يرض حاكم عمان السلطان ثويني بن سعيد بذلك واعتبر نفسه الحاكم الشرعي للقسمين غير أن بريطانيا أسرعت بفض هذا النزاع وجعلت اللورد كاننج حاكم الهند حكماً بينهما فأرسلت بعثة برئاسة المقيم البريطاني في عدن لإجراء المصالحة بينهما وصدر الحكم عام ١٨٥٧م (١٢٤٧هـ) حيث تم الاتفاق على أن تكون عمان لثويني وزنجبار لماجد مقابل أن يدفع ماجد



الحرس الحكومي في زنجبار



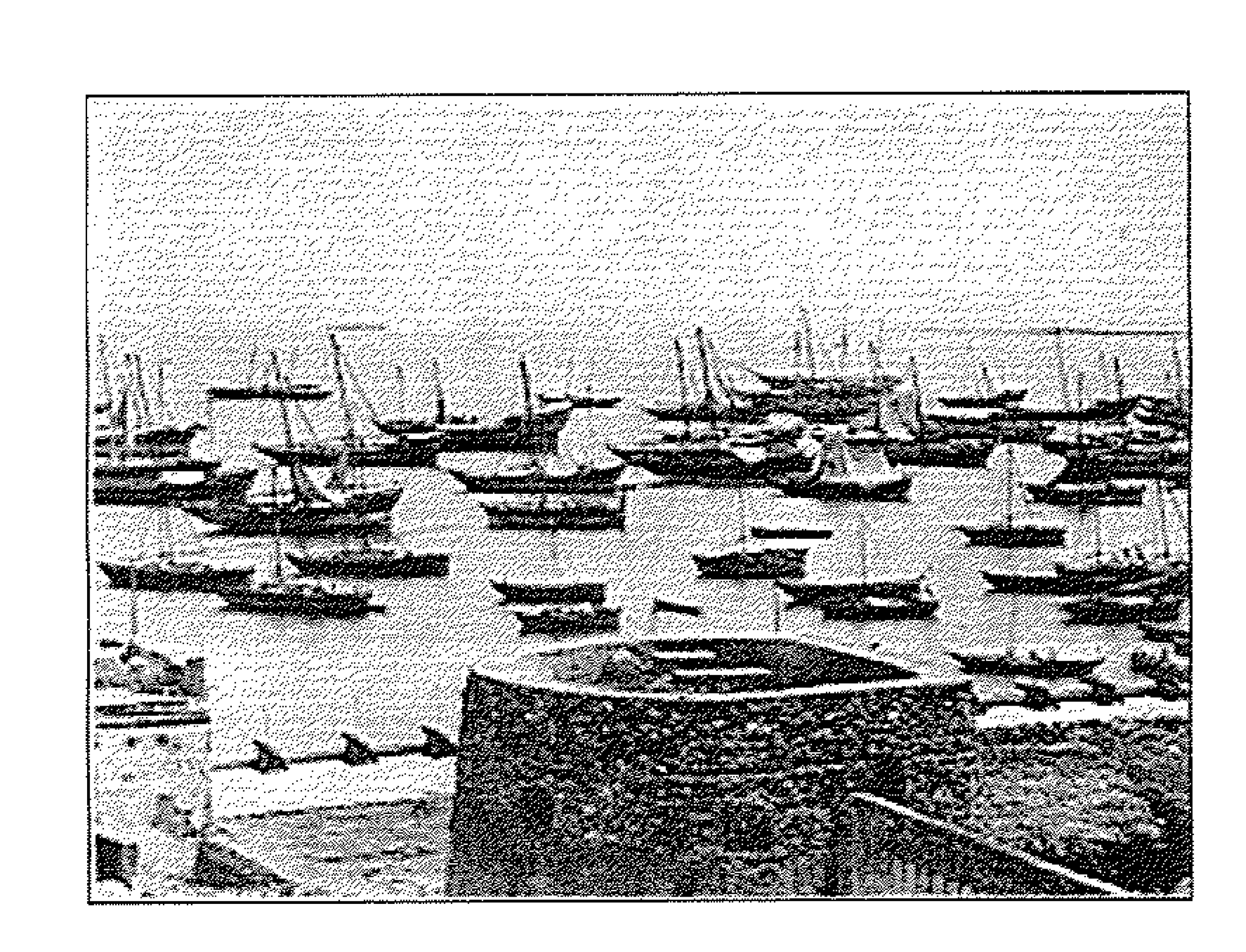
موظفون عرب في المحمة العليا لزنجبار



مشهد من زنجبار القديمة



المحامل التجارية التي كانت تسير عبر بحر العرب بين عمان وزنجبار



٤٠ ألف ريال نمساوي لثويني لأن اقتصاد زنجبار كان أقوى من اقتصاد عمان رغم أن عمان كانت الأقوى عسكرياً[١٦] من زنجبار وهي محاولة إنجليزية لصرف نظر ثويني عن مشروع الوحدة وإبقاء مشروع التقسيم، وقد رضي السيد ثويني بهذا التحكيم ولكن على مضض.

وفي عام ١٨٥٨م لم يتمكن السيد ماجد من الوفاء بوعده لأخيه وتسليمه الأربعين ألف ريال نمساوي بسبب انخفاض نسبة الضرائب الجمركية فكانت ردة فعل السلطان ثويني إعلان نفسه سيداً على القسمين وصار يدبر المؤامرات لقلب نظام حكم أخيه ماجد. ثم جهز حملة من ألفين وخمسمائة مقاتل لغزو زنجبار[١٧] وقام بشراء كمية من الأسلحة من الولايات المتحدة لهذه الحملة غير أن الانجليز استولوا عليها[١٨] وقد وصل خبر التجهيزات العمانية لزنجبار في ١٠ / ١ / ١٨٥٩م فأحدث هذا الخبر أثراً في أهالي زنجبار وسبب لهم الاضطراب.[١٩]

كما صمم السيد ماجد على الدفاع عن سيادته لزنجبار وأعد ثلاث بوارج حربية تحمل أسماء شاه علم ويبد متيس وأفريقيا وانضمت لهم البارجة الانجليزية (إس) كما أرسل الإنجليز البارجتين (كلايف) و(بريمي) لتدعيم دفاعات زنجبار.

ثم أرسل السلطان ثويني بن سعيد ابن عمه السيد حمد بن سالم إلى السيد ماجد بن سعيد يطالبه فيها بالأربعين ألف ريال، غير أن السيد ماجد أخذ يماطله ويسوف وخصوصاً أنه عرف بعزم أخيه ثويني لضم زنجبار. وبقي السيد حمد في زنجبار أكثر من خمسة

أشهر حاول خلالها رشوة أحد قواد العسكر مقابل اغتيال السيد ماجد غير أنه فشل، وعاد إلى عمان خالي الوفاض[20] وكإجراء وقائي قام السيد ماجد باعتقال المشايخ أمثال عبد الله بن سالم وسالم بن بشير وهم من أنصار السيد ثويني، وهاجم بيت عبد الله وصادر ٤٠٠ بندقية ثم نفاه إلى لاموه حيث توفي بها في ١٨ / ٨ / ١٨٦١م، أما الأسطول العماني فلما تحرك من مسقط ووصل إلى الحد اعترضه الأسطول الإنجليزي وأجبره على التراجع.

وفي ٩ مارس ١٨٥٩م وصل القس الإنجليزي (بادجر) مفوضاً من حكومة الهند للنظر في الخلاف بين الأخوين.[21]

موقف بريطانيا وفرنسا من الصراع بين ماجد وثويني

كانت بريطانيا حريصة على عدم وقوع أي حروب في منطقة المحيط الهندي خوفاً على مصالحها في الطريق البحري، لذلك أسرعت بإرسال الكولونيل رسل أحد ضباط البحرية الهندية لكي يعوق تقدم الحملة البحرية التي أرسلها السيد ثويني ضد زنجبار في عام ١٨٥٩م. وقد نجح الأسطول البريطاني بذلك ورجع الأسطول العماني إلى مسقط واعتذر السيد ثويني للحكومة البريطانية على هذا التصرف.

وحاول السيد ثويني الاتصال بالفرنسيين ونيل مساعدتهم ودارت بينهم مفاوضات شارك فيها السيد برغش بن سعيد الذي انشق على أخيه ماجد، ووعدهم بميناء ممباسا، وكان الفرنسيون يعملون على مد نفوذهم على شرق أفريقيا مستغلين موت السلطان سعيد.

وقد كانت هذه الصلات بين ثويني والفرنسيين موضع شك بالنسبة للانجليز فوقفوا موقف المعارض من حركة السيد ثويني.

أما موقف الحكومة الفرنسية فقد حاولت التدخل لدعم السيد برغش المطالب بحكم زنجبار واللاجئ عند أخيه السيد ثويني، ولكنها لم تستطع سوى الاحتجاج على الموقف الانجليزي فأعلنت للسيد ماجد بأن السيد برغش في حمايتها كما نصحته بعدم الالتجاء للانجليز حيث إنهم لا يملكون الحق في الفصل في النزاع الناشب بين مسقط وزنجبار.[22]

تدخل الحكومة البريطانية وتحكيم كانتج ١٨٦١م

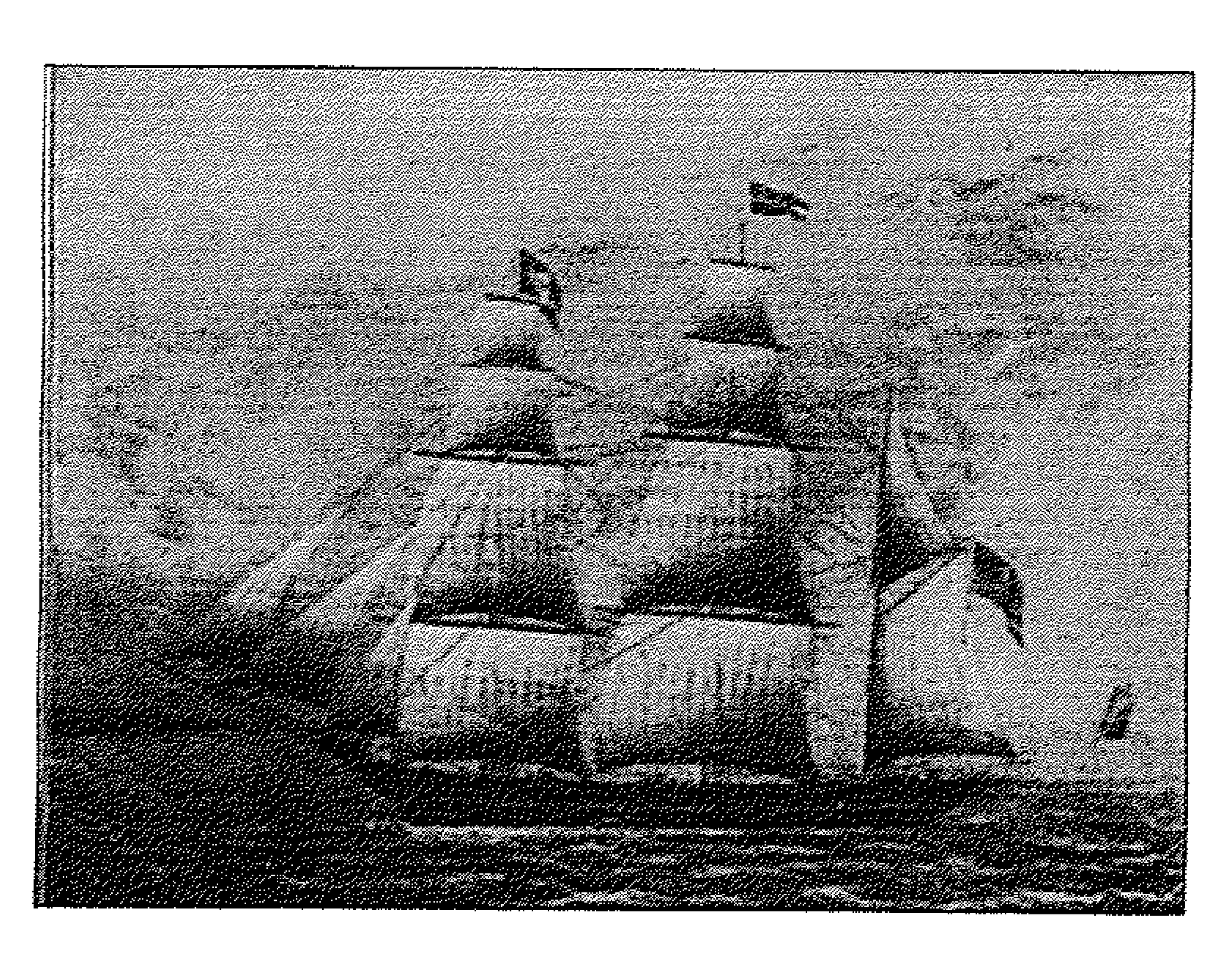
عملت بريطانيا على حل النزاع بين مسقط وزنجبار بصورة يقبلها الطرفان، وكان الهدف من ذلك هو تقسيم الإمبراطورية العمانية ليسهل عليها السيطرة على القسمين معاً والتحكم بكل من سلطان عمان وسلطان زنجبار، والحفاظ على أمن المنطقة حرصاً على سلامة طرقها التجارية الموصلة إلى الهند.

بدأ الإنجليز بإرسال بعثة إلى كل من مسقط وزنجبار هدفها في الظاهر التحقيق في أسباب النزاع القائم بين البلدين، ورأس هذه البعثة كوجلان المقيم السياسي في عدن ومعه الدكتور بادجر أبرز الباحثين في تاريخ عمان.

وصلت اللجنة في شهر يونيو ١٨٦٠م إلى مسقط لتتعرف على مطالب ثويني ثم تقدمت إلى زنجبار في سبتمبر لتتعرف على مطالب ماجد، ورأت بعد دراسة الأوضاع أن الطريقة التي يتولى بها الحكم أعضاء الأسرة الحاكمة «أسرة بوسعيد» إنما تقوم على الانتخاب وأنه عقب وفاة السلطان سعيد انتخب أهالي زنجبار السيد ماجد وعلى ذلك فلا حق للسيد ثويني بالسيطرة على ممتلكات أخيه ويبقى كل منهما سلطاناً في مكانه.

ويرى الدكتور جمال زكريا أن هذا الرأي خاطئ لأن نظام الانتخاب كان النظام المتبع عند الإباضيين وليس عند أسرة البوسعيد.

وبعد فراغ اللجنة من تقريرها ووضع اقتراحاتها قدمتها إلى اللورد كانتج الحاكم العام للهند الذي استند إليه في وضع تحكيمه عام ١٨٦١م بعد أن أدخل بعض



محمل تجاري تابع لزنجبار



سكان محليون يحملون محصول الفاكهة

التعديلات على ما جاء بقرار هذه اللجنة.

وكتب كاننج إلى السيد ثويني يقول له: إن الذي دفعه للتدخل في أمر النزاع بينه وبين ماجد هو رغبة بريطانيا التي تربطها صلات وثيقة بكل من البلدين في أن لا يقع خلاف بينهما لذلك أرسل البعثة لإجراء التحقيق في ذلك وبناء على قرارات كوجلان فإنه يقرر:

١- يعين السيد ماجد حاكماً على زنجبار والممتلكات الأفريقية.

٢- أن يدفع ماجد سنوياً لثويني مبلغ ٤٠ ألف ريال.

٣- أن يدفع ماجد لثويني مبلغ ٨٠ ألف ريال عن السنوات السابقة.

٤- أنه لا ينبغي لحكام مسقط وقبائلها التدخل في زنجبار.

كما أوضح كاننج أن المبلغ الذي يدفعه ماجد إلى ثويني لا يعني تبعيته له وإنما لتحقيق المساواة بين الميراثين حيث إن أراضي زنجبار أكثر غنى من عمان، كما أن عمان مطالبة بدفع ١٢٠ ألف ريال سنوي للسعوديين بعد معاهدة ١٨٥٣م معهم.

وطلب اللورد كاننج من كل من ماجد وثويني قبول التحكيم وأن هذا التحكيم عادل بالنسبة له.(٢٣)

وقد اعترفت فرنسا بهذا التحكيم عام ١٨٦٢م، كما استولى السيد ماجد على السفن الحربية والتجارية العمانية الموجودة في زنجبار بعد هذا التقييم ويئس السيد ثويني من عملية ضم زنجبار وترك المطالبة بها.(٢٤)

العلاقات بعد التقسيم

ظلت زنجبار تدفع المبلغ المقرر عليها لمسقط حتى عام ١٢٨٣هـ عندما انتزع سالم ثويني الحكم.

وبعد أن تولى السلطان سالم بن ثويني الحكم من أبيه، أعلن السيد ماجد سلطان زنجبار بأنه لن يدفع إلى سالم المعونة المقررة بموجب التقسيم لأن المبلغ في نظره كان يخص أخاه ثويني فقط، وأن سالماً رجل مغتصب، لكن حكومة الهند رفضت رأي ماجد بعد أن اعترفت بحكم سالم بن ثويني في عمان وطلبت من ماجد أن يستمر في دفع المعونة خوفاً من إلتجاء سالم بن ثويني إلى الفرنسيين أو إلى السعوديين.

وقد أخذ السيد ماجد موقفاً متشدداً من ابن أخيه سالم ورفض الإقرار لسالم بأية أملاك لأبيه ثويني في زنجبار وأخبره بأنه لا يورث حسب الشريعة الإسلامية.(٢٥)

وقد ازدادت العلاقات توتراً بين ماجد بن سعيد

والسلطان سالم بن ثويني، وحاول كل منهما الاستعانة بالانجليز والاستفادة منهم، ففي زنجبار حاول ماجد مساومة انجلترا فيما يتعلق ببعض القيود التي فرضتها على تجارة الرقيق أو السماح له بالتوجه إلى عمان لمعاقبة ابن أخيه، أو إيقاف دفع المعونة إلى عمان، لكن حكومة الهند رفضت طلبه وألمحت إلى قرار التحكيم وأوضحت له أن حكم سالم بن ثويني أصبح واقعاً وعليه أن يقبل به.

وقد تأخر اعتراف بريطانيا بحكم سالم بن ثويني ٦ أشهر حتى تستغله وتم لها ذلك فزاد نفوذها في عمان، حيث كان سالم بن ثويني يعاني من مشاكل جمة في حكمه لعمان على رأسها ثورة عمه تركي بن سعيد، ثم ثورة الإباضيين ضده بزعامة الإمام عزان، الأمر الذي زاد حاجته للمال في وقت رفض فيه السيد ماجد إرسال المبالغ إليه، إلا أن الحكومة البريطانية أعطت السيد سالم بن ثويني مبلغاً يعادل المبلغ الذي ترسله زنجبار رغبة منها في تدعيم موقفه أمام خصومه، كما وطلبت من السيد ماجد بن سعيد عدم التدخل في شؤون عمان أو مساعدة المعارضين لحكم سالم.

وقد نجحت بريطانيا في ذلك بأن زاد نفوذها في القسمين العمانيين وزادت حدة الانقسام بين أسرة البوسعيد. وقد بذل السيد ماجد الجهد للتنصل من إرسال المبلغ المطلوب منه بل وقام بمنع السفن العمانية من الرسو في سواحل شرق أفريقيا وهددها بالحرق والتدمير.(٢٦)

بل وقام ماجد بمصادرة جميع أموال وأملاك التجار العمانيين في زنجبار الأمر الذي جعل سالم بن ثويني يحتج على ذلك الإجراء ويشتكي لدى السلطات الانجليزية، وقد قامت الحكومة البريطانية بالضغط على السيد ماجد للالتزام بقرارات التحكيم ودفع المبلغ فرضخ لذلك عام ١٨٦٨م (١٢٨٥هـ) .

غير أن السيد ماجد لم يدفع المعونة إلى سالم بن ثويني سوى سنة واحدة حيث ثارت القبائل الهناوية بقيادة عزان بن قيس حاكم منطقة الرستاق الذي التف حوله الناس والعلماء وتمكنوا من الاستيلاء على مسقط بعد أن تخلى الانجليز عن سالم الذي يئس فاستسلم للثوار مقابل خروجه من عمان إلى الهند وذلك عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م.

ولم يعترف الإنجليز بحكم عزان بن قيس الأمر الذي شجع ماجداً على عدم دفع المبالغ لعمان ورضيت بريطانيا عن قراره مؤقتاً.(٢٧) بسبب عدائها لعزان.

وقد توقفت معونة زنجبار لعمان حتى مات السيد ماجد بن سعيد وجاء عهد أخيه برغش الذي أعاد دفع هذه الإعانة لأخيه تركي بن سعيد سلطان عمان وبموت السيد ماجد عام ١٨٧٠م / ١٢٨٧هـ بدأت العلاقات بين زنجبار وعمان تتحسن وهذا غير داخل في نطاق بحثنا هذا.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف وبعد استعراضنا للعلاقات بين زنجبار وعمان في عهد السيد ماجد بن سعيد توصلت إلى النتائج الآتية:

١- إن ساحل شرقي إفريقيا كان يمثل العمود الفقري للدولة العمانية في عهد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي ومصدر ثرواتها بينما القسم الآسيوي (عُمان) كان فقيراً يعاني من الانقسامات.

٢- إن السلطان سعيد بن سلطان كان يحاول دائماً الحفاظ على وحدة الدولة العمانية رغم بعد المسافة بين جناحيها الآسيوي والأفريقي.

٣- إن بوادر انهيار الدولة العمانية كانت واضحة في أواخر عهد السلطان سعيد بن سلطان فالوطن الأم (عُمان) بلد فقير مهدد بالثورات والأطماع، وأما زنجبار فهي بعيدة عن عمان ومهددة بالأطماع الاستعمارية نتيجة لغناها ووفرة خيراتها، ومما زاد الطين بلة أن السلطان سعيد توفي دون أن يسمي وريثاً له. بل أنه وثق بالانجليز وأوكل لهم مهمة رعاية دولته بعد وفاته معتمداً على صداقته القوية معهم وهو لا يدرك أن الانجليز لا يعرفون سوى مصالحهم الخاصة وأنهم سوف يكونون السبب في انهيار إمبراطورية في أفريقيا.

٤- اتسم السيد ماجد بدماثة الأخلاق وطموحه في الاستقلال بحكم زنجبار وتصديه لأية محاولة تمس سيادته عليها، ورغم تصديه لرغبة أخيه ثويني في ضم زنجبار إلى عمان إلا أنه لم يكن يطمح في ضم عمان كأخيه، ولم يفكر بالوحدة بين القسمين، وإنما اكتفى بحكم زنجبار والساحل الشرقي لأفريقيا وكان يحاول السيطرة على ثرواتها الأمر الذي جعله يحاول التنصل من دفع الإعانة إلى أخيه ثويني حاكم عمان.



خريطة قديمة لإفريقيا تبين موقع زنجبار

٥- كان تدخل الانجليز في الصراع القائم بين زنجبار وعمان وجهودهم لتسوية النزاع سلمياً نابعاً من حرصهم على تأمين طرق التجارة الخاصة بهم وليس حباً للسلام أو الوحدة بين العمانيين وإنما لإضعاف البلدين حتى يلجأ كل منهما إلى الانجليز طلباً للمساعدة الأمر الذي سيزيد من نطاق نفوذهم في المنطقة وقد نجحوا في ذلك.

٦- حرصت لجنة التحكيم على إقرار التقسيم بين جناحي الإمبراطورية العمانية وذلك بإضعاف عمان سياسياً والتي كانت تعتمد في مواردها على زنجبار. وإضعاف زنجبار مادياً وذلك بإجبارها

على دفع معونة إلى عمان حتى تتمكن من مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.

٧- حاول السيد ماجد التنصل من دفع المعونة إلى أخيه ثويني ونجح في منعها بعد تسلم السيد سالم بن ثويني الحكم، فلم يدفعها إلا بعد سنة، ثم توقف عن الدفع بعد ثورة عزان بن قيس واستمر في ذلك حتى وفاته عام ١٢٨٧هـ.

٨- اعتبر عهد السيد ماجد بداية انهيار الحكم العماني في أفريقيا وازدياد النفوذ الأجنبي في كل من عمان وشرق أفريقيا، كما مثل الصراع بين زنجبار وعمان سمة العلاقة بين أفراد أسرة البوسعيد الذين عرفوا بصراعهم الدائم فيما بينهم من أجل السلطة مما أضر بدولتهم. ■

المصادر والمراجع

١- ابن زريق: (١٢٧٤هـ) حمد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين تعليق محمد مرسي وعبد المنعم عامر. وزارة التراث القومي، ١٩٧٧م. سلطنة عمان.

٢- محمد بيرم التونسي (١٣٠٧هـ): صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار، ط (١)، ١٩٩٧م، دار الكتب العالمية: بيروت.

٣- المغيري: سعيد بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي الصليبي ط(٣)، ١٩٩٤م وزارة التراث القومي، سلطنة عمان.

٤- خير الدين الزركلي: الأعلام، ط٧، ١٩٨٦، دار العلم للملايين بيروت.

٥- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي والعهد العثماني، ط٣، ١٩٩١م. المكتب الإسلامي بيروت.

٦- الوسمي: خالد: عمان بين الاستقلال والاحتلال، ط١، ١٩٩٣، مؤسسة الشراع العربي الكويت.

٧- روبرت جيران: عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً، ترجمة: محمد أمين بدون رقم للطبعة والسنة، طبعة وزارة التراث القومي، سلطنة عمان.

٨- السيدة سالمة بنت سعيد: مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد العتيبي، ط٨، عمان١٩٩١م.

٩- جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا، مكتبة القاهرة.

١٠- عبد الرحمن السديس: العلاقات بين عمان وزنجبار (١٨٦١ - ١٨٩١م) مجلة الدارة، العدد الثاني السنة الخامسة والعشرون١٤٢٠هـ الرياض.

الهوامش

(١) المغيري: سعيد بن علي (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) تحقيق محمد علي الصليبي، الطبعة ٢، ١٩٩٤ص٧٤ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

(٢) أمير ورحالة تونس توفي عام (١٣٠٧هـ) (١٨٩٠م) انظر خير الدين الزركلي. الإعلام. الطبعة ٧ ج ص دار العلم للملايين بيروت لبنان.

(٣) بيرم: محمد (١٣٠٧هـ): صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار الطبعة الأولى١٩٩٧ج١ ص١٢٤ دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) المغيري: مرجع سابق ص٧٤.

(٥) مرجع سابق ص٢٨٥.

(٦) مرجع سابق ص٢٨٥.

(٧) المغيري: مصدر سابق ص٢٩٥.

(٨) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي خ ٢٨ ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٩١، ص٥٧٠-٥٩٦.

(٩) المغيري: مصدر سابق٣٠٤.

(١٠) المغيري: مصدر سابق ص٢٨٥.

(١١) ابن زريق: حمد بن محمد: الفتح في سيرة السادة البوسعيديين بدون ذكر الطبعة ١٩٧٧، ص٤٦٠ وزارة التراث القومي، عمان.

(١٢) المغيري: مرجع سابق ص ٢٨٦

(١٣) الوسمي: خالد: عمان بين الاستقلال والاحتلال ط،١٩٩٣ مؤسسة الشراع العربي الكويت، ص٢١٤.

(١٤) الوسمي: مرجع سابق ص٢١٥.

(١٥) الوسمي: مرجع سابق٢١٥.

(١٦) خير الدين الزركلي: الإعلام-٧، ١٩٨٦،ج٥ ص٢٥١، دار العلم للملايين بيروت.

(١٧) المغيري: مرجع سابق٢٨٧.

(١٨) روبرت جيران: عمان منذ ١٨٥٦، مسيرا ومصيراً، ترجمة محمد أمين ص ٢٤٧، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان.

(١٩) المغيري: ص٢٩٨.

(٢٠) المغيري، ص٢٩٨.

(٢١) المغيري ص٢٩٨.

(٢٢) جمال زكريا قاسم: دولة البوسعيد وشرق أفريقيا، مكتبة القاهرة الدولية ص٢٦٢-٢٦٤.

(٢٣) جمال زكريا: مرجع سابق ص ٢٦٤-٢٦٧.

(٢٤) جيران: مرجع سابق ص٢٤٧.

(٢٥) د. عبدالرحمن السديس: العلاقة بين عمان وزنجبار، مجلة الدارة العدد٢ السنة ٢٥، ١٤٢٠، ص١٩١.

(٢٦) السديس: مرجع سابق ص١٩٤.

(٢٧) السديس: مرجع سابق ص١٩٧.



المورِسكيُّون في المصادر والمخطوطات الأندلسية



■ أ. د. عبد الرحمن الحجي*

الحديث عن «المورسكيون» يلقى مظهراً علمياً مهماً وعلامةً بارزة، تجاه مُسلِمة الأندلس، الذين ملأوه خيراً وازدهاراً وحضارةً ومناراً، فكانت مكافأته أفحش ظلم عرفه شعب خلال التاريخ القديم والحديث على السواء. وإن كانت شرائحُ ونماذجُ من هذه وتلك تمارَس على الأرض هنا وهناك.

وإذا كان الاتجاه يقوم على الإنصاف للمظلوم والإدانة للظالم، فإن ذلك أقل ما يجب. وهو ضروري ومهم لدرجة قصوى، كما يُقدِّم فوائد جمة وذات حدود ومنافع متنوعة تخدم الحياة وتقويها. وهذه مهمة المؤرخ المتوقد المتحقق. هذا في الدنيا أما في الآخرة فالظالم والمظلوم كلاهما يلتقيان عند الله سبحانه وتعالى، يقفان أمامه ليحكم بينهما بعلمه المطلق وعدله الكامل الكمال.

والمرجو أن يحقق العمل خطوات واسعة رصينة وأمينة في هذا الاتجاه، إلا أن عدم تحقيق ذلك يعني أن واقع البحث التاريخي في القضية المورسكية ما زال يحبا ويتعثر في مهاوي محاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية.

وموضوع المورسكيين جديد الاهتمام نوعاً ما، لا سيما بهذا الشكل الجماعي المنظم المقصود. والكتابات الفِرنجية المعاصرة غير قليلة فيه، بعضها متقادم. وكثر هذا الاهتمام في السنوات الأخيرة. ولكن البحوث المعاصرة بالعربية قليلة وآخذة في النمو.

وانطلاقاً من متابعتي للبحث المتخصص، جرَت إثارةُ الاهتمام به منذ بضع سنوات، بعد الانتهاء من كتابتي كتاب «التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غَرناطة» الذي غطاه منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية غَرناطة، حيث تبدأ المأساةُ المورسكية، فجرى التنبيه لها والحث عليها. مأساة تثير الغرابة وتدعو إلى معرفة آثار الضلال على الإنسان. وإذا ما مَلَكَ مسؤوليات وتَمَلَّك إمكانيات وهو ما جرى في دواوين محاكم التفتيش، التي تُطلعنا على أحوال وخلفيات القائمين بالمحاكمات وممارسة القتل البشع. فإنّه يتحوّل إلى غُول مُرعب، أشدّ وحشيةً وضراوةً من الوحوش الكواسر. ومَن يستهن بالقتل فقد هَبَط بعيداً، وهو كاذب منحرف العقيدة وإن احتمى بها احتيالاً ونفاقاً. ولا يكفُّ أذاه ويرده غير قوةٍ وخبرة، ليست للانتقام بل للهداية الحازمة الواعية المدبرة، قوةٌ لم يملكها المورسكيون. وكم قاست الإنسانية طالما كانت بعيدة عن هداية الله تعالى، هُدى الإسلام الذي لا إنقاذ بدونه، بلا خلاف لدى الإنصاف والخضوع للاعتراف، في الحكم الرصين الأمين.

والله وحده يعلم كم نفوس أزهقتها محاكم التفتيش وأعراض هتكتها وأموالٍ نهبَتها وقيَمٍ أهدرتها، كما أشار محمد بن عبد الرفيع الأندلسي المورسكي في خاتمة كتابه «الأنوار النبوية في آباء خير البرية». وما حالة النقص في المعلومات التي اعترت القضية وقلة المصادر عن المسلمين في الأندلس بعد السقوط، إلا ثمرةٌ مُرَّة لمحاكم التفتيش وسياستها الجاهلية الجهول.

إن محاكم التفتيش لم تستطع أن ترد أدنى مقدار من الفضل للإسلام والمسلمين في الأندلس فحسب، وإن جهلته ابتداءً، لكنها فوق ذلك تفنّنت في الانتقام منهم.

ومن العجيب أنه لم تَقُم في أسبانيا والبرتغال حركةٌ من النصارى أنفسهم تقاوم مَعَرَّة التفتيش وتردها صغيرة حسيرة، بل كانت تقام الأحفال لشهود أعمال الحرق المقدسة!، لا لِما سَطَّرت براعة الإنسان، خلال القرون الزاهيات فحسب، بل للإنسان نفسه الذي كرمه الله، وباسم الدين.

ويوم كانت الحياة الإسلامية قائمة في الأندلس بالذات ـ حتى في الأيام الصعبة ـ كانت الرعاية لغير المسلمين فيه واضحة.

ألم يَمنع فقهاءُ قُرطبة المنصورَ بن أبي عامر (أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) شراءَ أرض موقوفة على بعض كنائس أهل الذمة؟ وهذا بعض ما قدمه الإسلام لأهل مجتمعه، مسلمهم وغير مسلمهم.

والمرجو من البحوث اليوم متابعة الإنصاف وخدمة الحقيقة بشجاعة وجرأة. وهذا هو عمل المؤرخ الأمين،

* أستاذ التاريخ الأندلسي – مدريد

ولتعويض بعض ما فات في سالفات الزمان. ولدينا وسائلُ معينة ومصادر يمكن أن يُنْشِيءَ بها الدارسون شيئاً غير قليل، ثمّ يعلو البناء.

ولقد صدرت دراساتٌ كثيرة عن موضوع «المورسكيين» باللغات الفرنجية وقُدِّمت دراسات جامعية. وبجانب ما عانى أحياناً من الإهمال وقلة الاحتمال، عانى من شحّة المصادر والوثائق، ولكن مع الزمن كانت تزداد العناية وتظهر مصادر جديدة. ويوماً بعد يوم يفرح الدارسون والمهتمون بشيء من هذا أو ذاك. ولعله يمكن تبويب مصادره المخطوطة والمطبوعة العربية وغيرها إلى:

(١) سجلات وأراشيف ARCHIVO, ARCHIVES محاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية. وحبذا لو تُخْدَم بعمل فهارس مبوبة ونَشْر ما يمكن للمهم منها ولو نماذج، مع توفير سهولة تناولها.

(٢) المؤلفات القديمة والحديثة، لا سيما بأقلام شهود عيان.

(٣) ما بقي من آثار ومشاهدات حتى اليوم، لها بهذا الأمر عَلاقة، من مواقع وأشخاص، تناقلوا عنها الأخبار.

مخطوط كتاب: الحسام الممدود في الرد على أحبار اليهود

(٤) المؤلفات الإسلامية، لا سيما الأندلسية وكذا المغربية، المطبوعة والمخطوطة، ابتداءً من سقوط المدن الأندلسية، ثم غَرناطة. وهذه على نوعين، حسب مادتها:

أولاً: المصادر المتعلقة بالمجادلات POLEMIC POLEMICA، أو بالأحرى المفاضلات والمفاصلات وكشف الشبهات، دفاعاً عن الإسلام. وهذه تُقَدِّم أخباراً تاريخية، قد تصل -قلةً- إلى شَذَرات وقطرات، لكنها لمثل هذا الموضوع نجدة. وعُرِف منها حتى الآن عدد جيد. وقد يكون بعضها مفقوداً، مثل:

(السيف الذي اشتهر على من طغى وكفر)، إذا لم يكن هو نفسه كتاب (ناصر الدين على القوم الكافرين) لشهاب الدين أحمد بن قاسم الحَجْري (الحَجَري) المعروف (آفوقاي)، لعله من (ABOGADO محامي، قانوني) الذي غادر الأندلس سنة ١٠٠٧هـ (١٥٩٨م) قبل الطرد الأخير (أو الكبير) ١٠١٨هـ (١٦٠٩م) بنحو عشر سنين، والمتوفى في تونس نحو ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م.

ومن هذا اللون كتابات المورسكيين والمُدَجَّنين ذات الموضوعات الأخرى. وكتب الفقه وهي قد لا تخلو من معلومات مفيدة، كُتِبت بالعربية أو الأعجمية القَشتالية، سواء كتبها مسلمون أصلاً، مثل: (مَقامع الصُّلْبان) للخزرجيو (ناصر الدين على القوم الكافرين) للشهاب الحَجْري، أو ممن أسلموا في العهود الأندلسية الأخيرة، وفي ظلّ ظروفها. وهو أمر يثير الدهشة وله مدلول وأي مدلول، من مثل:

- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله التُّرجمان.

- النور الباهر في نصرة الدين الطاهر. ليوسف الحكيم، المهاجر الأندلسي إلى المغرب، الحَبْر اليهودي الذي أسلم بُعَيْد الطرد الأخير.

- مخطوطة بدار الكتب المصرية، لم أطلع عليها أُخبرتُ بها سنة ١٩٨١م من قبل الدكتور علي عبد العظيم، لعل عنوانها: لماذا أسلمت؟

- كما لدينا كتاب: الحسام (السيف) الممدود في الرد على أحبار اليهود، تأليف (الشيخ) محمد عبد الحقّ الإسلامي السبتي الأسلمي المكنى بالمهدي، ألفها في سبتة (أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر

الميلادي).

- وكذا (رسالة السائل والمجيب وروضة نزهة الأديب ـ الحبيب) لمحمد الأنصاري الأندلسي.

ثانياً: الكتب التي اهتمت بالقضية المورسكية ضمن موضوع آخر أو التي قصدت الجانب التاريخي لها، أصلاً وكلية.

وهذه وتلك جميعاً بحاجة إلى عناية وتعريف ونشر ودراسة. وهي تضم كتابات الأندلسيين الذين عاصروا رَدَحاً من سني أحداثها وعاشوها تحت وطأة محاكم الظلم التفتيشي. وهم شهود عِيان ومعلوماتهم عينية عيانية، من مثل الفصل الختامي في أكثر من كتاب مخطوط:

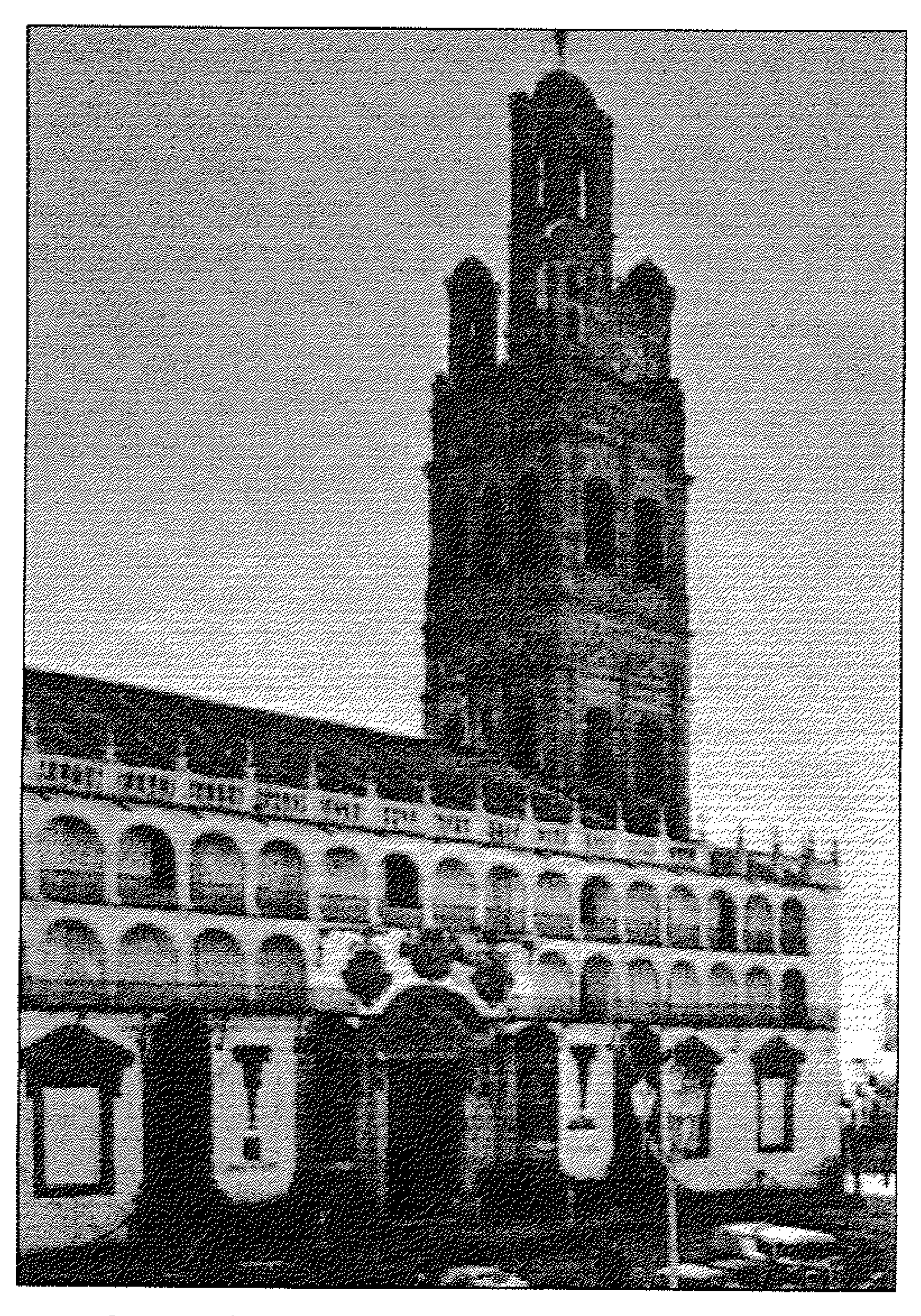
- (الأنوار النبوية في آباء خير البرية) لأبي عبد الله محمد ابن عبد الرفيع الأندلسي، الذي غادرها إلى تونس، لعله بعد الطرد الأخير، الذي استمر عدة سنوات، وتوفي بمكة سنة (١٠٥٢هـ/ ١٦٤٣م).

- وكتاب (العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع). كتبه باللغة الإسبانية في تونس الرئيس إبراهيم بن غانم الأندلسي المورسكي وترجمه سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٩م) إلى العربية الشهاب الحَجْري وأضاف إليه أخباراً تاريخية جيدة ومهمة في بدايته ونهايته.

- كتاب (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) للشهاب الحَجْري، يصف فيه محنة المسلمين المأساوية، ويحكي قصة هروبه من الأندلس إلى المغرب، وهو مفقود لعله يُعثر عليه يوماً ما. منه شذرات في: (جواهر الكمال) (مطبوع) للكانوني وفي نزهة الحادي (مطبوع) لمحمد الأفراني وصفوة مَن انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر للأفراني ولعله مخطوط (وزهر البستان في نسب أخوال سيدنا المولى زيدان) (مخطوط، الخزانة العامة بالرباط، رقم د ٢١٥٢. ولديَّ صورة من خطيته. وهي صعبة القراءة جداً. انظر منها، ص ٩٣، ١٠٥) لمحمد العياشي المكناسي (١١٣٩هـ / ١٧٢٦م).

يضاف إلى ذلك ما كان من مراسلات وكتابات متفرقة ورسوم وصور ونقوش على الحجر وأدوات وملابس وبقايا ومواقع، مثل: وجود برج في قُرطبة حتى اليوم كان يُلقى من أعلاه بعضُ مَن تَحكُم عليهم بالموت محاكمُ التفتيش من المسلمين.

وكذلك موضوع اكتشاف آلاف الجثث في مقبرة جماعية تحت ساحة كنيسة يرينا (LLERENA) والمرجح

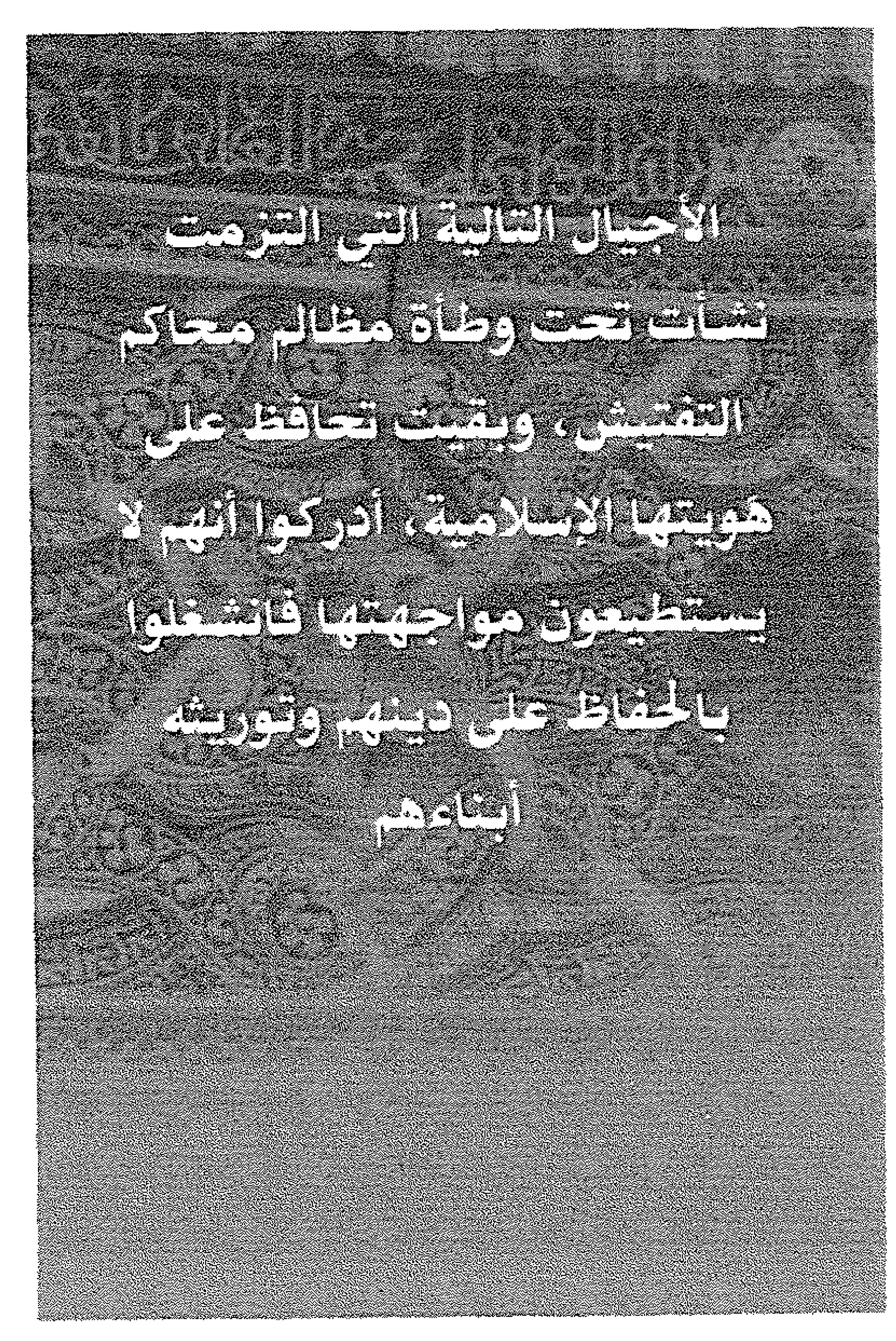


كنيسة يارينا

عندي أنهم ضحايا محاكم التفتيش في أواخر أيامها، حين سئمت منهم، ولعلها ليست المقبرة الجماعية الوحيدة.

يُضم إلى ذلك ما كتبه الإخْوَة في الشَّمال الأفريقي من مذكرات ودراسات وترجمات ومقالات ومراسلات - شعراً ونثراً- وكتب الرحلات والفتاوى، مثل: (أسنى المتاجر في بيان أحكام مَن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر) لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد التِلِمْساني الوَنْشَريشي (٩١٤هـ). كذلك ما كُتب عن المهاجرين الأندلسيين وما قاموا به من أعمال وجهاد وما قَدَّم لهم إخوانهم وعاونوهم فيه. والدولة العثمانية وجهودها في هذا الأمر كالأخوين بربروسا. ثم ما كتبه بعض سفراء المغرب إلى إسبانيا مثل: (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) للغساني و(نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) للغزَّال.

إن كل هذه المعلومات لو تجمعت فهي قياساً مادة قليلة لموضوع طويل معقد: كالمورسكيين، إلا أنه أمام حالة الندرة للمصادر تُصبح مادة جيدة للدارس، يجتمع منها ومن بقية الأنواع معلومات لابأس بها تُعين الدارس على كتابة جيدة، ويُنتفع كذلك بكل من خدم



هذا الميدان. كما أن المَقَّري الذي لقي بعض الأندلسيين في فاس وغيرها قد أودع مادة جيدة في كل من نفحه وأزهاره. ويبقى البحث عن المفقود والجديد قائماً، نسأل الله تعالى أن يوفق فيه.

وقلة المصادر الأندلسية تكاد تكون طبيعية، حيث إن الموريسكيين حُرموا من كل ما هو إسلامي. فضلاً عن أن يكتبوا أي شيء، وقد فعلوا الضرورة القصوى لدينهم فكتبوا بالعربية والأعجمية القَشتالية، إلى حد أنهم أخفوا الكتب والأوراق في أماكن غريبة، في الأرض أو مبنية في السقوف والحيطان. ومن طرائف ذلك ما ذُكر أنه في مدينة خراكوا قرب بلنسية VALENCIA اصطدمت سيارة بحائط قديم فتهدم وظهرت فيه مخطوطات، لم أعرف بمصيرها. فكيف يمكن بعد ذلك للموريسكيين أن يكتبوا تاريخهم وهم بين مطاردات ووحشيات محاكم التفتيش؟ وهذا السلوك والإصرار منهم يشير إلى مقدار اعتزازهم بالإسلام والتضحية من أجله. فما كان يمكنهم أن يكتبوا معاناتهم من السلطتين: السلطة الرسمية والسلطة الكنسية، وإن كنتُ لا أُبعد أنهم كتبوا شيئاً، ذهب أو لا يزال ينتظر الظهور.

ولقد تيسر -بفضل الله تعالى- الإطلاع على عدد من مخطوطات هذا الموضوع والحصول على صور (ميكروفلم) لبعضها.

إن لهذه المؤلفات المطبوعة والمخطوطة أهميةً كبيرةً في إلقاء الضوء من جديد أو ابتداءً، على كثير من الحقائق، مؤكدة بعضها ومصححة بعضها الآخر، حتى تظهر الحقيقة كاملة وواضحة. ومن المهم نشر ما يُعرف من هذه النصوص، والبحث عن غيرها. والدارس لها يجد فيها الجدة والثقة.

بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية -قبل غَرناطة- وسوء المعاملة التفتيشية التي لقيها المسلمون على يد السلطة النصرانية (كنيسةً وحكومةً)، بدأ الرحيل إلى المدن الأندلسية الأخرى أو إلى المغرب، وتَجَمَّع في غَرناطة منهم عدد كبير، والتي بان مصيرها مبكراً، وقبيل سقوطها الكبير وعند بلوغ حد التَّماس، رحل البعض ومنهم العلماء الذين لا يبدو أن رحيلهم كان أفضلَ اختيار لهم، أمثال:

القَلْصادي: (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، وابن الأزرق: (٨٩٦هـ/١٤٩١م)، والوادي آشي المؤرخ(٨٩٦هـ/١٤٩١م)، وبنو داود البلوية، الابن: أبو جعفر (هجرته ٨٩٤هـ وفاته بعد ٩٠٨هـ/١٥٠٢م)، وآخرون ذكرهم المَقَّري في أزهار الرياض.

وإذا صح تقديري لعدد المسلمين في الأندلس لدى سقوط غَرْناطة بنحو ستة ملايين، على الأقل فإن الكثرة الغالبة منهم ذهبت موزعة بين الترحيل والتقتيل، الذي تم -في كثير منه- حرقاً وجماعياً. بل وتجميعاً لأهل حي أو قرية أو مدينة، نساءً ورجالاً شيوخاً وأطفالاً، مثلما ذَكَرَ صاحب (نبذة العصر في أخبار بني نصر) (مجهول المؤلف). والبقية القليلة ذابت أو عَقَمَت فما أعقبت. وقامت محاكم التفتيش بدورها المتوارَث، لما يزيد على ثلاثة قرون، ابتدأت في إسبانيا ثم في البرتغال. أحرقت كل شيء: الإنسان والإيمان والنِّتاج المكتوب، بكل وسيلة وبحُمَّى مَسْعورة.

ثبت الموريسكيون في هذا الخضم العاتي، يخططون للحفاظ على دينهم بغاية من التصميم، كما بينه ابن عبد الرفيع في (الأنوار النبوية).

بدأت محاكم التفتيش والسياسة الكنسية -بعد إخلاف العهد- بإتلاف كل عامل لحماية الإسلام، في النفس والحياة، وإحراق الكتب، ثم بدأت عملية

التنصير والتقتيل حرقاً، لمن يرفض، ثم تقدمت الوسائل وتأكدت فكان التهجير والترحيل أو الموت حرقاً، الذي هو الحُكْم الاعتيادي السهل التأتي. والحكم يعني الحرق كما عند ابن عبد الرفيع. ثم كان الطرد الأخير الكبير سنة (١٠١٨هـ / ١٦٠٩م) الذي أصدره فيليب الثالث ملك إسبانيا.

وقبل سقوط غَرناطة استعبدوا مَن بقي من المسلمين في المدن الذاهبة، وهم المُدَجَّنون. وكانت محاكم التفتيش قد تكونت في شمال إسبانيا، قبل سقوط غرناطة، تسلطت على المسلمين والنصارى البروتستانت واليهود، وعاملت المسلمين بأشد وطأة وأوسع نِقمة، وحتى قبل انشائها، تعاملت بنفس الروح التي قادت إلى إنشائها ثم صدرت القرارات الباغية المتصاعدة تدريجياً وتباعاً، حتى مُثِّل وقُتِل مئات الآلاف –على أقلّ تقدير– خلال القرون الثلاثة (التي تلت سقوط غَرناطة٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م) دون أدنى اعتبار لأي معنى ولا أية قيمة للإنسان وللمسلم. ولعل آخر حرق أو قتل رسمي شُوهد، كان عام (١٨٣٥)، أي بعد ربع قرن من قرار إلغاء محاكم التفتيش الأول سنة (١٨٠٨)، الذي يبدو أنه لم يَرُقْهم أو نَدِمُوا أو أُجبروا عليه. جَندت محاكمُ التفتيش مئات الناس، فلم يكتفوا بأخذهم عبيداً، بل كانوا لها وقوداً. وأوقدت المجتمع وأحرقت إنسانيته فأفسدته، وما زالت آثار نفسية قائمة حتى اليوم، فقد أهلكت الحرث والنسل.

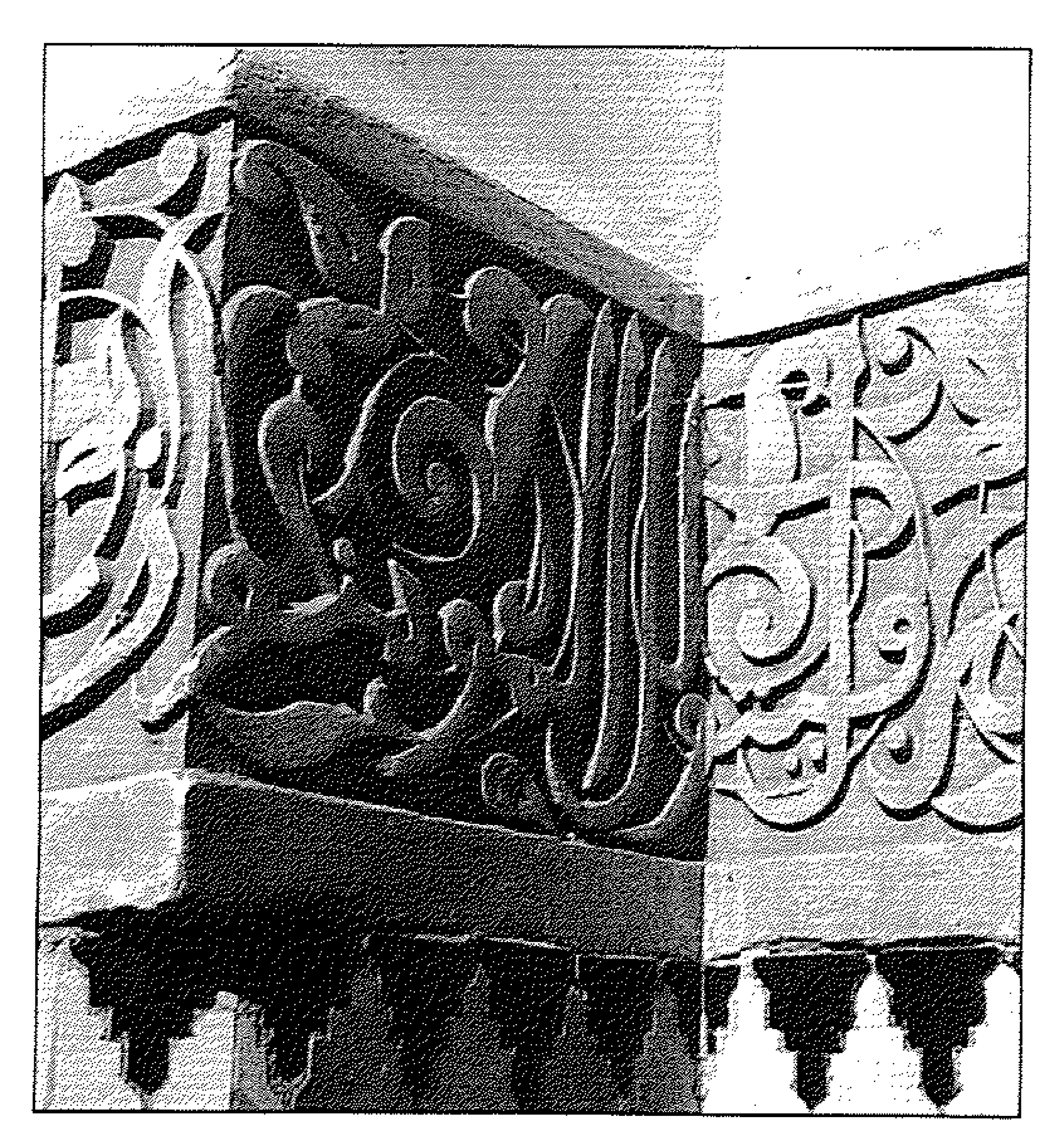
لقد حافظ المسلمون –بعد غَرناطة، ومثلما قبلها– على دينهم الذي كان عندهم أعز من حياتهم. ولو كانت مكانته مثل حياتهم أو معيشتهم لتهاونوا بها، أمام ذلك الخوف القائم والرعب القاتل، حتى الذين عاشوا مُدَجَّنين منهم في مدن سقطت مبكراً مثل (طُلَيْطِلَة) فقد أصروا على الالتزام، استمراراً وانتقالاً، كل جيل لتاليه، رغم معرفتهم نتيجة ذلك: الموت حرقاً أحياءً، ولأقل الأشياء –أحياناً– مثل: الخِتان وعدم الذهاب إلى الكنيسة أو الامتناع عن أكلات معينة مثل الكَسْكَسُون، حتى الصمت قد يُودِي بصاحبه. ويبدو أنّ مَن تَنَصَّر منهم كان قليلاً جداً، من الضعاف والمنافقين الذين أغرتهم الكنيسة واستعملتهم. وغير بعيد أن يكون لدى أحفاد أولئك حتى الآن حنين، بمجرد إحساس الواحد أن أصوله إسلامية. حتى لقد قال بعضهم (بالمعنى): إننا لو أزلنا طلاء حوائطنا لتبين تحته أثر الإسلام أو حككنا جلودنا لوجدنا تحتها آثاره.

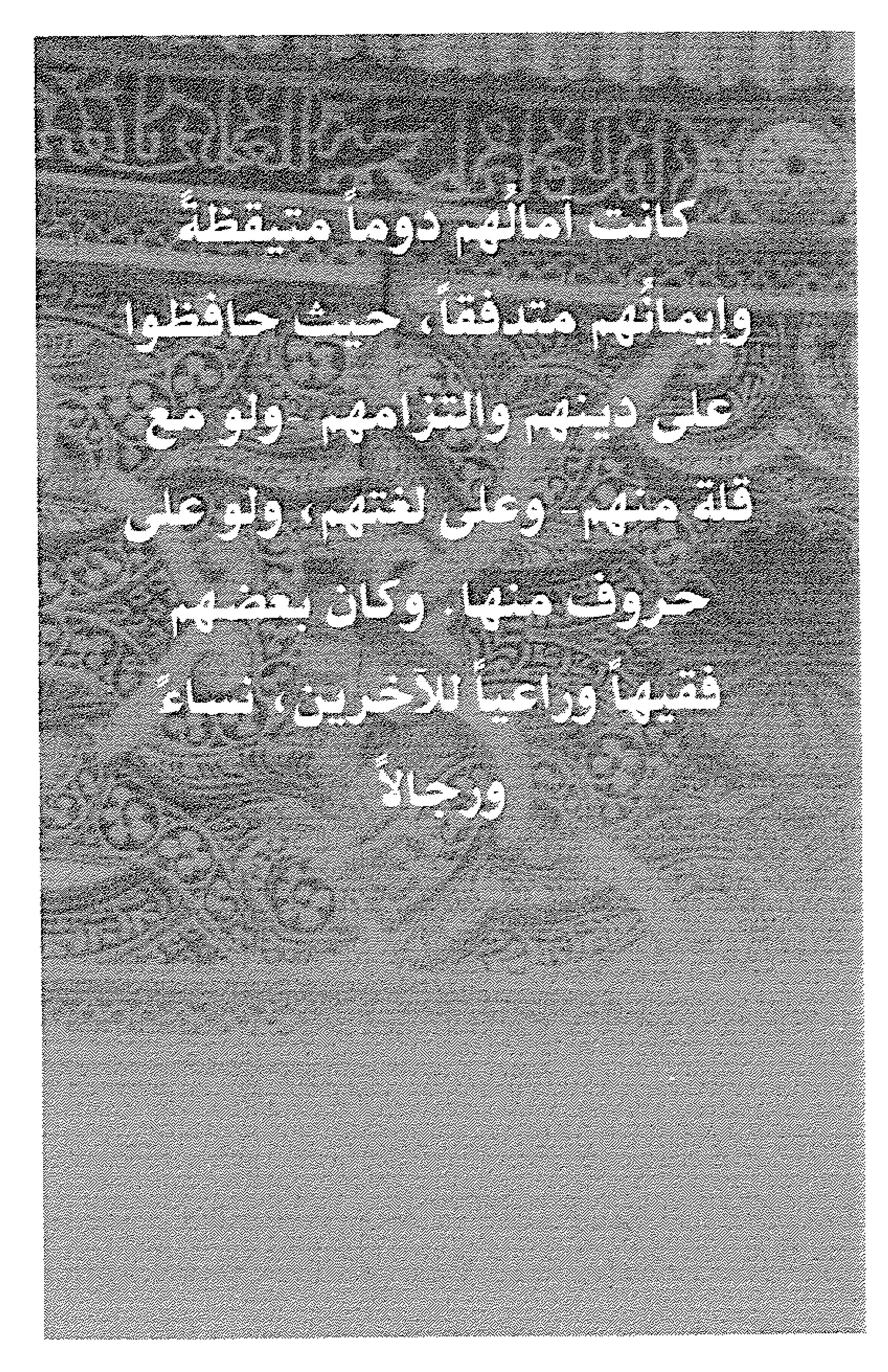
ولقد التقيتُ بعدد من هؤلاء، يصدق عليهم هذا القول بوضوح. والبحث المستمر، واستخراج وظهور وثائق جديدة من كل نوع سيؤكد هذا ويوضحه. وإلى عهد قريب كانت بعض العادات الموروثة ما زالت تمارس. فيذكر شكيب أرسلان: أنه نحو بداية القرن العشرين الميلادي، كان بعض قرى طليطلة يذبحون الأكباش يوم عيد الأضحى المبارك.

جاهد المورسكيون . ولم يكونوا دوماً ساكتين . تحت المطارق، وإنما كانت لهم مُحاولات ومواجهات جَلَبت لهم الموت ولم تصدّهم. وكم قامت من ثورات وبُذلت من نفوس تَعْلَم مصيرها مبكراً، للحفاظ على الدين. ولا يجوز اعتبار المورسكيين في دفاعهم معتدين في عمليات رد أو انتقام، بل فاسألوا كيف ولماذا؟ أم أن الحاكم مهما طغى وبغى واعتدى وعتا فلا مسؤولية عليه، أو هو مصون غير مسئول؟

وكم كان من المورسكيين من إذا واجه الأذى يزداد شجاعة، مثل: الشاب خوان الابن من عائلة الكامينيرو LES COMPNAERO في سَرَقُسْطة ZARAGOZA، التي أُحرق من نسائها ورجالها الكثير. وعندما حُكِم عليه بالموت حرقاً سنة ١٥٨٢م رمى بالصليب الذي كان يحمله جبراً ورفع سبابته يقرأ الشهادة قبل الموت.

وإذا كانت الأندلس دارَ جهاد ورباط وموئلَ حضارة وازدهار، فإنها بعد غَرناطة تعيش بأهل جهاد وموطن إنسانية مهداة، عانت وجاهدت. وهو ما يؤكده ابن عبد الرفيع الذي يُفهم من كلامه أنهم كانوا يبتدعون





الأساليب المناسبة لكل حالة، رغم الحرب والقسر والكسر، وإصدار قرارات الطرد، كما هو عند الشهاب الحَجْري، الذي يُعَبِّر عن علو أمل أهل الأندلس وحبهم للجهاد، وإن غُلبوا على أمرهم. ولذلك كانوا مستمرين في مراسلة أخوة الشَّمال الأفريقي والخلافة العثمانية وغيرها، لاسترداد الأندلس وإنقاذهم. وكانوا مستعدين للجهاد، حتى لقد رأى الشيخ الشهاب الحَجْري أن ستة وعشرين ألفاً من جيش المنصور الذهبي السعدي(٩٥٠-١٠١٢هـ/ ١٥٤٩-١٦٠٣م) كافٍ لاستعادة الأندلس، وهو ما ينقله الإفراني في (نزهة الحادي) عن (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب).

ولم يرحل المسلمون من الأندلس ابتداءً، ومنهم من أصرّ على البقاء وجعل نفسه حامياً، كأسرة الكامبنيرو في سَرَقُسْطَة وأسرة بني غيش في مُرْسِيَة MURCIA، أو وادي الرَّقُوطي، حتى بعد الطرد الأخير، الذي ليس هو الطرد الوحيد، كما يفهم من كلام ابن عبد الرفيع.

كانت آمالُهم دوماً متيقظةً وإيمانُهم متدفقاً، حيث حافظوا على دينهم والتزامهم -ولو مع قلة منهم- وعلى لغتهم، ولو على حروف منها. وكان بعضهم فقيهاً وراعياً للآخرين، نساءً ورجالاً، يتولون التدريس والرعاية ويستعملون كل إمكانية وطاقة للحفاظ على دينهم وأهله، ولو افتدوه بالنفوس. وما عَدَا مَن وُجِدَ هزيلاً بعد سقوط غَرناطة، فإنّ الأجيال التالية التي التزمت نشأت تحت وطأة مظالم محاكم التفتيش، وبقيت تحافظ على هَويتها الإسلامية، أدركوا أنهم لا يستطيعون مواجهتها فانشغلوا بالحفاظ على دينهم وتوريثه أبناءهم. وعاشوا وبينهم نوع من الارتباط. إنه لعجيب أن يعيشوا والسلطة والمجتمع (المحرَّض المُسَعَّر أو المُغَيَّب) ضدهم، بكليته أو أكثريته.

ولم يكن ذلك في نطاق محدود، لا من حيث المساحة ولا العدد، بل كاد أن يكون شاملاً. والدارس لحياتهم إن لم يَعْجَب من هلاكهم فسوف يعجب لاستمرارهم.

لا تَعْجَبَنْ مِن هالكٍ كيف قضى
بل فاعجبنْ من سالم كيف نجا

إن كتابات الموريسكيين التاريخية تدل على علو همة وإيمان صادق وشوق ممتد ومتجدد واحتمال بعزة، وإن هذا الوصف شامل ومع العلم يزداد، رغم الظروف. ولم تَرِدْ إلا إشارات خفيفة إلى موضوع التخلي من النساء والرجال.

ظهرت هذه الهمة من العلو حين هاجر من هاجر منهم إلى أرض الأحباب (المسلمين)، في المغرب الإسلامي الكبير وغيره من أنحاء العالم الإسلامي الواسع العريض، فأنعشوا الحياة وعَمَروا وجاهدوا براً وبحراً، وازدهرت بهم الحياة، يداً بيد مع إخوانهم الذين استقبلوهم خير استقبال وأكرمه.

إن شِحَّة معلوماتنا وقلة مصادرنا، زيادة على ظروف علمية مبعثرة، تجعل الكتابة في قضية الموريسكيين -لا سيما معالجة مثل هذا الجانب: (المصادر)- عسيرة وشاقة، ولكي تكون أكثر نضوجاً، فهي بحاجة إلى إمكانيات ومقتضيات لا بد من توافرها.

ولذلك فهذه الدراسة تجري في الوجهة التي أريدها، لكن المرجو أن تكون أكثر سعةً ونوعاً وتقصياً. وحتى يُدْرِك البحثُ مستوى جيداً، دون ذلك جهود طويلة وجلسات مضنية ومصادر ووثائق (لا سيما المخطوطة)، والنية متوفرة إن شاء الله تعالى وبعونه.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يهيء ذلك، ليبلغ البحثُ وموضوعُه المدى الرصين الأمين.■

بعد ٢٠٠ عام على إعدامه

(حملة شعبية لاستعادة سليمان الحلبي)


سليمان الحلبي

■ رياض توفيق*

بعد أكثر من ٢٠٠ عام تذكر السوريون فجأة بطلهم التاريخي سليمان الحلبي الذي قتل القائد الفرنسي كليبر في القاهرة وتم إعدامه بصورة وحشية وحملوا رفاته إلى فرنسا.
ويتجمع الآن السوريون ويواصلون جمع التوقيعات الشعبية لإرسالها إلى الحكومة الفرنسية مطالبين بعودة رفات البطل السوري المعروضة حالياً في متحف التاريخ الطبيعي بباريس.. ويعترض الشعب السوري على الطريقة غير اللائقة المعروضة بها الرفات.. فقد كتب تحت جمجمة البطل «جمجمة مجرم»

* نائب رئيس تحرير الأهرام

ويحكي التاريخ قصة هذا الشاب الورع الذي صنعت منه الأقدار بطلاً قومياً في سوريا ومصر وكل المنطقة العربية.. وتبدأ تفاصيل الرواية في يناير ١٨٠٠م عندما ذهب للحج إلى القدس عربي مسلم من سكان حلب اسمه سليمان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً وصناعته «كاتب عربي». قادته الأقدار إلى التعرف على أحمد أغا وهو ضابط تركي كان يومها بالقدس يشكو إليه من ضرائب باهظة فرضت على أبيه وهو تاجرُ مسْلى. وبعد حديث مع سليمان وعده الأغا بأن يذكر أباه بكلمة خير عند إبراهيم باشا والي حلب لقاء خدمة صغيرة وكان الطلب خطيراً وهو أن يقتل سليمان القائد الأعلى للجيش الفرنسي في مصر. ولم يوافق سليمان إلا بعد مقابلتين أخريين.

وصل سليمان إلى القاهرة حوالى منتصف مايو وأقام طوال الشهر التالي في الجامع الأزهر، كما كان يقيم كثير من المجاورين والطلاب يحاول الاشتغال كاتباً عمومياً ويقرأ القرآن على أحد الفقهاء. ومنذ وصوله تقريباً ائتمن على سره ثلاثة من الأزهريين الشبان وكلهم من مواطنيه. وأخبرهم فيما روى أحدهم شهادته بعد ذلك «كان مراده المغازاة في سبيل الله وأن هذه المغازاة هي قتل واحد نصراني» وزعم ثلاثتهم أنهم حاولوا أن يثنوه عن عزمه إذ خامرهم الشك في أنه الرجل الصالح للقيام بهذا العمل المشكور. على أنهم لم ينبهوا رجال السلطة وظلوا كل يوم في نقاش وجدال

حول هذا الفعل المبيت.

وكان الجنرال الفرنسي كليبر قد تولى قيادة القوات الفرنسية في مصر بعد رحيل نابليون في أغسطس ١٧٩٩.. ويقول الجبرتي عن كليبر «إن المشايخ لا يجدونه باسماً وظريفاً مثل بونابرت الذي نجح في إراحة جلسائه الشرقيين وإن المصريين شملهم الاندهاش والانفعال من صولته إذ كان أسداً درغاماً ذا قوام واعتدال.. له صورة ترعش الكود وترعب الأسود»

ويروي التاريخ تفاصيل هذا اليوم المثير ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ بدأ الجنرال كليبر هذا اليوم باستعراض بعض الجنود في جزيرة الروضة. وكان يقف في الجمع الشاب سليمان الحلبي وقد خبأ مدية تحت جلبابه. وتبع سليمان الجنرال في عودته للقاهرة إلى بيت الجنرال داما حيث دعا كليبر نفسه للغداء. وكان جو الطعام مرحاً برسمة صورة هزلية لبونابرت يطرد رجال الإدارة. أما سليمان فكان يتسكع أثناء ذلك حول بيت داما وفي العصر غادر كليبر الحفلة وكانت مستمرة، فقد كان على موعد مع المعماري بروتان الذي كان يضع تصميماً لبناء ملحق بقصر الألفي بك. وكان اليوم حاراً وقرر الرجلان التمشي في الحديقة. وكان كليبر يرتدي قميصه وسرواله فقط ولم يكن هناك حرس على مرأى منه.

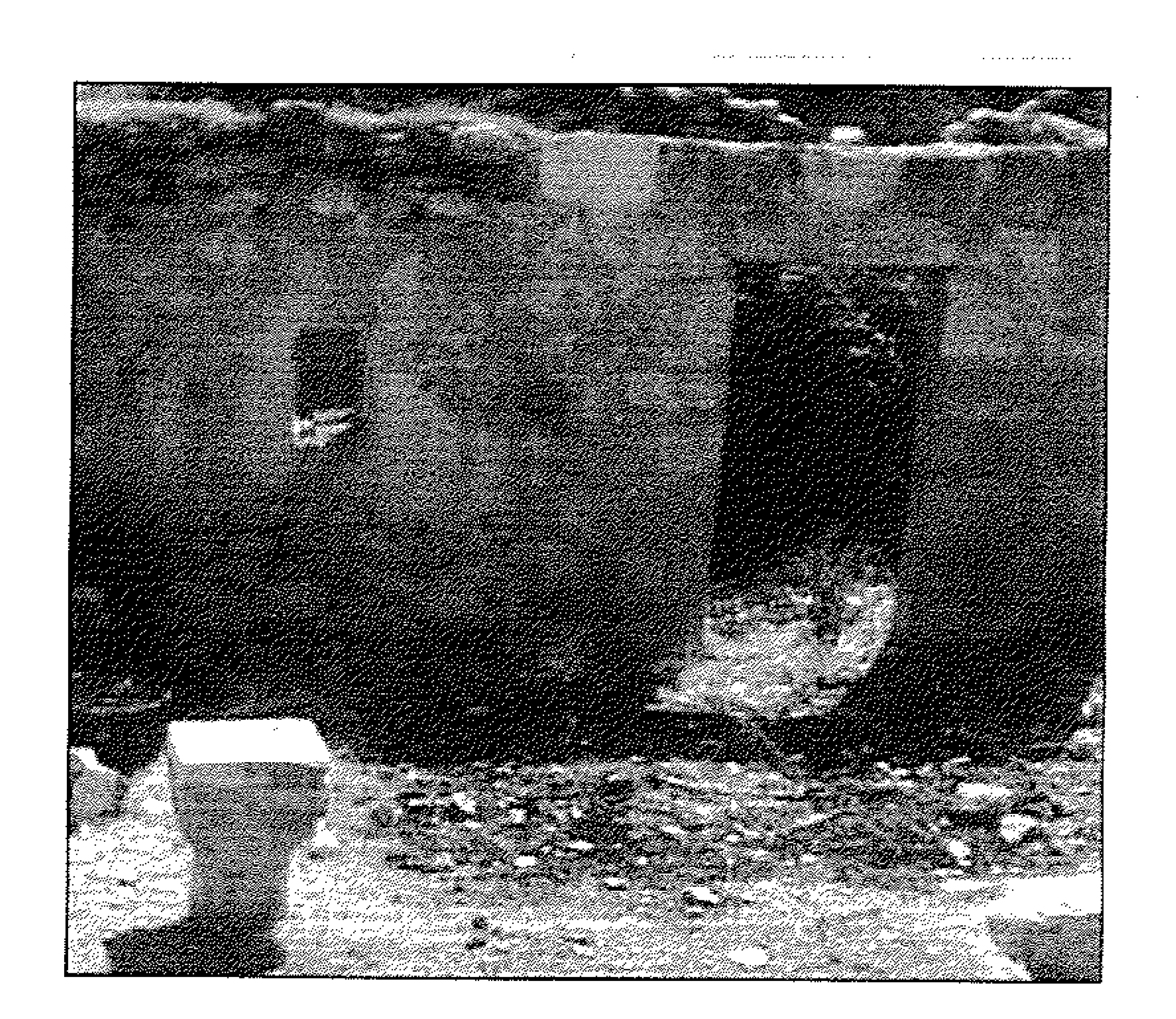
وإذا عربي في زى العمال يظهر على المشى ويسير صوب القائد. وظنه كليبر متسولاً فأشار له بالانصراف بينما مضى بروتان صوب البيت ليدعو ديدبانا. وتقدم سليمان ومد يسراه نحو كليبر كمن يريد أن يمسك بيد الجنرال ليرفعها إلى فمه وهي عادة تعودها أصحاب الحاجات. وناوله كليبر يده، وفي لحظة انطلقت يمين سليمان المخفاة وطعن بها كليبر في صدره. وهنا كان بروتان يتلفت وراء كتفه فرأى القاتل يسحب مديته وبينما كان كليبر يترنح أغمدها في بطنه ثم في ذراعه اليسرى وخده الأيمن. وكان أول عمل قام به بروتان أن ألقى بنفسه أرضاً. وسمع كليبر يجأر ثم يسقط. وهنا نهض بروتان وجرى نحو القاتل وضربه بعصاه فوق رأسه. وطعن القاتل بروتان ست مرات وتركه فاقد الوعي تقريباً ثم لاذ بالفرار. وانقضت ست دقائق –حسب شهادة بروتان– قبل أن تصل أي نجدة. وما لبث كليبر أن قضى نحبه بعد قليل.

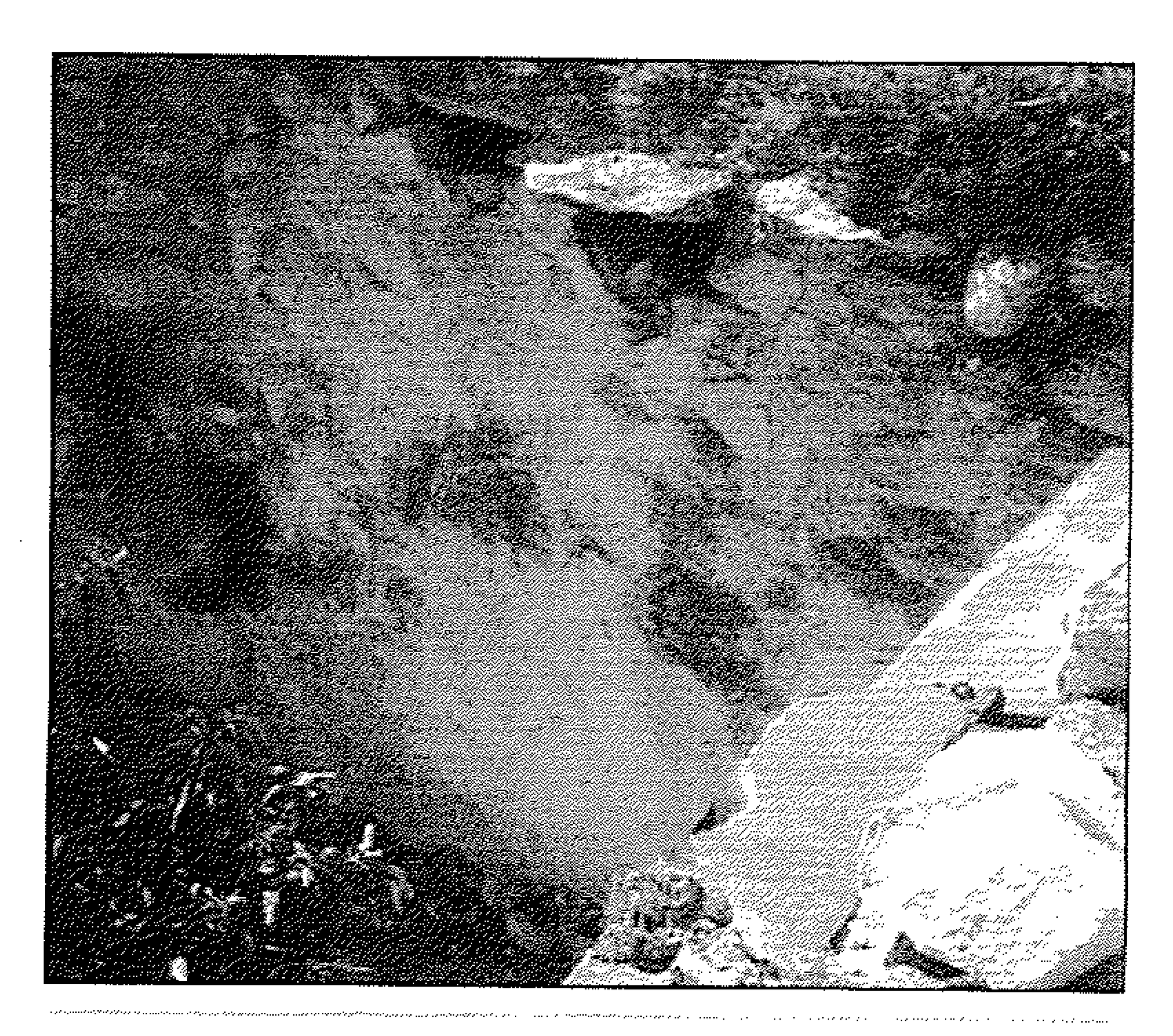
وانطلق من ميدان الأزبكية دوي طبل ينذر بالخطر. ولم تمض دقائق حتى كانت جميع الطبول في القاهرة تدعو الجنود إلى مراكزهم. وانتشر خبر مصرع كليبر بسرعة البرق. ولجأ الأهالي إلى بيوتهم مجتمعين بها خشية العاقبة بينما اندفع الجنود كالمجانين في الشوارع يضربون كل من يقف في طريقهم وقد اشتد بهم الغضب. ويقول الجاويش فرانسوا في يومياته، في غير حياء كما هو واضح «إننا قتلنا بسيوفنا وخناجرنا جميع من صادفنا من الرجال والأطفال». وانتهت الفوضى لحسن الحظ بمجرد القبض على القاتل. ذلك أنه في هربه لم يبتعد كثيرا عن مشهد الجريمة. وأشارت عليه للجنود امرأة رأته من سطح بيت مجاور فوجدوه جاثماً إلى سور حديقة متهدم وقد أصيب رأسه برضوض من ضربات بروتان، ولوث الدم اللزج ثيابه، وكان يصلي. ووجدوا المدية بقربه وهي لا تزال ملوثة بالدم مغطاة بتراب قليل.

وقامت بالتحقيق الابتدائي لجنة يرأسها مينو، الذي خلف بحكم أقدميته كليبر في القيادة العليا للجيش. وأنكر سليمان أول الأمر أي علاقة له بالجريمة رغم قوة القرائن. ومن ثم، كما ورد في نص الإجراءات، «فلما أن كان المتهم لم يُصدق في جواباته أمر ساري عسكر أن يضربوه بحكم عوائد البلاد. فحال أن ضرب، حتى أنه طلب العفو ووعد أنه يقر بالصحيح فارتفع عنه الضرب».

وحوكم غير سليمان أربعة آخرون الأزهريون الثلاثة الذين أفضى إليهم بفكرته، وشيخ من المقرئين اسمه مصطفى أفندي البرصلي الخطاط كان سليمان يقرأ عليه القرآن. وأثبت الفحص الدقيق والمواجهة أن الأزهريين الثلاثة كانوا شركاء في جريمة قبل ارتكابها، لأنهم لم ينبهوا السلطات إلى أن سليمان ينوي اقتراف جريمة، أما مصطفى أفندي فاتضحت براءته وأطلق سراحه، وحكم بقطع رؤوس الشيوخ الثلاثة. وأما سليمان فقد رأت المحكمة أن تطبق عليه عقوبة تسمح بها تقاليد الحكم في البلاد، ولكنها لا تتفق مع مبادىء الجمهورية الفرنسية وهى إعدامه على خازوق! بعد شوى يده اليمنى.

وظلت طلقة مدفع تسمع من القلعة مرة كل ثلاث دقائق طوال أيام ثلاثة عقب موت كليبر. وفي ١٧ يونيو





أطلال منزل والد الشهيد سليمان الحلبي

حمل نعش كليبر، وعليه قبعته وسيفه وسكين قاتله، إلى مدفنه باحتفال عسكري ضخم. وكان الجنرال مينو يتصدر موكب المشهد. ودقت الطبول دقاً خافتاً وجللت بالكريب الأسود؛ وحمل الجنود بنادقهم منكسة ووضعوا أشرطه من الكريب الأسود على أكمامهم. ومشى خلف النعش الرصاصي وفد من الفرسان المماليك يمثلون مراد بك، وأعيان القاهرة مسلمين ومسيحيين. وتوقف المشهد وأنزل النعش على التل الذي كان سليمان وشركاؤه ينتظرون إعدامهم فوقه. وانطلقت المدافع تعلن بداية هذا الشطر من الاحتفال. الذي بدأ بقطع رؤوس الشيوخ الثلاثة، وكان الفحم أثناء ذلك يحمى في مجمرة. ولم يشك سليمان ويده تشوى على الجمر، ولكن حين انزلقت جمرة إلى مرفقه، نبه العسكر إلى أن الحكم عليه لم يذكر المرفق، بل اليد فقط، وأصر على حقوقه حتى أزيحت عن مرفقه الجمرة. وقد سجل الجاويش فرانسوا التفاصيل الجراحية لخوزقة سليمان بعد إحراق يده، وهو يزعم أنه راقبها عن بُعد خمس خطوات: ويستطيع هواة هذه الأشياء الرهيبة أن يرجعوا إليها في يومياته. ومن الطريف أن تذكر أن جميع الحاضرين، كانوا فيما يبدو ينظرون إلى هذا الإجراء الوحشي على أنه إجراء عادي لا غبار عليه. وبعد القسم التمهيدي من العملية، رفع الخازوق قائماً وعليه سليمان ثم غرس في الأرض. ورجا سليمان جندياً فرنسياً واقفاً بقربه أن يعطيه شربة ماء. وكان على وشك أن يناوله زمزميته لولا أن منعه العسكر: فإن أقل شربة من الماء كفيلة بقتله فوراً، فيتعطل بذلك مجرى العدالة!!.

واستأنف المشهد سيره تاركاً سليمان على خازوقه يصلي. وألقى فوربيه على قبر كليبر خطاباً طويلاً وبعد ساعات قضى سليمان نحبه وتركوه أياماً في العراء ثم حملوا رفاته إلى باريس حيث تم وضعه في متحف التاريخ الطبيعي بهذه الصورة المهينة التي يرفضها الشعب السوري.

على أن التساؤل القومي: ما مدى أحقية سوريا في المطالبة برفات مواطنها البطل سليمان الحلبي الذي ترقد رفاته الآن في المتحف الفرنسي؟

د. نبيل حلمي أستاذ القانون الدولي يقول «إن ذلك قد يتم بالطرق الدبلوماسية.. وفي حالة الفشل.. يكون الالتجاء إلى القضاء وعندئذ يجب توافر شروط شكلية وهي أن ترفع الدعوى ممن له مصلحة في ذلك وهو أحد أقاربه.. وأن ترفع أمام المحكمة المختصة إقليمياً وهي هنا مكان وجود الجثمان أي فرنسا.

وأيضاً يجب أن تتوفر الشروط الموضوعية بأن يبدي الطرف الذي يطالب باسترداد الجثمان الدفوع القانونية الخاصة بعدم مشروعية وجود الجثمان في فرنسا.. وأن سوريا هي الأحق بدفنه في أرضها. وللمحكمة النظر في هذا الموضوع وهي التي تقرر تسليم الجثمان من عدمه.

الطريق قد يبدو طويلاً.. ولكن يستحق السير فيه تقديراً لبطل قومي تتحدث عنه كتب التاريخ لأطفالنا وأبنائنا في سيرة الأعمال الوطنية العربية.■



أهم أصناف النخيل قديماً وحديثاً

■ الدكتور عماد محمد ذياب الحفيّظ*

كانت أصناف النخيل معروفة عند العرب والمسلمين بحسب مناطق زراعتها، أو لصفة يتميز بها الصنف مظهريا، أو مذاقاً أحيانا أو نسبة إلى اسم زراعها.

الأصناف التي نجدها اليوم منتشرة وبمختلف مناطق زراعة النخيل نشأت من خلال زراعة النوى في باديء الأمر بشكل مقصود أو بالصدفة خلال فترات زمنية طويلة، وعند الحصول على نخلة ذات تمور بمواصفات جيدة اهتم بها العربي وكثّرها من خلال زراعة فسائلها، وهكذا تصبح معروفة ثم تنتشر فتكون صنفا مميزا ومعروفا، ولذلك نجد أن كل منطقة في العالم تكاد تكون متميزة بأصناف معينة دون الأخرى عدا بعض الاستثناءات القليلة في وجود عدد من الأصناف في أكثر من قطر أو إقليم، وهذا ما يؤكد دور النوى في انتشار النخيل بأرض المعمورة. ذكر ابن الفقيه الهمداني، وهو من أقدم المؤلفين الجغرافيين بالعربية، فقال في وصفه لليمامة: وأما تمره، فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين، يمامي اليمامة، فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي.

ولعل أهم أصناف النخيل وأكثرها عدداً أيضا كانت في مدينة البصرة، فذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخيل البصرة دون نخل المدينة المنورة ودون مصر واليمامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والاحواز وما بها، أيام المعتصم: إذا ثلاثمائة وستون ضربا[١].

أما أشهر أصناف نخيل البصرة فكانت التي ذكرها المقدسي، وهو من أهل المائة الرابعة للهجرة ما نصّه: من أجناس التمور تسعة وأربعون الضبي، الحرني، الخشوم، المعقلي، الازاد، الهلياث، الكرمي، القثرية، القريطي، الهيروم، البدالي، الريفي، العروسي، الباذنجاني، الابريهمي، الزنبوري، اليعضوض، البر ناج، البرني، السهريز، الحركان، الحاسران الأصفر، المحكوم، القصب، الجنابي، المدحرج، الغراني، الشرقي، الخوارزمي، الفحل، المابوري، بيض البغل، الفاوسان، وبها صيحاني نقله أبو أحمد الموسائي من المدينة[٢]، والتمر المعقلي المذكور منسوب الى نهر معقل من انهار البصرة، بل هو يعد من خصائص تلك البقعة[٣].

بل أن التمر المعقلي ورد ذكره مع تمور أخرى اشتهرت بها بعض البلاد، فقد قال المقدسي[٤]: ولا نظير لثمانية أجناس تمور: صيحاني المدينة، وبردي المروة، ومسقر ويكة، ومصين عمان، ومعقلي البصرة، وأزاد الكوفة، وأنقلي صغر، وكرماساني كرمان.

بل من تمور البصرة التي كانت مشهورة أيام الدولة العباسية البرني والشهريز، فقد قال الجاحظ[٥]: إن أبا جعفر المنصور كتب الى سَلَمَ بن قتيبة بن مسلم لما ولاّه البصرة، يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم وعقر نخلهم قال: فكتب إليه سَلَمَ: بأي ذلك نبدأ، بالدور أم بالنخيل؟ فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد فإني لو كتبت إليك بإفساد تمرهم، لكتبت إليّ تستأذنني بأية نبدأ: بالبرني أم بالشهريز.

يعد الخليج العربي حتى أواخر القرن العشرين من أشهر مناطق زراعة النخيل عند العرب والمسلمين بل في العالم أجمع من حيث عدد نخيله والبالغ حوالي ٧٠ مليون نخلة[٦]، وكذلك عدد أصنافه والبالغة ٦٥٠ صنفا[٧]، وبذلك يكون الخليج العربي أكبر منطقة في العالم من حيث عدد نخيلها وأصنافها. إلا أنني أخشى القول إن هذه الأعداد وأصنافها قد انخفضت ومنها ما اندثر بسبب ظروف الحروب والحصار على العراق

* عضو إتحاد المؤرخين العرب



حتى أصبح أعداد النخيل اليوم في العراق تزيد قليلا عن الستة ملايين نخلة فقط.

أهم أصناف النخيل ومناطق زراعتها قديما:

تمور الخليج العربي كانت مشهورة منذ القدم، فقد جاء ذكرها في العديد من المصادر والمؤلفات القديمة، ففي حكاية أبي القاسم البغدادي[٨] المنسوبة إلى محمد بن أحمد أبي المطهر الأزدي، لجملة أنواع من التمور التي كانت شائعة في بغداد في المائة الرابعة للهجرة، فقال في سياق كلامه عن محاسن بغداد وما تمتاز به على غيرها من البلاد، ما هذا نصه: ولا أرى فيها (أي غيرها من البلاد) بسر ماء سكر نيقت في الفم كأنه الفاينذ الخزائني، بسرة منه خير من نخلة وشمراخ خير من قراح كأنه ولا السكر والجسوان ولا الطبرزد ولا الازرد والقرشة والخاستواني والمشمش والعبدسي والحركان والعروس والهلياث والحمران والهيرون والباذنجان والماديان ولا المشان والصعتري والمعقلي والبسر والمطبوخ (البريمي) ولا التمر المصنع الإبراهيمي والصرفان والبرني ولا المعلق ولا الصيحاني والعمري ولا البدالي والفرشي ولا البرني والازاد العلك اللزج الذي كأنه القند او شهد مقمّع بالعقيق.

وأصناف التمور كانت لا تقتصر على البصرة وبغداد فقط، فالكوفة كان أهلها يتفاخرون بنخيلهم على نخيل البصرة، فمما يحكى من المفاخرات بين أهل الكوفة والبصرة ما نقله ابن الفقية الهمداني[٩] عن المدائني، قال: اجتمع أهل العراق عند يزيد بن عمر بن هبيرة، فقال بن هبيرة: أي البلدين أطيب ثمرة: الكوفة أم البصرة؟

فقال خالد بن صفوان: ثمرتنا أطيب أيها الأمير: فقال عبد الرحمن بن بشير العجلي: لست أشك أيها الأمير إلا وأنكم قد اخترتم للخليفة ما تبعثون به إليه، فقال: أجل! فقال: قد رضينا بأن تحكم لنا وعلينا، فأي الرطب تحملون اليه؟ قال النرسيان، فقال وهذا ليس بالبصرة منه واحدة، فقال ألست تعلم إنها أفضل من البصرة، كما ذكر النخل في المناطق الأخرى، فذكر الحموي عن عين التمر[١٠]، فقال: بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له شفاثا، منها يجلب القسب والتمر الى سائر البلاد (أي الدولة العباسية)، وهو بها كثير جدا وهي على طرف البرية، وهي قديمة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد. ولا زالت ناحية عين التمر وقرية شفاثا شاخصة تشتهر بزراعة النخيل والرمان اعتماداً على مياه العيون والآبار في زراعتها، فهي واحة جميلة، كما ذكر الحموي عن زراعة النخيل في باعشيقا[١١]، فقال: والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والنارنج وكذلك ذكر أيضا النخل في تلعفر[١٢]، فقال: وبها نخل كثير يجلب رطبه إلى الموصل، وسنوضح في الجدول التالي أهم أصناف النخيل قديما وحديثا في دول الخليج العربي.

أصناف ومناطق زراعة النخيل حديثا:

في وقتنا الحاضر لا نجد النخيل يزرع في هاتين المدينتين الباردتين من شمال العراق واللتين سبق ذكرهما وذلك لانخفاض درجة الحرارة التي لا تساعد على نمو وإنتاج النخيل، ولا نعرف ما هي أصناف النخيل التي كانت تزرع فيها أو الوسائل التي استخدمها العرب والمسلمون في كيفية الحفاظ على أشجار النخيل من البرودة أيام الشتاء، وقد نشاهد في أيامنا أعداداً قليلة من النخيل في الموصل وما جاورها بشمال العراق، إلا أنها أشجار لا تثمر ولا يوجد مكان يهتم بها إلا قليلاً جداً. كان يبلغ عدد أصناف النخيل في العراق ٦٢٣ صنفا[١٣] حتى عقد السبعينات من القرن العشرين الميلادي حيث يمكن اعتبار الخليج العربي وبلاد الرافدين بنكاً للجينات الوراثية المفضلة عن باقي أصناف النخيل في العالم. إلا أنها لم تعد كذلك فمجموع أصنافها اليوم لا يتجاوز ٦٥٠ صنفاً فقط، وأهم هذه الاصناف على مستوى التجارة الخارجية هي صنف الحلاوي، الزهدي، الخضراوي، الساير وهناك أصناف أخرى تمتاز بالجودة وقد تتفوق على بعض سابقاتها في مواصفاتها، إلا أن كميات إنتاجها قليلة اليوم، كما أن أعداد نخيلها قليلة مقارنة بالأصناف الأخرى، ومن أهم هذه الأصناف: البرحي، والفرض، والخصاب لذلك نجد أن هذه الأصناف ذات سوق رائجة على مستوى التجارة الداخلية فقط وعلى مستوى التجارة بين شعوب دول الخليج العربي.

رقم	التسمية القديمة	التسمية الحديثة	منطقة زراعته
١	إبريهيمي	ابراهيمي وبريمي وبريم	العراق والامارات وعمان والكويت والبحرين وقطر
٢	أحمر	احمرا	العراق والحجاز والبحرين
٣	استعمران	استاعمران	العراق والسعودية
٤	ازاد	زهدي	العراق والكويت
٥	شرصي	اشرسي	العراق
٦	اصفر	اصفر (صفري)	العراق والسعودية
٧	أم الجرذان (برني)	برني (برحي)	العراق والسعودية
٨	اوتكي	-	السعودية
٩	اطيرق	-	السعودية
١٠	برني	برحي (برني)	العراق واليمن والاحساء وقطيف والامارات
١١	باذنجاني	باذنجاني	العراق
١٢	برشومة	-	العراق
١٣	برنامج	مزناج	العراق وعمان ورأس الخيمة
١٤	ابريمي (بريم)	بريم (ابريمي)	العراق ومصر والقطيف والامارات
١٥	بيض البغل	بيضات البغل (بيض البغل)	العراق وعمان ورأس الخيمة
١٦	جاسران	-	العراق
١٧	جناسري	-	العراق
١٨	جنابي	-	العراق
١٩	جهندر	-	العراق
٢٠	جوزي	جوزي	العراق والحجاز
٢١	حرثي	-	العراق
٢٢	حزكان	حركانة	العراق والقطيف
٢٣	حلاوة	حلاوي	العراق ونجد والبحرين وعمان وقطر والكويت
٢٤	خستواني (خاستاواني)	خستاوي	العراق والكويت
٢٥	خصاب	خصاب	العراق والاحساء وقطيف وعمان
٢٦	خضرية	خضراوي	العراق واليمن والكويت والبحرين وقطر والسعودية
٢٧	خنيزي	خنيزي	العراق والسعودية والإمارات
٢٨	خوارزمي	-	العراق
٢٩	خيشوم	-	العراق
٣٠	ديري	ديري	العراق
٣١	ريفي	-	العراق
٣٢	زب رباح	بيض البغل	العراق والسعودية
٣٣	سكر	سكر (سكري)	العراق والسعودية
٣٤	سهرير	ساير	العراق والكويت والسعودية
٣٥	سبع	بنت السبع	العراق والسعودية
٣٦	شقمة	-	العراق
٣٧	صحري	-	العراق

رقم	التسمية القديمة	التسمية الحديثة	منطقة زراعته
٣٨	صيحاني	صيحاني (سيحاني)	العراق والسعودية
٣٩	طبرزي	تبرزل (طبرجلي)	العراق والسعودية والكويت
٤٠	طياب	–	العراق والكويت
٤١	عشوان	–	العراق
٤٢	عروسي	اصابع العروس	العراق والسعودية
٤٣	عمري	عمري	العراق
٤٤	عمانية (باهين)	عمانية	العراق وعمان
٤٥	غراني	غزاوة	العراق
٤٦	فحل	فحل	العراق ومختلف أقطار الخليج العربي
٤٧	فوسان	–	العراق
٤٨	قرثية	قرثية	العراق
٤٩	قريطي	–	العراق
٥٠	قسب	كسب	العراق والكويت
٥١	قنطار	كنطار (قطار)	العراق والسعودية وقطر
٥٢	كبكاب	جبجاب	العراق والكويت
٥٣	كرامي	–	العراق
٥٤	مابوري	–	العراق
٥٥	مجدر	–	العراق
٥٦	محكرم	–	العراق
٥٧	مدحرج	–	العراق
٥٨	معقلي	–	العراق والكويت
٥٩	مكتوم	مكتوم	العراق والسعودية والإمارات
٦٠	نرسيان	نرسي	العراق والسعودية والإمارات
٦١	هلالي	هلالي	العراق والسعودية والإمارات
٦٢	هلياث	–	العراق
٦٣	يعضوض	–	العراق
٦٤	يمامي	–	السعودية
٦٥	الزنبوري	–	العراق
٦٦	جسيوان	–	العراق والسعودية
٦٧	بردي	–	العراق
٦٨	مصين	–	عمان
٦٩	مسقر	–	العراق
٧٠	القرشة	–	العراق
٧١	الحمران	احمر (حمراء)	العراق واليمن
٧٢	العبدسي	–	العراق
٧٣	ماديان	–	العراق
٧٤	مشان	–	العراق
٧٥	صرفان	–	العراق والكويت
٧٦	صعتري	–	العراق

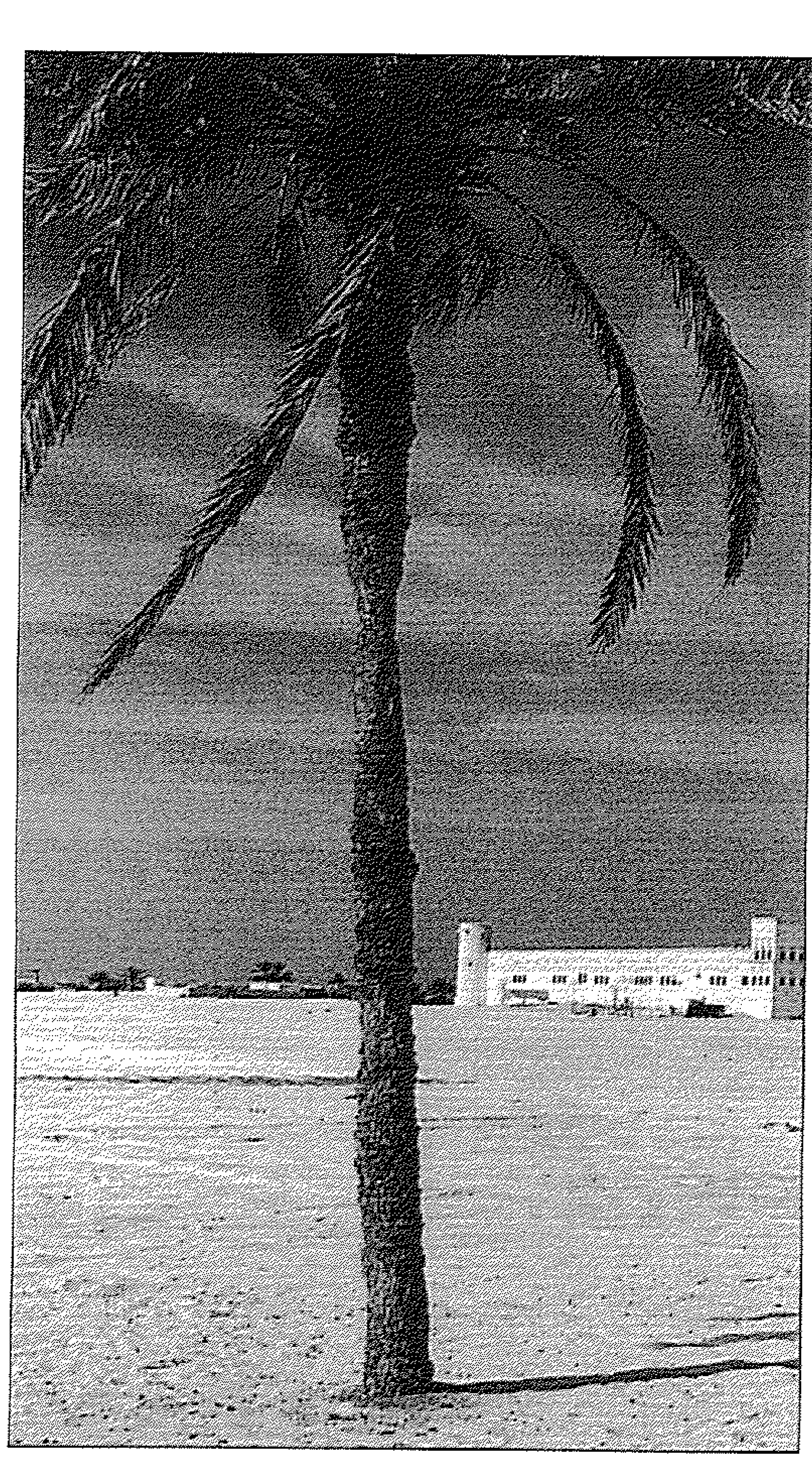


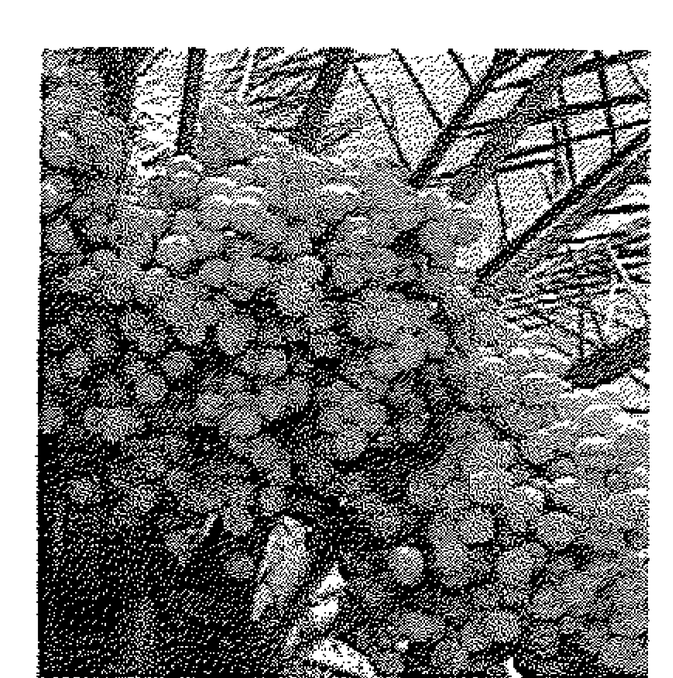
رقم	التسمية الحديثة	التسمية الحديثة	منطقة زراعته
٧٧	المشمشي	بنت المشمشي	العراق
٧٨	البدالي	-	العراق
٧٩	فرشي	-	العراق
٨٠	العجمضي	-	عمان
٨١	سوادي	سوادي	السعودية
٨٢	العجوة	العجوة	السعودية
٨٣	الجذامي	-	السعودية
٨٤	القطيعي	-	السعودية
٨٥	البلعق	-	عمان
٨٦	الجعرور	-	السعودية
٨٧	مصران الفأر	مصران الدجاج	السعودية
٨٨	معي الفأر	-	السعودية
٨٩	ابن حبيق	-	السعودية
٩٠	الفرض	الفرضي او الفرض	الإمارات وعمان
٩١	العرف	-	البحرين
٩٢	النابجي	-	البحرين

أصناف النخيل في دول الخليج بين الماضي والحاضر:

توجد أصناف أخرى من النخيل معروفة أيضا في مختلف مناطق أرض العرب والمسلمين، فورد اسم صنف السهرير، الذي قال عنه ابن سيده[١٤]: يقال للتمر السهرير سوادي، والعجوة بالحجاز نظير السهرير بالعراق، وقيل هما واحد ولكن فرق بينهما البلدان والهواءان، وقال أيضا: ونظير السهرير باليمامة الجذامي ومن الأسماء الأخرى للسهرير الاوتكي والقطيعي[١٦] (اسم صنف السهرير اليوم الساير).

وعن صنف البرني قال ابن سيده[١٧]: أم الجرذان بالمدينة مثل البرني بالبصرة، وقال السجستاني[١٨]: البرني بعمان البلعق وهو تمر اصفر ومدور وهو أجود تمورهم. ويعد صنف البرني من أجود التمور عند العرب والمسلمين فقال السجستاني[١٩]: وأما البرني (اليوم اسمه البرحي) فخير التمر وأجوده وأصحه، وذكر هذا القول أيضا الزبيدي[٢٠]، ويعرف اليوم البرني في معظم مناطق زراعته عند أهل العراق باسم البرحي[٢١] وكذلك عند أهل الخليج العربي والجزيرة العربية.





ولعل أصناف نخيل العرب والمسلمين في شمال أفريقيا لم تكن معروفة أو ذات صفات غير مرغوبة فلم تذكر في المخطوطات والمصادر المتوفرة والتي ذكرت أهم أصناف تمور العراق والحجاز والمدينة واليمامة وعمان والبحرين وغيرها.

ومن أصناف التمور التي عرفها العرب والمسلمون في أرض الحجاز الاطيرق فقال السجستاني[٢٢]: الاطيرق أبكر نخل الحجاز في السعودية وحتى يومنا الحاضر حيث تسبق نخله كله وهي صفراء البُسر والتمر، كما ذكر صنف العجوة[٢٣] ، وأم الجرذان[٢٤] والصيحاني[٢٥] من تمور الحجاز، علما أن صنف العجوة منتشر اليوم في مصر والسودان وليبيا ولعله تم نقل هذا الصنف وغيره من الأصناف من قبل العرب والمسلمين منذ قديم الزمان وخاصة خلال فترات حملات التحرير الإسلامية.

أما عن أردأ أصناف تمور الحجاز قال السجستاني[٢٦]: ومن رديء تمر الحجاز الجعرور ومصران الفأر ومعي الفأر وعذق ابن حبيق والجيسوان سمي بذلك لطول شماريخه.

وتنتشر اليوم زراعة النخيل في العديد من مناطق المملكة العربية السعودية كالقطيف والاحساء، ومن أشهر أصنافها الخنيزي، ابكيرة، ارزيز، حيث يبلغ مجموع أعداد أصناف النخيل فيها ٧٦ صنفا[٢٧].

وكذلك يزرع النخيل في نجد وقصيم وأهم أصنافها خضري ومكتومي ومجموع عدد أصناف تمورها يبلغ ١٠٤ أصناف. أما في أرض الحجاز فأعداد أصناف النخيل فيها ٧٢ صنفا أهمها العجوة والعنبرة.

ومن أهم أصناف التمور التي تعرف اليوم في دولة الإمارات هي الخصاب والبرحي والليلوي حتى بلغت أعداد النخيل فيها ٤٠ مليون نخلة وهي في ذلك أول دولة في زراعة النخيل من حيث العدد والتي تضم حوالي ١٥٠ صنفاً من النخيل. أما في عُمان فأهم أصناف النخيل الفرض[٢٨] والبلعق والعجمضي[٢٩]، واليوم يبلغ عدد أصناف النخيل فيها ٩٣ صنفا أهمها الفرض والمزناج[٣٠]، كما عرف صنفا النخيل العرف[٣١] والنابجي[٣٢] في البحرين واليوم أشهر اصناف نخيلها الخنيزي من بين ٢٣ صنفا من أصناف النخيل.

لقد تم توضيح ذلك كما أسلفنا في الجدول السابق والذي يبين مناطق زراعة النخيل وأصناف كل منها وكذلك أهم أصنافها في دول الخليج العربي قديما وحديثا حيث إنه تم جمع أهم أصناف النخيل التي جاء ذكرها في المصادر العربية والإسلامية القديمة والحديثة التي تحدثت عنها هذه الدراسة وما هي الأصناف القديمة التي مازالت سائدة أو التي لم تعد موجودة في بلدان الخليج العربي اليوم.■

المصادر والمراجع:

١- كتاب مختصر البلدان لابن الفقيه الهمداني، ص ٢٥٣، طبعة ليدن سنة ١٨٨٥م.
٢- كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري المقدسي، ص ١٣٠- ١٣١، طبعة ليدن ١٩٠٦م.
٣- نفس المصدر ص ١٢٨.
٤- نفس المصدر ص ٤٧.
٥- كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ج٢ ص٢٢٣-٢٢٤، طبعة السندوبي.
٦- الحفيّظ، عماد محمد ذياب ٢٠٠٣، النخيل والتمور في دول مجلس التعاون. دار الياقوت، الأردن.
٧- البكر، عبد الجبار ١٩٧٢ نخلة التمر. بغداد، العراق.
٨- كتاب حكاية أبي القاسم البغدادي لمحمد بن احمد أبي المطهر الأزدي ، ص٤٤، طبعة آدم متز، هيدلبرج ١٩٠٢ م.
٩- كتاب مختصر البلدان ص١٧٥- ١٧٦.
١٠- كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٣ ص٧٥، طبعة لايبزك.
١١- نفس المصدر ج١ ص٤٧٢.
١٢- نفس المصدر ج١ ص٨٦٤.
١٣- البكر ص ٥٤٦-٦٣٤.
١٤- كتاب المخصص لإبن سيده، ج١١ ص١٣٣-١٣٤، طبعة القاهرة.
١٥- نفس المصدر والجزء والصفحة.
١٦- كتاب النخل للسجستاني، تحقيق ابراهيم السامرائي. دار اللواء، بيروت ١٩٨٥م.
١٧- إبن سيده ج١١ ص ١٣٣.
١٨- السجستاني ص ١٣٣.
١٩- نفس المصدر ص ١٤٦.
٢٠- كتاب تاج العروس للمرتضى الزبيدي، ج٩ ص ١٣٧.
٢١- الحفيّظ ص ٢١.
٢٢- السجستاني ص ١٣٤.
٢٣- نفس المصدر ص ١٣٣.
٢٤- إبن سيده ج١١ ص ١٣٣.
٢٥- كتاب مسالك الممالك، طبعة ليدن، ص ٢١.
٢٦- السجستاني ص ١٣٣.
٢٧- البكر ص٦٤ - ٦٦.
٢٨- نفس المصدر ص٦٥٣ - ٦٥٨.
٢٩- نفس المصدر ص٦٦١ - ٦٧٢.
٣٠- السجستاني ص ١٣٤.
٣١- نفس المصدر ص ١٤٦.
٣٢- البكر ص٦٧٤ - ٦٨١.

فنون الأرابيسك

إلهام فردي وإبداع شعبي

■ د. سماح أحمد فريد

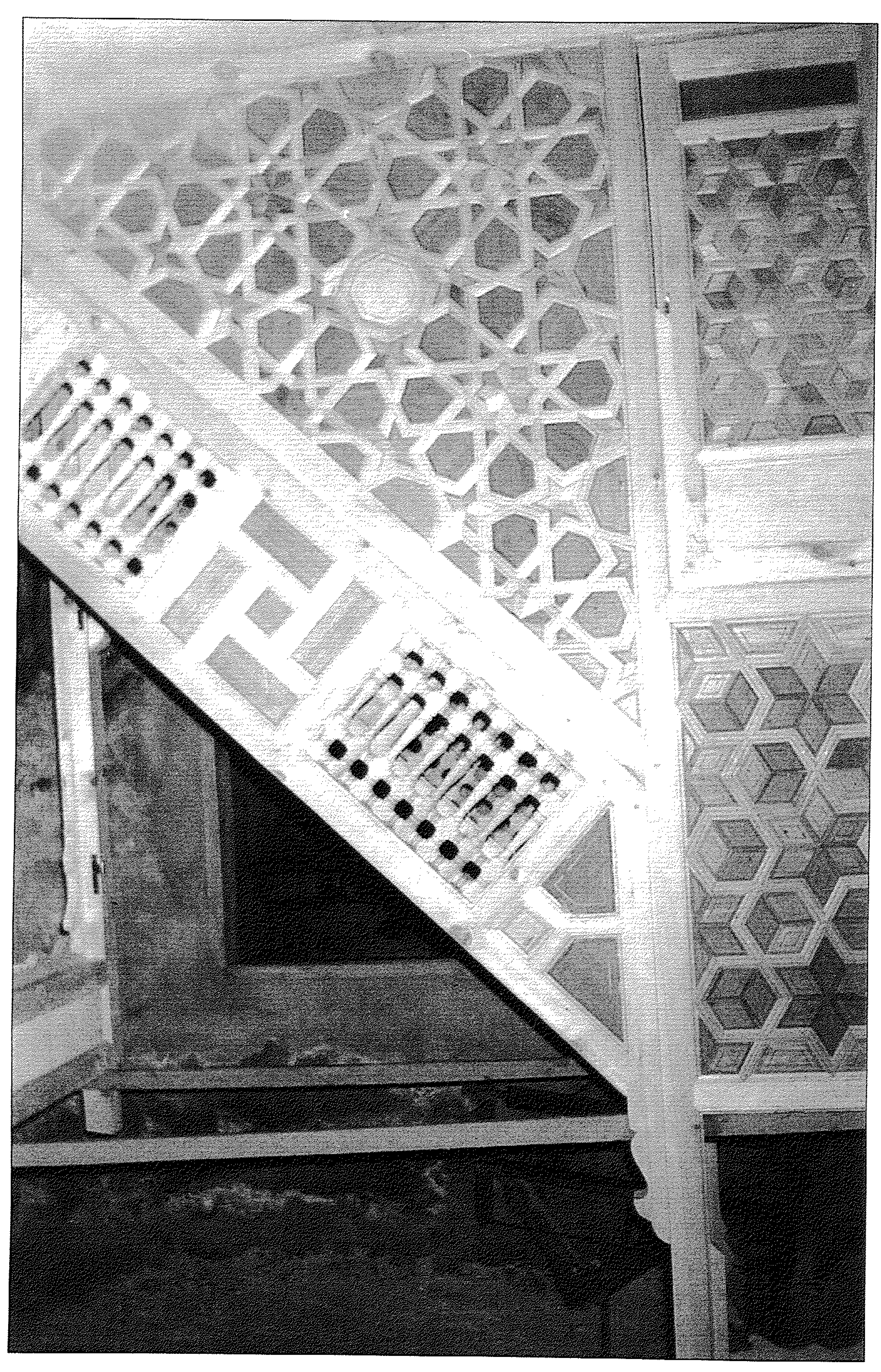
مرت الحرف التراثية في مصر بجميع الأطوار التي اشتمل عليها تاريخ الصناعة الحرفية، وذلك بسبب تاريخ مصر العريق واحتوائه على جميع التجارب الإنسانية في الانتاج الحرفي، فعرفت مصر الحرف التقليدية، ومارست بعض الحرف العائلية وازدهرت بها الصناعة اليدوية، كما عرفت الصناعة الآلية القديمة والحديثة، وقد عكست هذه الحرف التراثية والتقليدية مع كل طور من هذه الأطوار بعض ملامح من التطور التاريخي الاجتماعي لمدينة القاهرة، وكيف كانت هذه المدينة عبر مراحل تاريخية مختلفة مركزاً اقتصادياً وحرفياً هاماً يجذب إليه التجار والحرفيين من كافة البلدان العربية وغير العربية على السواء، حتى إن بعض الأسواق الحرفية داخل مدينة القاهرة كانت وما زالت تحمل مسميات لجنسيات غير مصرية نتيجة للاحتكاك الثقافي والاتصال المتبادل بينها وبين تجار الحرف في البلدان الأخرى. وتتواجد في الأحياء الشعبية القديمة أنماط متعددة ومتباينة من الأنشطة الحرفية التراثية الدالة على هويتها الثقافية، والتي تعد حرفة خرط الخشب وأشغال الأرابيسك أحد أشكالها، وعلى الرغم من أن بعض هذه الأحياء قد خفت حضورها الواضح كمناطق أثرية وطرأ عليها العديد من المتغيرات التي تهدد أصالتها، إلا اننا سنجد أن الحرف الفنية تحاول جاهدة أن تتكيف مع هذه المتغيرات في أنماط وصور متجددة تواكب التغيرات السريعة في السوق الحرفي العالمي.

خرط الخشب وأشغال الارابيسك

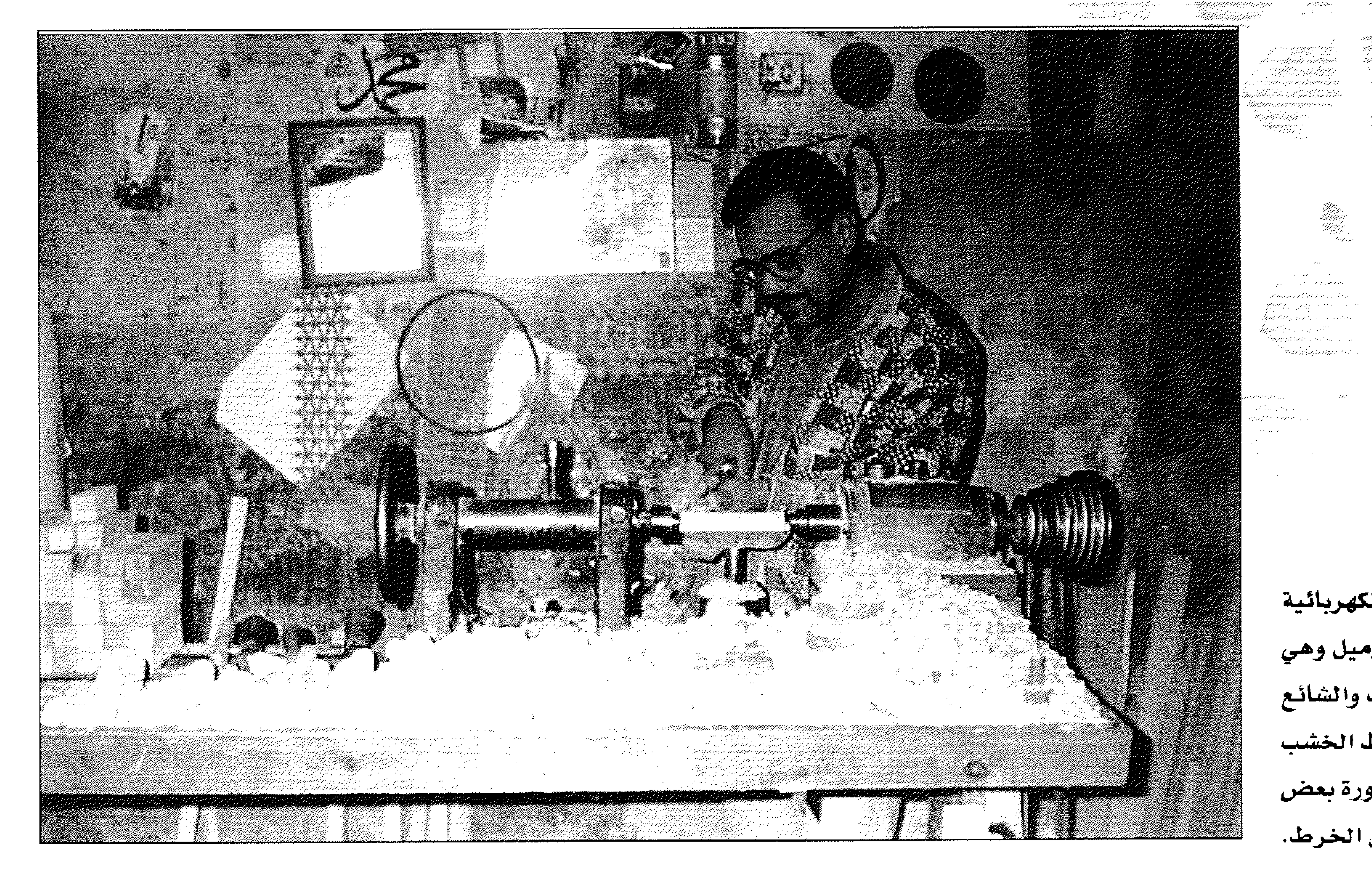
قامت حرفة خرط الخشب على تشكيل الأخشاب بخرطها يدوياً إلى قطع مختلفة الأحجام والأشكال منفصلة أو متصلة في عمود، ثم يتم تجميع هذه القطع في قوالب دون مواد لاصقة وذلك من خلال تعشيقها في بعضها لإعطاء الشكل المطلوب كالمشربيات أو قطع الأثاث أو الخلفيات الزخرفية أو سلالم منابر المساجد وغيرها، والمخروطات تتفاوت في قيمها تبعا لحجم الخشب المخروط، فكلما كانت القطعة صغيرة ودقيقة اكتسبت قيمة فنية أكبر، كذلك تتفاوت قيمة المشغولة الفنية باختلاف أنواع الخشب المستخدم وذلك للتنوع الهائل في أشكاله وأنواعه وألوانه، وهو ما يساعد على إبداع عدة تكوينات ذات تنويعات لونية تولد نغماً بصرياً جذاباً[1].

فنون الأرابيسك بين الماضي والحاضر

تذكر النصوص القديمة في مصر الفرعونية العديد من الأدعية الدينية التي تدلل على مهارة الصناع الحرفيين في خرط المشغولات الخشبية، وذلك بحفرها ونقشها على مختلف المساكن، كما تشير البرديات القديمة إلى مشاركة الصناع المهرة في إقامة ما يسمى بقاعة الأعياد في القصر الفرعوني، وما يصاحبها من موائد وأدوات ونقوش بارزة، حيث كان من التقاليد الخاصة بالملوك الفراعنة في هذا الصدد تخصيص بهو كبير لاستقبال جمهور الرعية خاصة أثناء الاحتفال بالأعياد الدينية أو أثناء الاحتفال بفيضان النيل والأواني[2]. وقد انتقلت حرفة خرط الخشب من الفراعنة إلى الفينيقيين ثم الرومان، كما ورث النجارون الأقباط ممن عايشوا الحضارة الرومانية مهارة تشكيل الخشب وكانت



أحد أشكال منابر المساجد
وهو يوضح عدداً من الطرز
المستخدمة في خرط الخشب



المخرطة الكهربائية مثبت بها الإزميل وهي النمط الحديث والشائع في ورش خرط الخشب وفي خلفية الصورة بعض من أشكال الخرط.

لديهم معرفة تامة بأنواع الخشب المختلفة، ومن أمثلة ذلك استخدامهم للأخشاب المحلية كأشجار الجميز والنخيل فضلاً عن الأخشاب المستوردة كأشجار الأرز من سوريا ولبنان والعاج من الهند والأبنوس من بلاد بونت «الصومال» والصنوبر والجوز من أوروبا وآسيا[٣].

واستكمالاً للتأصيل التاريخي فقد ارتبط التراث الفني العربي الإسلامي لحرفة خرط الخشب بمقومات الحضارة العربية وفلسفتها من حيث القدرة على إدراك المطلق والاهتمام بالنظر التجريدي في إدراك المحسوسات، والخروج من النسبي إلى الكلي في تحقيق وحدة تكاملية وتعددية جمالية. وقد حرص الفن العربي الإسلامي على الاهتمام بكافة فنون الزخرفة الهندسية وتشكيلات فنون النمنمة الدقيقة. ورغم تعدد مصادر فن الأرابيسك في العصور الإسلامية المختلفة، إلا أنه قد عبر عن واقع البيئة العربية وموروثاتها التاريخية والأثرية والحضارية، وقد وصلت حرفة خرط الخشب وتطعيمه وترصيعه درجة عالية من الروعة والبهاء في شرق العالم الإسلامي وغربه طوال العصور المختلفة، وبلغت قمة ازدهارها في عهد الدولة الفاطمية، فنبغ الحرفيون في زخرفة الأخشاب المحفورة التي زينت قصور الفاطميين، كما كانت للصناعات الخشبية أسواق هامة وعامرة بالقاهرة الفاطمية كعمل الصناديق الخشبية، وشبابيك القلل، ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بنماذج عديدة من الأشغال الخشبية التي تحمل توقيعات الصناع عليها. كما راجت بمصر صناعة «الكفت» وهي بعض قطع الأثاث أو الأدوات المنزلية المطعمة بالعاج والأبنوس أو النحاس أو الفضة، ونسب إليها سوق الكفتيين[٤].

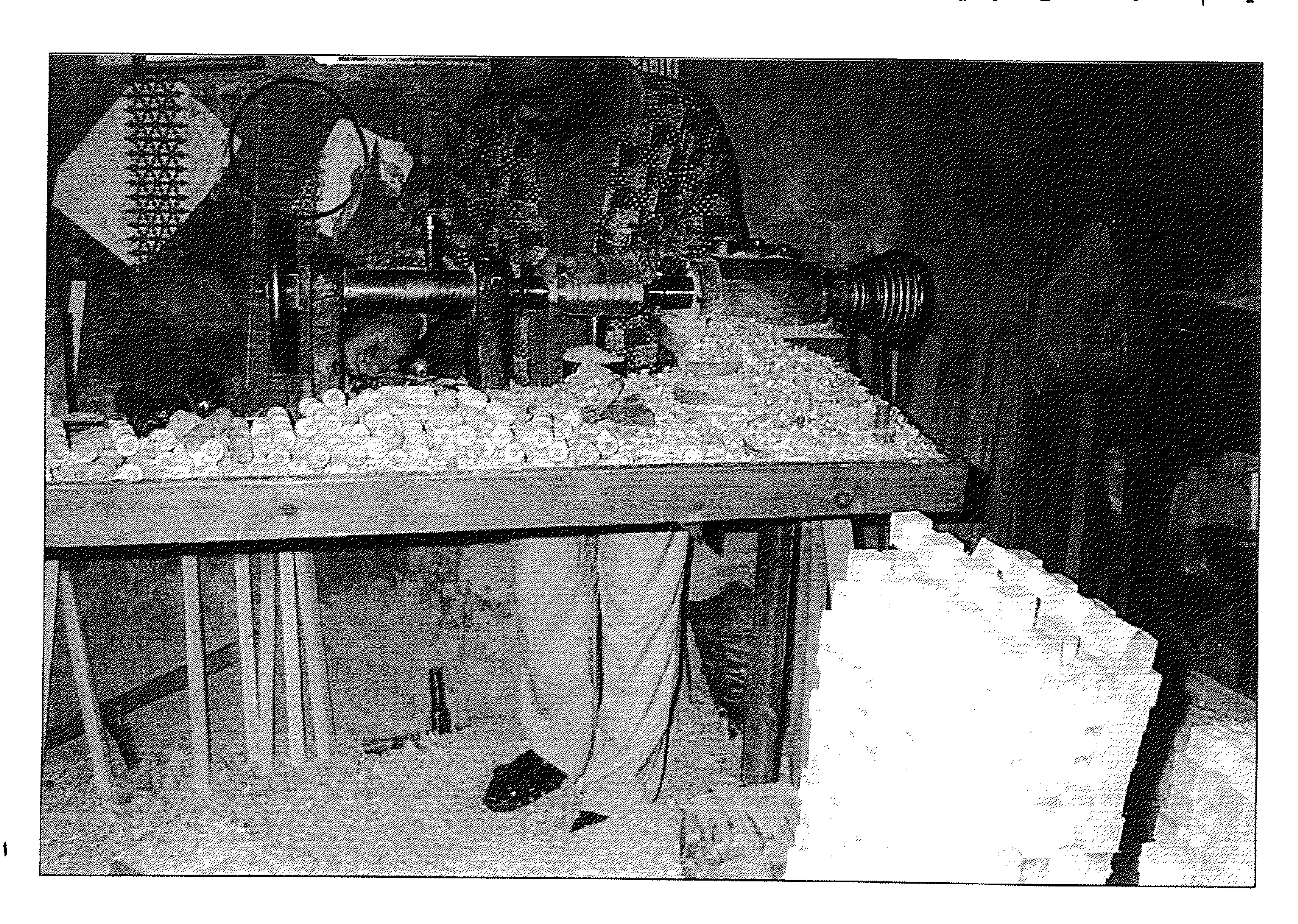
وواصلت صناعة الأخشاب وزخرفتها في العصر الأيوبي قمة ازدهارها حيث بدأ الخط النسخي يحل محل الخط الكوفي في الزخرفة، كما أصبحت الحشوات الخشبية ذات الزخارف النباتية تزداد دقة وروعة مما ساعد الفنان في العصر الأيوبي على عمل العديد من الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، من أبرز التحف الخشبية التي صنعت في القاهرة الأيوبية تابوت الإمام الشافعي، وقبة ضريحه والتي تعد أولى القبب الخشبية في مصر على الاطلاق، وكذلك تابوت الإمام الحسين، كما برع الحرفيون في عمل الشبابيك المطعمة بالزجاج الملون والتي كان يطلق على الواحد منها القمرية التي أخذت أشكال القبة والمنار[٥].

وفيما يختص بأماكن تجمع أهل الحرف والصنائع فيمكننا التعرف عليها من خلال الأسواق الشعبية بالقاهرة القديمة والتي تواجدت في تلك الفترة باعتبارها من الأماكن الهامة التي يلتقي بها مختلف فئات المجتمع على اختلاف تكويناتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. ويعد سوق الغرابلين (سوق الغورية حالياً) من أشهر الأسواق الفاطمية في تلك الفترة، وكان يحيط به عدد من الأسواق الحرفية الأخرى، فضلاً عن تواجد عدد من السويقات المتفرعة منه. ولم تكن الأسواق هي المكان الوحيد الذي يتواجد فيه أهل الحرف والصنائع، إنما تواجد أيضاً بعضهم في الربع الجنوبي الغربي (والربع هو مجموعة من المساكن المؤجرة التي تتواجد فيها الحوانيت في الدور الأرضي منها)، وقد قطن العمال المهرة في هذا الربع وزاولوا بعض الحرف والصناعات الخشبية المتصلة بالخليفة ورجاله[٦].

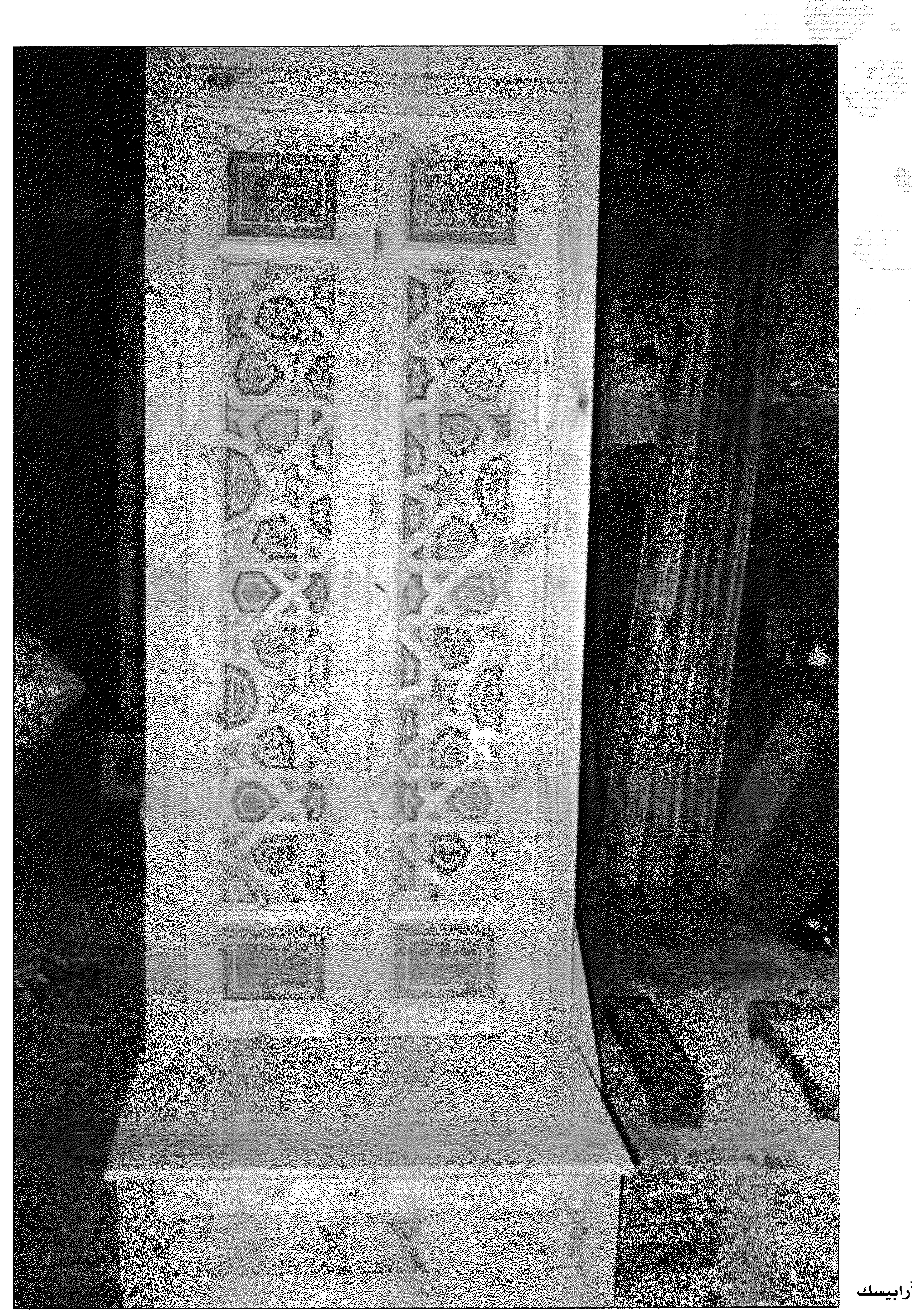
ومع بداية العصر المملوكي تم تشييد العديد من العمائر الفخمة وتألق الخراطون في زخرفة المشربيات المطعمة بالعاج والأبنوس، كما انتظم الحرفيون الذين يعملون بتلك الصناعات في مجموعة من الطوائف التي يحكم نظامها عدد من القوانين والأعراف بحيث لا يكون هناك مجال للصراع القائم على المصلحة أو شعور العامل بالاغتراب عن عمله، أما من الناحية المهنية فقد ازدهرت المهارة اليدوية والتي تمثلت في استخدام العامل لكلتا يديه في كافة مراحل العملية الانتاجية، ومما لا شك فيه أن نظام الطوائف الحرفية واتباع تقاليدها كان من العوامل الهامة التي ساعدت على رقي مستوى الحرف وإتقان الصنعة، فقد كانت تلك الطوائف من داخلها بمثابة مدارس فنية تشرف على إعداد الصبية ليكونوا بدورهم صناعاً، وكان يربط أعضاء الطائفة ببعضهم تقاليد وقواعد وسلوكيات يلتزمون بالسير عليها، فالمعلم (الأسطى حالياً) له من الحقوق على الصناع والصبية مالا يمكن تجاهلها كاحترامه، وحسن خدمته، والأمانة في معاملته، ولهم كذلك عليه حقوق فيما يتصل بالأجور وساعات العمل ونحو ذلك، يضاف إلى ذلك أن نظام الحسبة كان من أهم الأطر المنظمة للعلاقة بين الدولة الإسلامية وهذه الطوائف الحرفية، واختص المحتسب وأعوانه بالصناعات والتجارة والتفتيش على البضائع في الأسواق الإسلامية.[٧]

المنافسة الخارجية

وفي العصر الحديث تعرضت فنون الأرابيسك



المخرطة الكهربائية



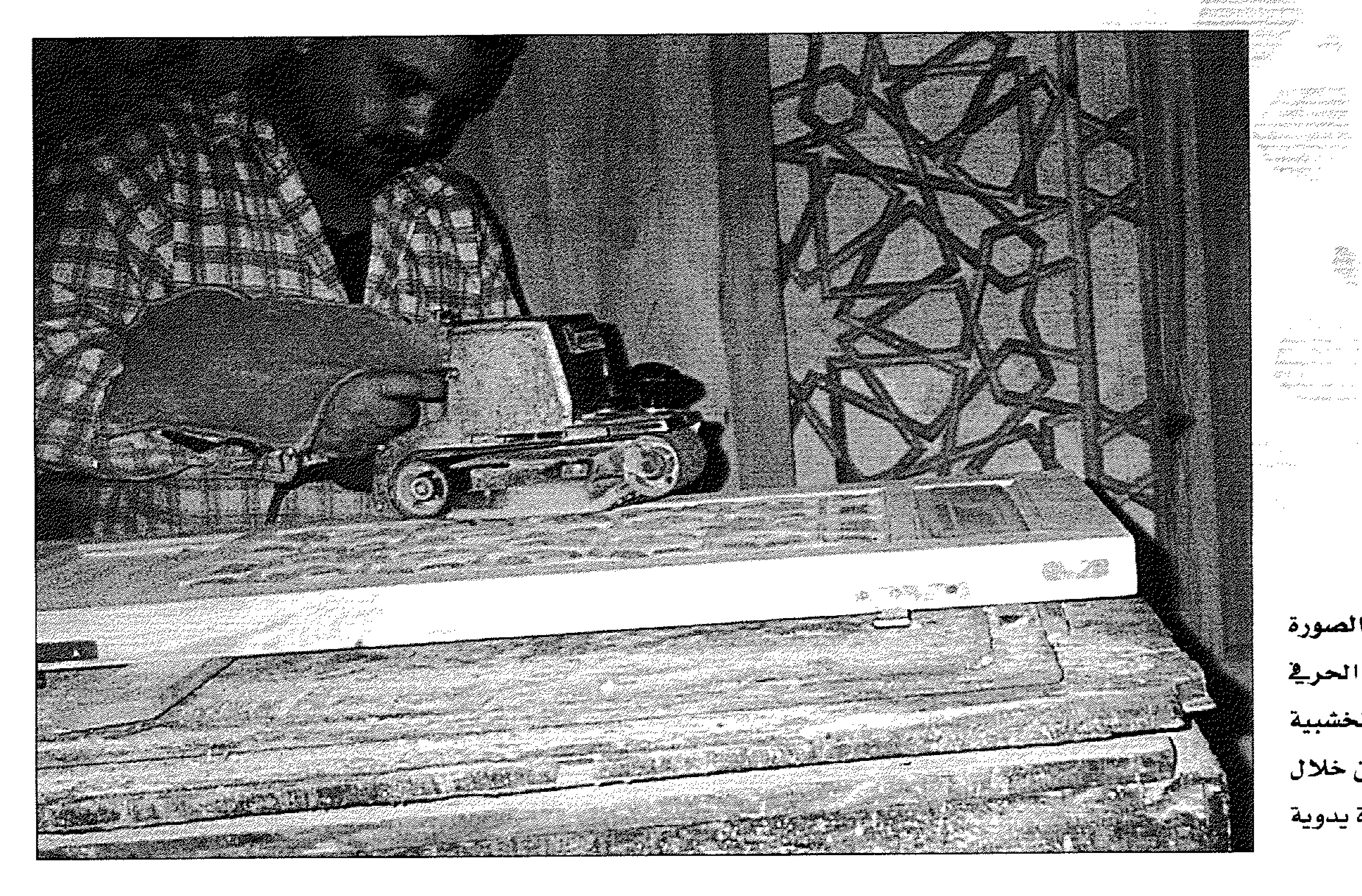
شكل من مشغولات الأرابيسك

لذبذبات عديدة، فقد كان لفتح المجال للسلع الأجنبية التي نافست الصناعات المحلية تأثير كبير، فضلاً على أن الاهتمام كان منصباً على الزراعة فقط لضمان كون مصر سوقاً للصناعات الانجليزية وحقلاً لزراعة القطن مما أدى إلى انهيار الصناعات الشعبية برمتها، وأصبحت تمارس بحوانيت ضيقة في عدد من الأزقة. ويفصح لنا التاريخ الاجتماعي عن مدى التدهور الذي أصاب الحرف التراثية في مصر، ففي عصر اسماعيل على سبيل المثال قام أصحاب الحرف والفنون التراثية بتحويل أنشطتهم نظراً لميل الخديوي اسماعيل إلى تشجيع الطراز الغربي في البناء والديكورات، فلم تكن هناك حاجة لسُقف مزخرفة أو مشربيات أو أبواب معشقة بالصدف، أو تحف مطعمة بالنحاس والفضة، ومن ثم فقد تم الاستغناء عن إبداعات الكثير من اسطوات الفنون والحرف التقليدية، ثم جاء الاحتلال البريطاني ليعمق نزعة الطراز الغربي في العمارة والأثاثات، وغيرها.. وتحول من بقي من اسطوات الفنون والحرف التراثية لخدمة السوق السياحي، وقد كان من الطبيعي أن يصاحب ذلك تحوير الكثير من المنتجات التراثية لخصائصها ورموزها ووظائفها لتصبح أكثر ملاءمة كأثر أو تذكار يستطيع السائح أن يحمله في حقيبة ملابسه.(٨)

الأرابيسك والتأثير البيئي

تمثل الورش الحرفية لخرط الخشب وأشغال الأرابيسك المكان الثقافي والتجاري الذي يمارس من خلاله الحرفيون عملهم الحرفي، كما أنها تعد جزءاً من البيئة المحلية التي يتفاعل معها الحرفي برموزها التراثية ووحداتها الزخرفية ومناخ العمل السائد بها. وفيما يتعلق بحجم الورشة ومدى ملاءمة مساحتها لإجراء عمليات الانتاج وأحياناً الانتاج والتسويق معاً فقد دلت الدراسة الميدانية لبعض ورش الأرابيسك بحي خان الخليلي على أن اختلاف مساحة ورش الأرابيسك يتسق مع حجم العمل داخل الورشة ومراحل عملية الانتاج التي تتم داخلها، فضلاً عن نوعية الأدوات المستخدمة في الانتاج، ومدى اعتمادية كل ورشة على بعض الآلات دون غيرها، وكذلك مدى قدرة صاحب العمل على توفير هذه الآلات كي تتماشى مع مساحة ورشته، وبصفة عامة فقد أظهرت نتائج المسح الميداني أن المساحات الصغيرة التي قد لا تتعدى عشرة أمتار مربعة هي السمة الأساسية لورش خرط الخشب، وغالباً ما يقوم أصحاب الورش للتكيف مع هذه المساحات الصغيرة بعمل تعديلات داخل الورشة ذاتها، أو استخدام جزء من مدخل المبنى السكني أو الجزء المجاور في عرض بعض المنتجات به، وهناك من استفاد من ارتفاع أسقف بعض الورش بتقسيم الورشة إلى دورين وعمل سلم داخلي بينهما، أوالاستفادة من مساحتها الكلية في تنظيمها إلى عدة أجزاء ووضع الآلات الكبيرة الحجم وإتمام كافة المراحل الإنتاجية بالورشة دون الاستعانة بورش أخرى، وقد أتاح ذلك لبعض الورش القيام بعدة وظائف فهي ليست مكاناً للانتاج وممارسة العمل فقط، ولكن قد يكون لها وظيفة تسويقية تتمثل في عرض بعض المنتجات خاصة في الورش التي تختص بعمل منابر المساجد، حيث يحرص صانعوها على وضع منبر كبير يدل على جمال الصنعة ودقة العمل اليدوي أمام مدخل الورشة كشكل من أشكال التسويق التجاري وتحفيز الأفراد على التعاقد مع صاحب الورشة. وفيما عدا ذلك فكافة ورش الارابيسك تتسم بصغر مساحتها، ويشير أحد الإخباريين في هذا الصدد إلى أن هذا لم يكن شكل الورش قديماً، فقد كانت معظم ورش الأرابيسك تجاورها ورش أخرى للتصنيع أو للتجميع، أي أنه كان هناك قدر معقول من التساند الوظيفي بين التصنيع المحلي للمواد الخام التي تختص بها إحدى الورش المجاورة والتجميع المحلي الذي تختص به ورشة أخرى في تجميع هذه القطع في مشغولات خشبية، كما أشار أحد الإخباريين إلى أنه كثيراً ما لجأ بعض أصحاب ورش الأرابيسك إلى شراء الورش المجاورة أو شراء الطابق الذي يليه لعمل سلم داخلي بينهما لإتمام بعض مراحل العملية الانتاجية خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن العمل الحرفي كان برمته يدوياً مما استلزم معه أماكن متعددة لجلوس الصناع بخاماتهم وأدواتهم الخاصة.

ويتضح من أقوال الاخباريين وأصحاب بعض الورش الحرفية أن حرفة الأرابيسك كانت تتسم قديماً بالتكامل الوظيفي بين مراحل عملية انتاجها فضلاً عن التساند القوي بين الورش وبعضها، وعلى العكس من ذلك تماماً في الفترة الحالية، فمع اعتماد الورش الحرفية على المواد الخام المستوردة بشكل متزايد وعلى القطع الخشبية المخروطة الجاهزة والتي تنتجها بعض المصانع الكبيرة لم يعد هناك حاجة لبعض الورش التي تقوم بخرط المواد الخام أو تجهيزها



يلاحظ في هذه الصورة كيفية وقوف العامل الحرفي لتنظيف القطعة الخشبية من بعض الزوائد من خلال استخدام أداة يدوية

للعمل اليدوي.

التكنولوجيا ومستقبل حرفة الخرط

تعرضت حرفة خرط الخشب وأشغال الأرابيسك عموماً في الآونة الأخيرة لضربة قوية أدت إلى تدهورها بشكل كبير عن مثيلاتها من الحرف الأخرى، وقد ظهر هذا التدهور بشكل كبير وملفت للعيان في المواد الخام اللازمة لعملية الانتاج بحيث أصبح استيراد معظم الأخشاب ظاهرة عادية في السوق الحرفي، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ظهرت مجموعة من المتغيرات الأخرى من أهمها استيراد بعض القطع الخشبية المخروطة الجاهزة من بعض الدول العربية، فضلاً عن اعتمادية كافة الورش داخل المجتمع المحلي على الآلات والماكينة في انتاج القطع الخشبية المخروطة، وتختلف هذه الاعتمادية من ورشة لأخرى، فبعض ورش خرط الخشب اعتمد فيها أصحابها في تدبير المواد الأولية اللازمة لها على قطع مجمعة من الأرابيسك (قطعيات) من مصانع وورش أخرى مجاورة أو كبيرة يديرها بعض التجار الرأسماليين الذين يقومون بمعالجة بعض المواد الخام المحلية والمستوردة لبيعها بأسعار يقومون بتحديدها وفقاً لعدة اعتبارات منها تكلفتها الحقيقية والفائدة المرجوة منها نظير تشكيلها لقطع مخروطة جاهزة للصنع. وفي هذا الصدد أجمعت كافة أقوال أصحاب الورش الحرفية على أن العوامل الأساسية التي دفعت معظمهم إلى استخدام هذه القطع الجاهزة والمواد الخام المستوردة تكمن في الآتي:

- ندرة وجود الحرفي الماهر الذي يستخدم كلتا يديه في خرط الخشب بالأدوات البسيطة وتشكيله.

- تكلفة إيجار الحرفي الذي يقوم بمثل هذا العمل باهظة جداً، وهي تتراوح فيما بين ١٥٠-٢٠٠ جنيه في الأسبوع وهو مالا تستطيع أن تتحمله الورش الصغيرة.

- صغر حجم الورشة: فمعظم الورش الحرفية لا تتسع لإحضار الألواح الخشبية الكبيرة داخلها (المادة الخام) وأدوات معالجتها وخرطها (أدوات الانتاج)، فضلا عن الحرفيين المهرة الذين يقومون بخرطها.

- سرعة الأداء والانجاز: فهناك بعض التجار الذين يضعون شروطاً لاتمام الطلبية من أهمها السرعة في الإنجاز.

- إتاحة الفرص لانتقاء الخشب المخروط آلياً: فمع تغير أذواق المستهلكين وتنوعه أصبح هناك عدة تنويعات وتصميمات زخرفية قد تعتمد على توليفة من المواد الخام داخل الطلب الواحد، بمعنى آخر قد يفضل المستهلك الحصول على عدة أشكال وتصميمات متنوعة



بعض المواد الخام من خشب البلوط قبل تجهيزه

من خرط الخشب داخل الطلب الواحد (باب شقة مثلاً أو جلسة عربية) مما قد لا يوفره تواجد مخرطة أو اثنتين داخل الورشة، ومن ثم يتوجه صاحب الورشة إلى المصنع لاختيار القطع المخروطة آلياً والمطلوب منه تنفيذها.

- التكلفة العامة للمنتج الذي يتدخل فيه العمل الآلي بجانب العمل اليدوي تعد رخيصة ومطلوبة قياساً إلى المنتج اليدوي بأكمله.

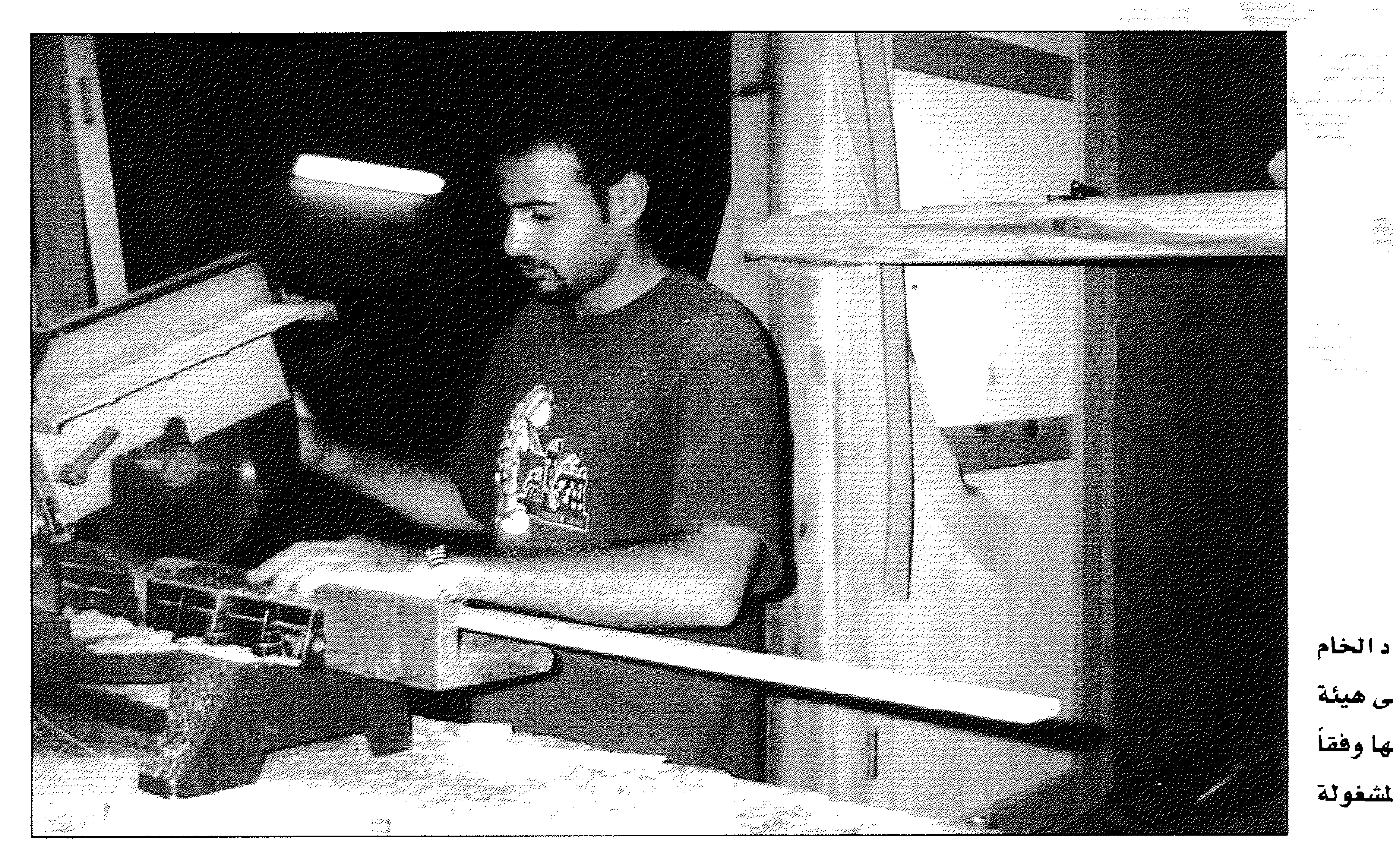
- تتنوع مخارط خرط الخشب تنوعاً كبيراً في الفترة الحالية بحيث يقوم كل نوع من أنواع المخارط بخرط أشكال محددة مما يعد تكلفة كبيرة على صاحب العمل إذا ما أحضر كافة هذه المخارط بورشته.

المواد الخام

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية اقبال معظم الخراطين على استيراد بعض المواد الخام والتي من أشهرها:

- استيراد الأرز والزان والأرو من سوريا ولبنان نظراً لكونه أكثر مرونة وليونة من نظيره المصري والذي يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين في معالجته.
- استيراد الساج من الهند.
- استيراد الصندل والأبنوس من «بلاد بونت» الصومال وجنوب السودان.
- زاد في الفترة الأخيرة استيراد خشب الموسكي والعزيزي من السويد نظراً لأنهما أقل ثمناً وأكثر طلباً من الأخشاب الأخرى.
- أما خشب الأرز فهو من الأنواع التي لا يفضل الخراطون استخدامه نظراً لاتساع مسامه.
- ويعد خشب الورد من الأخشاب النادرة والباهظة الثمن نظراً لأنها أصلح الأخشاب للخرط، كما يتميز بلونه الذي يشبه القرفة وله رائحة عطرة، إلا أنه لا يتناسب مع الحالة الاقتصادية للمستهلك في عدد من الدول العربية، ويستخدم في عمل الأبواب المحفورة وقطع الأثاث الثقيل[٩]، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن معظم تجار المادة الخام يتركزون في بعض المناطق الشعبية التي تشتهر بالاتجار في الخشب كمنطقة درب سعادة وباب الخلق بالقاهرة.

وفيما يختص بحجم ألواح الخشب المستخدم ومدى جودته، فقد شرح أصحاب ورش الأرابيسك تفصيلياً أن الورش الأصلية بالأحياء الشعبية القديمة تعتمد بشكل أساسي على الألواح الكبيرة والصغيرة من خشب الزان والبلوط في تشكيل المنتجات الخشبية، كما يحاول البعض تقليل تكلفة المنتج النهائي من خلال إدماج بعض الخشب المحلي الصالح مع الخشب



تجهيز المواد الخام الخشبية على هيئة ألواح وتقطيعها وفقاً لتصميم المشغولة

المستورد في بعض المشغولات الخشبية التي لا يستطيع الخشب المحلي خرطها بجودة عالية، أو لإعطاء بعض الألوان المتناغمة مع بعضها.

الأدوات المستخدمة في عملية الانتاج

تتعدد الأدوات والآلات المستخدمة في عملية خرط الخشب وتعشيقه فيما بين أدوات بسيطة يستخدمها العامل يدوياً، وأدوات أو آلات معقدة تتم كهربائياً أو آلياً دون استخدام اليد، وغالباً ما يستخدم الخراطون الآن كلا النوعين من الأدوات في العملية الانتاجية، بينما يتفاوتون فيما بينهم في عدد المراحل الإنتاجية التي تتم بواسطة كلا النوعين، وتتمثل الأدوات والآلات المستخدمة في خرط الخشب على النحو التالي:

– المخرطة البلدي: وهي عبارة عن لوح كبير من الخشب (قاعدة خشب) مثبت بها قاعدتان كبيرتان من الخشب مثبت بهما عمود حديد لوضع قطعة الخشب عليها وبين القاعدتين لخرطها يدوياً.

– المخرطة الكهربائية: وهي نفس شكل المخرطة البلدي ولكن مثبت بها موتور صغير يعمل كهربائياً وهو النمط الشائع في كافة الورش الحرفية العاملة في مجال الخرط، حيث اندثرت طريقة خرط الخشب بالقوس (المخرطة البلدي) ليحل محلها المخرطة الكهربائية كما يوضحها الشكل التالي.

– الشنيور الكهربائي: يستخدم الشنيور الكهربائي ببنطاته المختلفة لخرط الخشب وفقاً للمقاسات المحددة، كما إنه يستخدم في عملية تثقيب الخشب بدلاً من المثقاب اليدوي.

– المثقاب: وهي آلة يدوية يستخدمها بعض الحرفيين بدلاً من الشنيور الكهربائي للحصول على ثقب يدوي دقيق.

– الأزميل والمبارد بمقاساتها المختلفة: الأزميل هو أداة مثبتة في المخرطة الكهربائية لتشكيل خرط الخشب ودورانه للحصول على شكل المنتج المطلوب، والمبارد أدوات يدوية تساعد الحرفي في تشطيب المنتج نظراً لكونها مسننة فهي تقوم ببرد سطح الخشب أو الصدفة الغائرة داخل الخشب، وعلى الرغم من حلول الآلة في معظم ورش الدراسة محل المبارد في إخراج الزوائد من قطعة الخشب، إلا أنه تظل هناك بعض الرتوش التي لا تقطع إلا يدوياً باستخدام المبارد بأحجامها المختلفة.

– الشاكوش: وهي آلة يدوية يستخدمها قلة من الحرفيين في تطعيم الخشب بالصدف، وذلك بالطرق على الصدفة داخل المنطقة الغائرة بالخشب.

– موتور الصنفرة والتلميع: وهي آلة كهربائية تقوم

بوظيفة صنفرة الخشب بعد تقطيعه وفقاً للتصميم المقصود بهدف إزالة الزوائد والرتوش الخشبية.

مراحل العملية الانتاجية

المرحلة الأولى: خرط الخشب

يقوم الخراطون كما يلقبون بذلك في الحرفة بخرط الخشب إلى قطع صغيرة تعشق في بعضها البعض لتكون بناء خشبياً معشقاً ومتكاملاً، وجدير بالذكر إن مرحلة التعشيق تتم يدوياً بعد استخدام الآلة في خرط الخشب.

المرحلة الثانية: صناعة وتنظيف الخشب المعشق

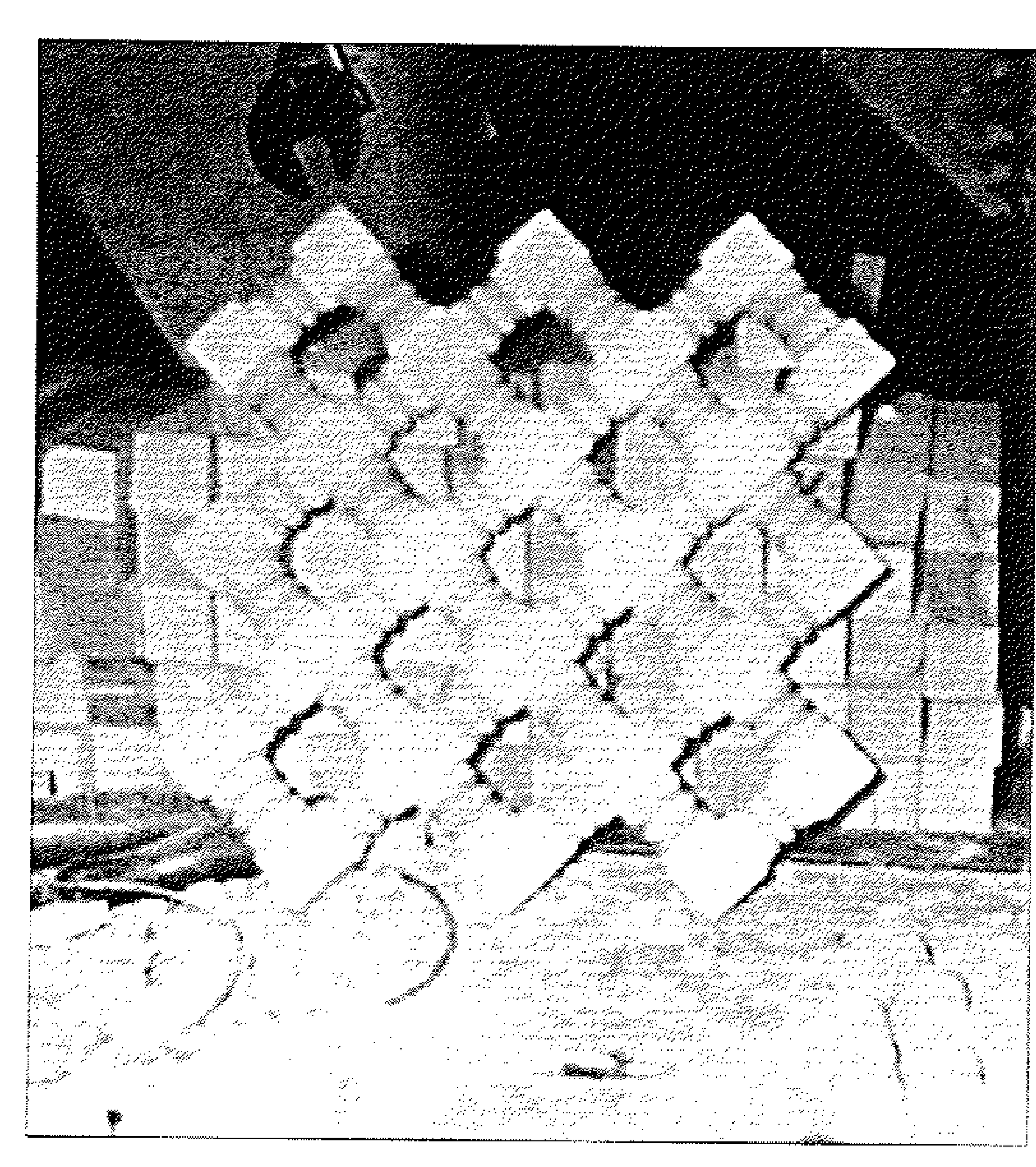
بعد خرط الخشب يتم تنظيفه من الشوائب العالقة به (ردش الخشب) بواسطة أداة لتنعيم الخشب ثم يتم قياس أطوال الخشب اللازمة للمحافظة على أطوال الوحدات المطلوب تجميعها.

المرحلة الثالثة: تثقيب الخشب وتجميعه

بعد تجهيز ألواح الخشب، يتم التثقيب على شكل وحدات تشكيلية مسدسة أو مثمنة، ثم يقوم العامل الحرفي بتجميعها وفقاً للشكل المطلوب ليخرج الانتاج الفني في صورته النهائية.

المرحلة الرابعة: التحليق على الخشب والعمل اليدوي

هناك بعض الورش التي يتوفر بها بعض العمال الصدفجية الذين يقومون بتطعيم الاطار الخارجي للقطعة الخشبية بواسطة عيدان أو أعمدة طويلة من الصدف، وهناك من أصحاب الورش الصغيرة الحجم الذين يقومون بإرسال المنتج الخشبي إلى إحدى ورش الصدف لتطعيمها، وبعد انتهاء عملية لصق جميع الصدف تملأ الفراغات المتواجدة بين قطعة الصدف والحفرة الخشبية بمادة صمغية من لون الخشب، وتتواجد ظاهرة شائعة بين الصدفجية وهي ظاهرة (الطبخ) أثناء وضع الصدف، فهناك بعض الطلبيات التي يتم استخدام عدة معادن مع بعضها في تطعيم الخشب، وهناك من يطلب استخدام عدة أنواع من الصدف كالصدف المحلي والياباني على سبيل المثال، ولاشك أن عملية الطبخ تزيد من سعر المنتج نظراً لتنوع الخامات داخل المنتج الواحد.



الطرز السداسي من طرز خرط الخشب

(تشطيب المنتج)

بعد ذلك يقوم الحرفيون بإزالة الزوائد من المنتج النهائي من خلال موتور الصنفرة والصاروخ الكهربائي الذي حل محل المبارد القديمة، تلي ذلك عملية دهان المنتج وتلميعه.

ابداع شعبي

يدلنا التراث التاريخي على مدى التقدم الفني الذي وصل إليه الخراطون عبر العصور التاريخية المختلفة في إبداع المشغولات الخشبية وخاصة فيما يتصل بطرز تشكيل خرط الخشب، ومما لا شك فيه أن هذا الابداع لم يبدأ من فراغ ولم يتم بشكل عشوائي وإنما كان محتضنا لجوانب جمالية وذوقية ونفعية متعددة. وقد اعتمد الفنان الحرفي على ابتكار تصميمات مستمدة من العناصر التشكيلية الشعبية سواء من الإرث الثقافي المتراكم، أو من خلال عمل توليفة من الخامات لتعبر في النهاية عن رموز البيئة المحلية وتراثها الفني.

تنويعات تراثية وفولكلورية

لطرز فن الأرابيسك

الطرز الصليبي: ظهر الطرز الصليبي مع بداية بناء الكنائس وتزيينها بالمشغولات الخشبية على شكل الصليب، وقد تنوعت المشغولات الخشبية فيما بين المشربيات والبارافانات وبعض قطع الأثاث داخل الكنائس والأديرة،

واستخدم الخرط في هذه الفترة للدلالة على الرمز الديني للمسيحية وهو الصليب، وما زال هذا الطرز من الخرط منتشراً حتى الآن، وتطلق عليه بعض المراجع التاريخية اسم «نمط أو طرز الوردة»[٩].

الطرز السداسي: ويتكون من مجموعة من الفراغات الكبيرة التي تشكل في النهاية الشكل السداسي، وتتكون أضلاع هذا الشكل من ستة مثلثات متساوية الأضلاع والزوايا، وقد انتشر هذا الطرز في العصور الإسلامية المختلفة واستخدمه المصريون في عمل المشربيات والشبابيك ومنابر المساجد وكثير من قطع الأثاث، وما زال منتشراً حتى الآن.

الطرز الثماني: ويختلف عن الطرز السداسي في أن الفراغات داخل القطعة الخشبية أضيق في مساحتها من الطرز السداسي، وقد انتشر هذا الطرز في كافة البيوت المصرية خاصة داخل الأحياء الشعبية القديمة، حيث استخدمه السكان المحليون في عمل المشربيات والسواتر التي تحجب عيون المارة في الشارع عن رؤية من بداخل البيت السكني، فضلا عن كونه مصدراً جيداً للتهوية ويسمح بدخول الضوء للمنزل، وتحفل أحياء القاهرة القديمة بالعديد من البيوت السكنية التي ما زالت تحتفظ بالمشربيات الدالة على روعة الخرط الخشبي المستخدم في تزيينها.

الطرز القللي: يطلق عليه الحرفيون اسم «العرنوس» بينما كلمة القلل هي الاسم الدارج له نظراً لأنه يتم تشكيل خرط الخشب على هيئة القلل الصغيرة والكبيرة وفقاً للطلبية، ويستخدم هذا الطرز في تشكيل قطع الاثاث والمكاتب والكراسي، وأحياناً يتم دمجه بطريقة جميلة وفنية مع طرز الخشب الأخرى عند تشكيل منابر المساجد والبارفانات المختلفة.

إحياء التراث الحرفي:

الارابيسك الهام فردي وظاهرة اقتصادية

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن الحرف التراثية تعد من أكثر عناصر الثقافة المادية حساسية لعوامل التغير الاجتماعي، بل من الممكن أن يمتد القول إلى أبعد من ذلك حيث تنظر الدراسة الحالية إلى التراث المادي كانعكاس للتغيرات العالمية ونظرة بعض الدول الكبرى لمفهوم التراث والثقافة المادية داخل البلاد النامية.

وينقلنا هذا إلى نقطة أخرى تتعلق بمفهوم الثقافة التنظيمية ومفادها ضرورة الأخذ في الاعتبار السوق الحرفي كحقيقة اقتصادية وواقع قائم وجزء تنظيمي هام، فالعمل الحرفي يحمل بين طياته جانباً معنوياً يتمثل في الإحساس بالجمال وتذوق رموزه والتي تحمل غاية نفعية وجمالية، كما أنه يحمل جانباً مادياً وهو السوق، فالعبرة لا تكمن فقط في جودة العمل الفني واتقانه، وإنما أيضاً في القدرة على تصريفه وبيعه في الأسواق والمنافذ الملائمة له وفي الأوقات المناسبة، وكذلك البحث عن وظائف واستخدامات جديدة لهذه المنتجات التراثية، وبناء علاقات متعددة والسعي نحو الأسواق الخارجية، أي إدراك حقائق السوق وواقعه.■

المراجع

١- جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية، الجزء الأول - القاهرة: جمعية أصالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص٣٤.
٢- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، محمد شكري، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥، ص ص ٢١-٢٦.
٣- أميرة إبراهيم أحمد، الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، رسالة دكتوراه، القاهرة: كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٥٤-٢٥٥.
٤- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦، ص٢٧٨.
٥- راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص٣٨٠.
٧- أمال أحمد حسني، المنشآت التجارية في القاهرة، رسالة دكتوراه، القاهرة: كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٨، ص ص ١٦٦-١٧٠.
٧- قاسم عبده، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ص١١٨-١٢١.
٨- أمين مصطفى عفيفي، تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠، ص ص ٢٤٠-٢٤٩.
٩- جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة، موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية، مرجع سابق، ص٤٢.

فيض المشاعر



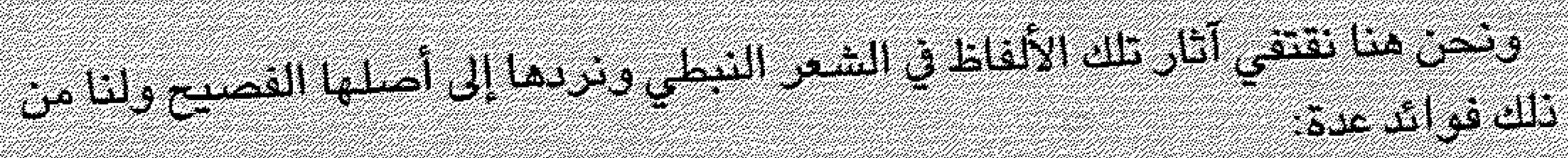
■ إشراف:
محمد ابراهيم الحديدي
m_alhadidi@hotmail.com

غريم الشوق

أحب البر واشد الرحايل	وادوّر قلب ضايع في البوادي
واشيِّد خيمتي والدمع سايل	وانوح بْصوت وازقر بلْحوادي
وَحَمْس البنِ مابين المقايل	غريم الشوق والورقا تنادي
واسلّي خاطري بحلى المثايل	من الليعات واصْفِجْ بالايادي
وانا في دْيار ذربين الفعايل	سناد الضيف واللي بْهم سدادي
لكن الحب خذني بالدغايل	وخلّاني معذّب في ودادي
زرعت الحب في أرضٍ محايل	وقمت أسقيه من لولب فوادي
وشفت الأرض ما فيها صمايل	هشيم وزرعها مثل الرمادي
صبرت ايام وسنينٍ طوايل	وريت الدرب والمسراح زادي
وكم هُوَيَرت في شمس القوايل	وكم اسهرت يوم الليل هادي
ومن عقب التعب رديت فايل	وغيري نال قصده والمرادي
وتم الجيل في ختم الرسايل	عدد ما خط في حبر المدادي

شعر: علي بن رحمة الشامسي

النبطي الفصيح



■ سالم الزمر
salzomr@hotmail.com

هذه الصفحات تقف على الشعر النبطي ثم تغوص في أعماقه لالتقاط كلمات يظنها البعض عامية غير عربية لكثرة ما وجدوها في الشعر النبطي غير الفصيح أو لبعدهم وبعدنا عن الفصاحة وأساليبها وألفاظها، أو لأن بعض تلك الألفاظ مع فصاحتها ما عادت مستخدمة في الفصحى لكنها بقيت مما بقي من الفصاحة في لغتنا اليومية وأشعارنا غير الفصيحة.

ونحن هنا نقتفي آثار تلك الألفاظ في الشعر النبطي ونردها إلى أصلها الفصيح ولنا من ذلك فوائد عدة:

الأولى قراءة الكثير من الشعر النبطي ومعاودة مطالعته.

والثانية الغوص في قواميس العربية للبحث عن أصول تلك الألفاظ المتناثرة في الشعر النبطي.

والثالثة مطالعة الشعر العربي للبحث عن تلك الألفاظ في أدبنا العربي.

والرابعة إثبات أن العامية والشعر النبطي عربي لا ينفك عن أصله العربي.

والخامسة إعادة الفرع إلى أصله برد الألفاظ النبطية إلى أصلها العربي.

والسادسة تحقيق أمنية بعودتنا إلى لغتنا الفصحى وأدبنا العربي عن طريق البحث في الشعر النبطي عن الفصحى من ألفاظه.

والسابعة العمل على دراسة شعرنا النبطي دراسة لغوية مفيدة.

والثامنة ربط الأجيال القادمة بتراثنا الشعري النبطي بطريق بحث أدبي يحمل الطرافة والجهد العلمي معاً لإيصال ذلك التراث إلى الأجيال القادمة بجهد موثق موثوق به.

وأخيراً أقول لو شئنا أن نعدد الفوائد من ذلك لما انتهينا، لكنني أقف هنا للبحث وراء النبطي الفصيح في شعرنا النبطي.

رقوم

قال الشاعر أحمد بن سليم

في شامخٍ خضرٍ حيابه
عالي ملثم بالسحب دوم
دور السنه وفرت عشابه
يضفي عليه ابسبعة رقوم
دوحة ظليل وروض غابه
سوّى عليه من الزهر عوم
الأرض من حوله تشابه
عباب بحرٍ مويه أيزوم

يقول في البيت الثاني إن العشب من كثرة المطر يضفي على ذلك المكان الشامخ في وطنه سبعة رقوم أي خطوط من الوان الزهر ورقوم جمع رقم وهو فصيح يعني فيما يعني الخطوط والوشي في الثياب فلقد جاء في اللسان والرَّقْمُ: ضرب مخطط من الوَشْي، وقيل: من الخَزِّ. وفي الحديث: أَتى فاطمة، رضي الله عنها، فوجد على بابها ستْراً مُوَشّىً فقال: ما لنا والدنيا والرَّقْم؟ يريد النقش والوَشْيَ، والأصل فيه الكتابة. وفي حديث علي، كرم الله وجهه، في صفة السماء: سَقْف سائر ورَقِيمٌ مائر؛ يريد به وَشْيَ السماء بالنّجوم. ورَقَمَ الثوب يَرْقُمُه رَقْماً ورَقَّمهُ: خططه؛ قال حميد:

فرحن وقد زايلن كل صنعة
لهن وباشرن السديل المرقما

يزوم

وقوله في البيت الرابع عباب بحر مويه يزوم أي بحر لموجه صوت يزوم أي يصدر صوتا عاليا وهي كلمة لها أصل فصيح جاء في اللسان:

(الزِّيزِيمُ صوت الجن بالليل. قال: وميم زيزيم مثل دال زَيْدٍ يجري عليها الإِعراب)

الفلي

لاوّل هِويت و ييتك
من خاطرٍ ولهان
واليوم أنا خلّيتك
من خلاّك الزمان

مستانس من جفيتك
والتذ بالنسيان
صد الفلي عن بيتك
واتخرّب البستان

وقوله الفلي في البيت الأخير أي مجرى الماء وهي مجار صنعها الانسان لمياه تنحدر من الجبال البعيدة

والفَلَجُ، بالتحريك: النهر، وقيل: النهر الصغير، وقيل: هو الماء الجاري؛ قال عبيد:

أو فَلَجٌ بِبَطْنِ وادٍ
لِلماءِ، من تحتِهِ، قَسِيبُ

الجوهري: ولو روي في بُطونِ وادٍ، لاستقامَ وزن البيت، والجمع أَفْلاجٌ؛ وقال الأعشى:

فما فَلَجٌ يَسْقِي جَداولَ صَعْنَبَى،
له مَشْرَعٌ سَهْلٌ إلى كلِّ مَوْرِدِ

الجوهري: والفَلْج نهر صغير؛ قال العجاج:

فَصَبَّحا عَيْناً رِوىً وفَلْجا

قال: والفَلَجُ؛ بالتحريك، لغة فيه؛ قال ابن بري: صواب إنشاده:

تَذَكَّرا عَيْناً رِوىً وفَلَجا

بتحريك اللام؛ وبعده:

فَراحَ يَحْدُوها وباتَ نَيْرَجا

النَّيْرَجُ: السريعة؛ ويروى:

تَذَكَّرا عَيْناً رَواءً فَلَجا

يصف حماراً وأُتُناً. والماءُ الرِّوي: العَذْبُ، وكذلك الرَّواءُ، والجمع أَفْلاجٌ؛ قال امرؤ القيس:

بِعَيْنَيَّ ظُعْنُ الحَيِّ، لمّا تَحَمَّلُوا
لَدى جانِبِ الإفْلاجِ، منْ جَنْبِ تَيْمَرا

وقد يوصف به، فيقال: ماء فَلَجٌ وعين فَلَج، وقيل: الفَلَجُ الماء الجاري من العين؛ قاله الليث وأنشد:

تذكَرا عيناً رَواءً فَلَجا

وأنشد أبو نصر:

تذكّرا عيناً روىً وفَلَجا

والرِّوى: الكثير. والفُلُجُ: الساقِيةُ التي تَجْري إلى جميع الحائطِ.

سوايب

قال الشاعر سعيد بن سرور

حي بهبوب يا من سهيل
سوايبه في الينب جذيات
جن الدجى وثالث الليل
وانا نظيري ما بعد بات

فهو في البيت الأول يرحب بالهبوب أي بالنسيم الآتي من جهة سهيل وهو نجم والذي تؤثر سوايبه أى نفحاته الجارية السريعة في الجنب أي في الجسم والسوايب جمع سايبة وهي كلمة يوصف بها الماء في جريانه واستخدمها أهل الامارات للريح الجارية بلطف، فلقد جاء في اللسان والسَّيْبُ مصدر ساب الماءُ يَسِيبُ سَيْباً: جَرى.

والسِّيبُ: مَجْرَى الماءِ، وجَمْعُه سُيُوبٌ.

وسابَ يَسِيبُ: مشى مُسرعاً. وسابَتِ الحَيَّةُ تَسِيبُ إذا مَضَتْ مُسْرِعةً؛ أنشد ثعلب:

أتَذْهَبُ سَلْمَى في اللِّمام، فلا تُرَى
وباللَّيْلِ أيْمٌ حَيْثُ شاءَ يَسِيبُ؟

الصميل

قال الماجدي بن ظاهر

يداري على الصملان من عانس الخلا ويداري على الشبان من ذاق ليعهم

وأنا كلما نادى المنادي لرحلته
فلا طاب لي نوم ولا لذلي هنا

ومن ذاق برد المأخلاف القوايل
ومن هيس من حرب المعادي ملايل
ودنوا لشوقي مدنيات الزمايل
سوى القلب من لابي جواليه جايل

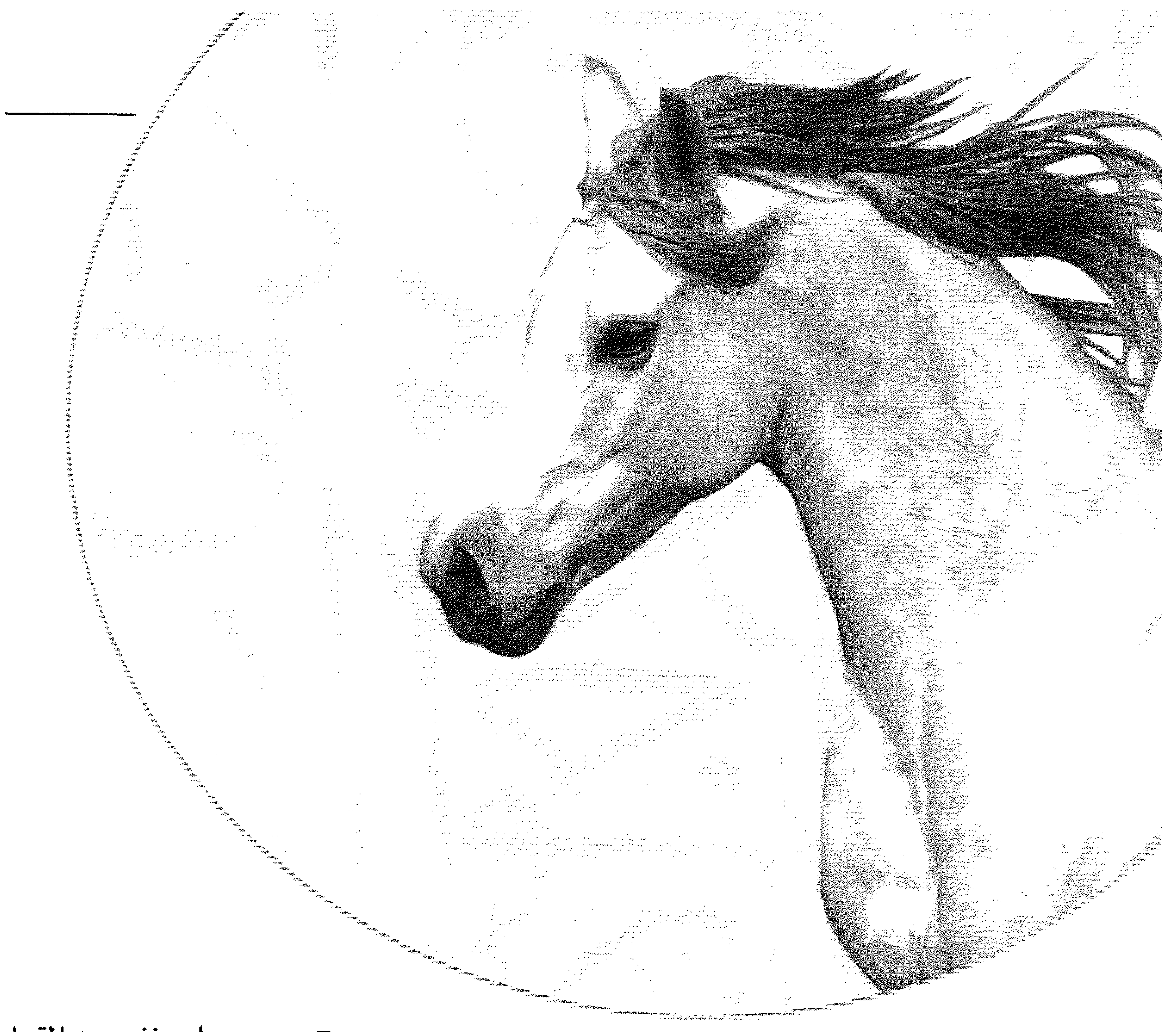
ومعنى البيت الأول أنه لا يداري على الصملان أي يحافظ عليها إلا من عانس أي أحس وجرب الخلا أي الصحارى وقلة الماء فيها ومن ذاق برد الما خلاف القوايل أي بعد الحر والهجير.

وكلمة صمايل في البيت الأول هي جمع للصميل وهو سقاء الماء المصنوع من الجلد

ومفرده صميل وهي كلمة فصيحة لها ذات المعنى النبطي فلقد جاء في اللسان

الصَّمِيل السِّقاء اليابسُ، والصامِلِ الخَلَق؛ وأنشد:

إذا ذادَ عن ماءِ الفُراتِ، فَلَن تَرى
أخا قِرْبةٍ يَسْقي أخاً بصَمِيلِ■



■ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

صفيّ الدين الحليّ

شاعر بنى مجده بفنّه وابتكاراته

يعدّ الشعر أحد الفنون التي اقتضتها الفطرة اقتضاءً طبيعياً، مثله في ذلك مثل الفن الذي نجده في لون الزهرة وشذاها، وفي ترقرق الماء وخريره، وفي كل شيء مفطور في ذاته على الجمال.

وللبيئة التي ينشأ فيها الشاعر ويرافقها حياته، وكذلك لجملة معارفه المكتسبة، ولما يستجد حوله من المعارف العامة، فيلقي على نفسه ظلاً قصيراً أو طويلاً، وللأحداث البعيدة والقريبة مما يمسّ شعوره من قريب أو من بعيد، وللعواطف التي تبثها بين جوانحه آمال نفسه، لكل ذلك وغيره يدٌ مبسوطة بالإبداع، وبما يقتضيه الحرص على إتقانه، من حركة النفس الدائمة في هندسة الشعر، إذ أن الشعر موهبة، وإحساس نفسي رائع، ومن بين الشعراء الموهوبين صفي الدين الحلي.

نسبه ونشأته

وُلد صفي الدين عبد العزيز بن سرايا، في يوم الجمعة الموافق للخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٧٧ من الهجرة، في مدينة الحلّة القريبة من الموصل، وهو في أصله من قبيلة سبنس، إحدى قبائل طيئ العربية العريقة.

جاءت ولادة الشاعر بعد غزو هولاكو لمدينة بغداد بواحد وعشرين عاماً، وهو الغزو الذي كاد يدمّر الحضارة العربية الإسلامية، فقد ذكرت المراجع التاريخية أن التتار استباحوا بغداد أربعين يوماً بعد فتحها، فنُهبت الدور، وهُتكت المحارم، وأُلقيت الكتب والمؤلفات في نهر دجلة، وامتلأت بغداد رعباً وخوفاً، بل أراد هولاكو أن يضرم النيران في البيوت، ولكن أتباعه منعوه من فعل ذلك.

وظل الناس يعانون من آثار هذا التدمير مدة طويلة، وقد تأثر صفي الدين بهذا الجو المضطرب تأثراً شديداً، خاصة وأنه ينتمي إلى أسرة أضفت عليها أعمالها المجيدة الجاه والحسب، الأمر الذي أثار الخصومات ضدها، فاشتعلت نيران العداوة بين أسرة الشاعر، وأسر الفضل التي كانت تعدّ من أكبر الأسر المنافسة لهم، فقامت هذه الأسرة باغتيال خال الشاعر غدراً.

وقامت بين الأسرتين من جراء هذا الحادث معركة، تسمى (موقعة الزوراء)، وكان عمر صفي الدين وقتها الرابعة والعشرين، وقد روي أنه قتل الكثير من أعدائه في هذه الموقعة، التي خلّدها في إحدى قصائده، وتعدّ من أروع وأبدع ما نظم من أشعار، وقد جاء فيها:

يا يوم وقعة زوراء العراق وقد ... دِنّا الأعادي كما كانوا يدينونا

بضُمَّرٍ ما ربطناها مُسَوَّمَة ... إلاّ لنغزو بها من قد بات يغزونا

وفتية إن نقل، أصغوا مسامعهم ... لقولنا، أو دعوناهم أجابونا

قوم إذا اسْتُخْصِمُوا كانوا فراعنة ... يوماً، وإن حُكِّمُوا كانوا موازينا

رحيله ووفاته

عقب موقعة الزوراء صار صفي الدين مطلوباً للثأر لدى العديد من الناس، وذلك لما فعله من بطولات خلال المعركة، الأمر الذي جعل خصومه يحقدون عليه أشدّ الحقد، ويتربصون به، فصارت إقامته بالعراق كله محفوفة بالمخاطر، فلم يجد بداً من التبكير في الرحيل إلى مكان آخر يكون في مأمن، ولا بدّ أن يتوافر في هذا المكان ثلاثة أشياء: المنعة، وجمال الطبيعة، والضيافة الكريمة، فرحل إلى (ماردين) حيث حصل على الأمان والراحة، وكرم الضيافة، فاطمأنت نفسه، وتفجّرت مواهبه الشعرية، ويرى بعض النقاد أن الفترة التي قضاها في ماردين كانت من أخصب الفترات التي قضاها في حياته.

وقد صوّر حياته الهادئة الآمنة في ماردين في عدة قصائد شعرية متفرقة، ومن الأمثلة على ذلك قوله في إحدى قصائده، يدعو فيها بعض أصدقائه إلى بيته:

ونحن بمنزل لا نقص فيه ... رحيب الرّبع مرتفع البناء

وفي داري بخاريّ وخيش ... أعدّا للمصيف وللشتاء

فهذا فيه شاذروان نار ... وهذا فيه شاذروان ماء

بيد أن مقامه في ماردين لم يطل، فقام بعدة رحلات اتصل فيها بكثير من الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة في أنحاء العالم الإسلامي، فزار حماة، وبغداد، ودمشق، ومصر والحجاز.

ولقد كان لهذه الرحلات أثر كبير في نفسه، وفي اتساع أُفقه، وفي إنتاجه الأدبي، ثم انتهى به المطاف إلى الاستقرار في بغداد، حيث وافته المنية بها في سنة ٧٥٠ من الهجرة على أرجح الأقوال.

ثقافته

لم تذكر المراجع التاريخية التي تناولت سير الأدباء عن مبلغ ثقافة صفي الدين، ولم يرد بها شيء عن دراساته التي درسها، ولم يأت بها اسم عالم من أساتذته الذين تلقّى العلم على أيديهم، بيد أنه جاء في (الدرر الكامنة) أن صفي الدين تعاطى صناعة الأدب، فمهر في فنون الشعر كلها، وتعلّم علم المعاني، وعلم البيان، وكتب فيهما.

وجاء في مقدمة ديوانه قوله عن نفسه: «إني كنت قبل أن أشبّ عن الطوق، وأعلم ما دواعي الشوق، بهجا بالشعر نظماً وحفظاً، متقناً علومه معنى ولفظاً، وامقا بسبك القريض، كارهاً للكسب بالتقريض».

وقد جاء في (الوافي بالوفيات) «انه نظم الشعر وعمره

«صفي الدين الحلي واحد من الشعراء القلائل، الذين جمعوا بين الفروسية والشعر، كعنترة ابن شداد، وأبي فراس الحمداني»

سبع سنوات، فلمّا بلغ اشتغل بالعربية والأدب».

ويفهم من هذا أن صفي الدين قد مال منذ نعومه أظفاره إلى الأدب واللغة، وعكف على الكتب التي تتناولها دراسة وحفظاً واطّلاعاً، وأقبل على نظم الشعر موهبة وفطرة وصناعة، فأجاد وبلغ غاية الإبداع في شعره، حتى صار شعره يتردد على الألسنة، وهو لم يتجاوز مرحلة الشباب.

وإن الناظر إلى مؤلفاته، ورسائله، وديوانه، ليدرك من أول وهلة المقدار الذي حظي به من الثقافة الأدبية، ومبلغ ما قرأ ودرس وحفظ، من أشعار الشعراء الذين سبقوه، حتى تمثلها في نفسه واهتضمها، فقد وعى من ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها ما لا عهد لشعراء زمنه وعصره بمثله، فصار بينهم مثالاً فريداً.

وقد ملأ ذاكرته بألوان البديع، وشتات المعاني والبيان، فدرسها دراسة الفقيه الفاهم، لا الشاعر الناظم، وصارت لديه قدرة عجيبة على التصرّف في علم البديع، حتى قيل إنه عندما أراد أن ينظم بديعيّته المشهورة في مدح رسول الله ﷺ قرأ مائة وأربعين كتاباً.

مؤلفاته

لصفي الدين الحلي مؤلفات شعرية عديدة، منها مجموعات شعرية، كديوان شعره، والمنصوريّات، وهي القصائد الثمان التي صاغها في مدح المنصور الأرتقيّ، ملك ماردين، والصالحيات، وهي القصائد الخمس عشرة التي صاغها في مدح الصالح الأرتقيّ، والناصريّات: وهي القصائد الثلاث التي صاغها في مدح الناصر محمد بن قلاوون، سلطان مصر المملوكي. والأفضليّات، وهي القصائد الثمان التي صاغها في مدح المؤيد إسماعيل ملك حماة، وفي مدح ابنه الملك الأفضل.

وإلى جانب هذه القصائد هناك ديوان (درر النّحور في مدائح المنصور)، وتسمى قصائد هذا الديوان باسم (المحبوكات)، لأنها محبوكة الطرفين، أي: أن حروف أوائل أبياتها كحروف رويّها.

ومن مؤلفاته كتب تدلّ على مدى ما كان لدى صفيّ الدين من الثقافة العالية، وسعة الاطلاع، واتساع الأفق، ومن بين هذه الكتب:

- (النتائج الإلهية): وهو شرح لقصيدته البديعية، التي صاغها في مدح رسول الله ﷺ، وتتكون هذه القصيدة من مائة وخمسين نوعاً بديعياً، بعضها من ابتكار صفيّ الدين نفسه.
- (الدرّ النفيس في أجناس التجنيس): وهو كتاب في صفحات قليلة، وفيه يتحدث عن أنواع التجنيس والتمثيل لها، وهو لا يخرج في حديثه وتمثيله عن المعروف والمتداول في كتب البديع.
- (العاطل الحالي والمرخص الغالي): وهو كتاب يتناول فيه فنّ الزجل والمواليا وكان وكان والقوما.
- (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء): وهو عبارة عن مختارات شعرية.
- (الأغلاطي)، وهو معجم للأغلاط اللغوية.
- (الخدمة الجلية): وهو كتاب في وصف الصيد بالبنادق.

ولصفيّ الدين ثلاث رسائل طريفة، وهي مثبتة في ديوان شعره المطبوع، وتتميز هذه الرسائل بأنها بديعية الأسلوب، وهي:

١- (الرسالة المهملة): وكان قد كتبها إلى السلطان محمد بن قلاوون، يشكو إليه وزيره، الذي قطع عنه راتبه، ويستنجزه ما وعده به، ويستأذن في السفر، وجميع حروف هذه الرسالة مهملة، أي غير منقوطة، ما عدا تاء التأنيث المربوطة، ولذلك سمّيت هذه الرسالة بـ (المهملة).

٢- (الرسالة التوأمية): وهي تتألف من أربعمائة فقرة نشراً، وثمانين نظماً، في عشرة أبيات على وزن واحد، ورويّ واحد، وفي معاني شتّى.

وكان الداعي إلى تأليف هذه الرسالة، ما روي من أن صفيّ الدين عقب وصوله إلى ماردين، واتصاله لأول

مرة بمجالس المنصور، جرى ذكر أبيات للحريري من مقاماته.

وكان صفي الدين في ذلك الوقت يطمع في عمل كتاب يعيش من أجره خلال مدة إقامته بماردين، فوجد الفرصة سانحة وملائمة لأن يعرض مهارته الأدبية، ومقدرته الإنشائية، فكتب (الرسالة التوأمية)، وكان موضوعها مدح الملك المنصور، وشكوى حاله، وعرض لآماله، وهي تتميز بتجانس كل لفظين متجاورين فيها تجانساً خطيّاً، لا يكادان يختلفان إلا في حركات الحروف والنقط، وقد قيل إن المتأخرين عجزوا عن مثل هذه الصناعة نظماً ونثراً، ويقول صفي الدين في مقدمة الرسالة مخاطباً المنصور: «تقبّل قبل أن يراك شراك، عبد عند رخاك رجاك، أبيّ أبى سؤال سواك».

٣- (رسالة الدّار عن محاورات الفار): وهي رسالة طويلة طريفة، وعلى ما فيها مما يثقلها من ألوان البديع إلا أنها جميلة الأسلوب، رقيقة العبارة، ومن أروع ما فيها ذلك الحوار الذي دار بين الفئران حول الدار، وما لحق بها من البؤس والشقاء.

وكان صفي الدين قد كتب هذه الرسالة على لسان دار سكنها بماردين، وفيها تشكو الدار إلى (القلعة الشهباء) مقر الملك الصالح الأرتقيّ، وتطلب وفاء دين على ساكنها، تعذّر عليه الوفاء به، فلما قرأها الملك الصالح أغدق عليه المال.

مكانته بين شعراء عصره

اشتهر صفي الدين بأنه شاعر أكثر منه ناثراً، وذلك راجع لوفرة إنتاجه الشعري، وقلّة إنتاجه النثري، وكان قد عاهد نفسه على ألاّ يمدح أي إنسان وإن عظم، وألاّ يهجو أي إنسان وإن قلّ قدره، حتى يرتفع بنفسه عن التشبه بمن يفعلون ذلك.

ولقد برّ بوعده، ولكنه لم يستطع أن يمتنع عن التكسّب بالشعر واحترافه، فقد كانت الأيام بأحداثها ومتطلباتها أقوى منه ومن إرادته، فجرفته إلى التكسّب واحتراف الشعر، فمدح كلّ من اتصل من الملوك والأمراء والحكام، بيد أنه وإن اعترف في شعره بأنه يحصل على هبات وعطايا من يمدحهم، إلا أنه كان يعلل مدحه لهم بأنه جزاء وشكر على ما يناله منهم، لأنه لم يكن مداحاً يبتغي كسباً، وإنما هو يجزى هباتهم المالية بهباته الشعرية.

ولم ينسَ في أغلب المناسبات أن يبرّئ نفسه وشعره من مذلّة التكسّب، وأن يسمو بهما إلى أفق من الفخر والزهو يعصمهما من مظنة الاحتراف، وأنه لم ينزل في حمى الملوك والأمراء والحكّام، إلا نزول الصديق على الصديق، وحلول الفرد بأهله، يقول صفي الدين في إحدى قصائده:

ولا رأي لي إلا إذا كنت حاقناً
لماء المحيا عن سؤال بني الدهر
ولم تثن أبكار المدائح عطفها
لتجلى عليهم في غلائل من شعري
ولم ابتذل عرس المديح لخاطب
ولو أرغبوني بالجزيل من المهر

إن صفي الدين الحلي واحد من الشعراء القلائل، الذين جمعوا بين الفروسية والشعر، كعنترة ابن شداد، وأبي فراس الحمداني، وخاضوا غمار الحروب، وبحار الأدب، ومما لا شك فيه أنه أحيا دولة الشعر والأدب في عصره، ورفع شأنها وذكرها بكفاية وجدارة، وحفظ سلسلة العظماء في الشعر موصولة الحلقات، في تلك العصور التركيّة، وأنه كان سبّاقاً إلى كثير من الابتكارات، وكثير من الإبداعات الأدبية.

وبعد.. فإن من الأمور المسلّم بها أن صفي الدين الحلي كان زعيم الشعر في زمانه، وبقيت فيه بقية من فصاحة اللفظ، وبقية من رشاقة الأسلوب، وجمال التعبير، ورفاهة الإحساس، وتفنن في الصنعة ما شاء له أن يتفنن، فهو لذلك يعد من أكثر شعراء العربية افتناناً وتلاعباً، بل لعله أقدرهم في هذه الناحية، إذ يستطيع أن يصرّف أسلوبه إلى المستوى الذي يريده.

ولقد قيل عنه إنه شاعر المشرق، تقدّم على كثير من الأول، وبيّن تقصير أصحاب السّبع الطوال، وبرع في فنون الأدب، وجمع شتات أقوال العرب، وذاع في البلدان ذكره، واشتهر في البقاع نظمه ونثره، وكان حسن الأخلاق، جميل المحاضرة، بديع المحاورة، ذا نسب ورياسة، وإرادة وحماسة. ■

المراجع:

١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لمحمد بن الطقطقي.
٢) الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني.
٣) الوافي بالوفيات، للصلاح الصفدي.
٤) بدائع الزهور، لابن إياس.
٥) السلوك في معرفة دول الملوك، للمقريزي.

أسوان

بلدة الشمس والجمال

«أسوان» مدينة قديمة، اكتسبت شهرة واسعة، بعدد من الأمور: جغرافية، وتاريخية، واقتصادية، وسياحية، وآثارية. وهي مدينة، ومنطقة وردت في الأخبار والأشعار، وظلت من القديم -إلى اليوم- مدينة عريقة ذات صيت واسع.

وهي مدينة مصرية، تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل جنوبي مصر، تبعد عن القاهرة (٦٩٠) كيلومتراً، وعن موقع السد العالي نحو ١٣ كم، وبينها وبين خط الحدود السياسية بين مصر والسودان (٢٥٠)كم.

واسم المدينة (أسوان) موصول بالاسم القديم «سوان» كما كان ينطق به، ويكتب في القبطية. وورد الاسم على صورة (soun) و(sounou) ورسم الاسم في اللاتينية (syéne) وفي الرومية (souni) وفي القبطية (souan) وبهذا يكون النطق العربي للمدينة هو الأقرب للقبطي. وفسر الاسم بأنه يعني في القبطية: السوق، ومحل التجارة.

وكانت (أسوان) في القديم مركزاً تجارياً مهماً، فهي على الطريق الذي يربط أقاليم مصر، والنوبة والحبشة، وتعد البوابة الجنوبية لمصر، ولها أهميتها التجارية والسياسية، والعسكرية أيضا.

وقد دخلت أسوان، ومناطقها في الإسلام منذ وقت مبكر جداً، وقد وجد فيها شاهد قبر مؤرخ بسنة (٣١) إحدى وثلاثين هجرية؛ مذكور فيه بعد الاسم نسبة «الأنصاري». ويذكر المؤرخون أن أسوان كانت مستقراً لأقوام من العرب سكنوا أسوان «من قحطان، ونزار وربيعة ومضر، والأنصار، وبني هلال، وكثير من القرشيين الذين وفدوا من الحجاز».

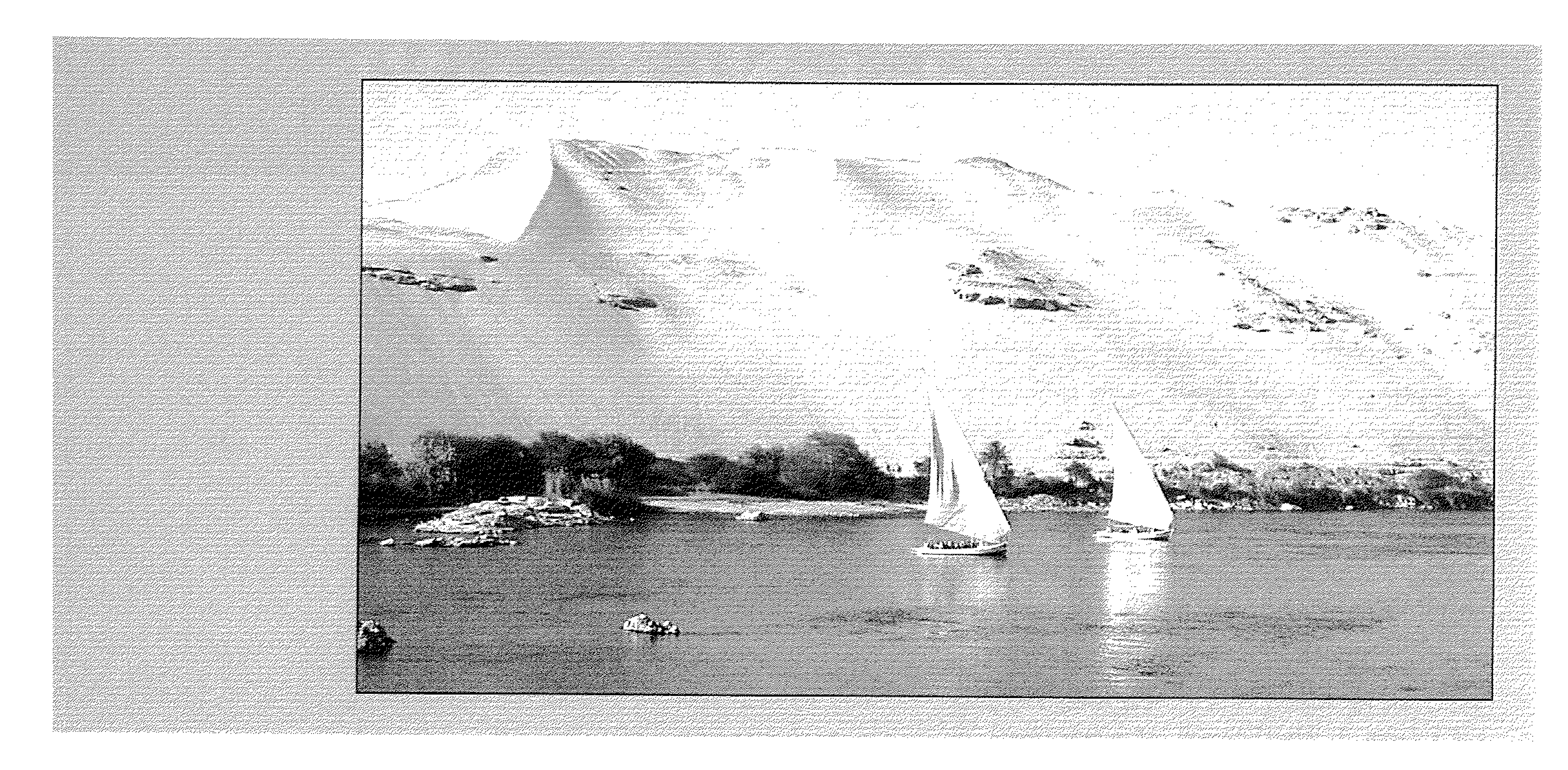
وكانت أسوان في العصور الإسلامية حتى نهاية العصر المملوكي ثغراً من ثغور كورة القوصية، وأصبحت في العصر العثماني ثغراً تابعاً لولاية جرجا حين جمعت أعمال الأسيوطية والإخميمية والقوصية في ولاية باسم جرجا. وضمت أيام محمد علي إلى مديرية إسنا. وفي سنة ١٩٨٨ صارت قاعدة لمديرية الحدود. وفي سنة ١٩٠٠ صار اسم المديرية: أسوان، واستمرت كذلك إلى سنة ١٩٦٠ حين أصبحت (محافظة أسوان).

واشتهرت أسوان في التاريخ منذ عهد الفراعنة، بكونها مكاناً حاول فيه الحكام تنفيذ مشروع سدّ عظيم يتيح حفظ الماء وقت الفيضان لأيام طويلة في السنة تنفع فيها المياه المحجوزة. ويذكر اسم العالم المشهور الحسن بن الهيثم في جملة من حاول بناء خزّان هناك. وشهد القرن الماضي إنشاء خزان في أسوان سنة ١٩٠٢ تمت تعليته وإصلاحه أكثر من مرة إلى أن أقيم السد الكبير بعد ثورة ١٩٥٢.

وإذا ذكرت أسوان ذكرت آثار كثيرة: من عهود مختلفة: الفرعوني، والإغريقي، والروماني، والإسلامي (على امتداد العصور الإسلامية)، وعلى الضفة الغربية لمجرى النيل عند أسوان «بعض التلال الجرانيتية التي وجد فيها عدد من المدافن الفرعونية، وترجع إلى الدولتين القديمة والوسطى. ويوجد في مجرى النيل، في نطاق المدينة عدد من الجزر.. وتنتشر في بيئة أسوان الصخور الغرانيتية التي استغلها الفراعنة في بناء التماثيل (والآثار) المنتشرة على طول امتداد النيل في مصر، ويوجد في إقليم مدينة أسوان عدد كبير من المعابد والآثار» كما ذكرنا.

وقد ذكر ياقوت الحموي اسم أسوان وتحدث عنها، كما ذكرها جغرافيون ورحالة كثر، ونقل ياقوت في اسم المدينة (أسوان) و(سوان) بغير همزة. ونقل عن أبي بكر الهروي أوصافاً للمدينة ومواقعها وآثارها وأخباراً عاينها بنفسه، ومنها الجنادل (الشلالات) وآثار مقاطع العمد (الأعمدة) وأماكن قطع الأحجار والصخور الملونة المجزعة (ذات الخطوط والألوان المتداخلة) وذكر أحوالها الاقتصادية الرائجة. وأورد عدداً من العلماء الذين نسبوا إلى مدينة أسوان، ويقال في النسبة إليها: أسواني. وكان فيهم الأدباء والفقهاء والشعراء والشخصيات ذات النفوذ.

ونقرأ في مجريات الأحداث الأسوانية في العصر الحديث بناء سد أسوان العظيم سنة ١٩٦٨ إلى الجنوب من سد أسوان القديم بنحو ٨ كم، ونشوء بحيرة كبيرة



اجتمعت مياهها وراء السد عرفت بـ «بحيرة ناصر» وقد أدى بناء هذا السد إلى نقل معبد (أبو سمبل) من مكانه، ونقل آثار أخرى.

في عنوان هذا الموضوع عبارة «أسوان بلدة الشمس والجمال» ولابد من تغييرها إلى «مدينة الشمس والجمال» وأصل العبارة لعباس محمود العقاد، الذي ولد في أسوان، وكان نائباً في المجلس النيابي (البرلمان) عن أسوان: التي ضمت جسده بعد وفاته.

ومن القصور العادية القديمة قصر أنس الوجود، الماثل في جزيرة صغيرة في النيل قرب أسوان، ويعد من أحسن المعابد القديمة في مصر. وفي بعض ما في أنس الوجود نقرأ لعباس محمود العقاد تحت عنوان أنس الوجود، في الجزء الأول من ديوانه:

تماثيل مصر أنت صورتها الصغرى
وطِلَّسْمُها الواقي وآيتُها الكبرى
حياتك أجدى من رجالٍ كأنهم
تماثيل لا تحيي الصناعة والذكرى
رعى الله من أسوان داراً سحيقةً
وخلّد في أرجائها ذلك القصرا
أقام مقام الطود فيها وحوله
جبال على الشطين شامخةً كِبْرا

إلى أن قال؛ وهو يذكر مدينة أسوان:

بنو الشمس أهلوها إذا اشتد قيظها
وجاش عن الصحراء فاتقدت جَمْرا

ولأحمد شوقي قصيدة في قصر أنس الوجود أنشدها سنة ١٩١٠؛ وللقصيدة مناسبة وخبر، قال في أثنائها:

قفْ بتلك العصور في اليمّ غرقى
ممسكاً بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين في الماء بضّاً
سابحات به وأبدين بضا
مشرفات على الزوال وكانت
مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت
وشباب الفنون مازال غضا

وتحتاج هذه القصيدة إلى وقفة خاصة في مجال آخر أما أسوان فقد استطاعت أن تكون على امتداد العصور مدينة مهمة في ظلال التاريخ والجغرافية وبأسباب اقتصادية وسياحية.

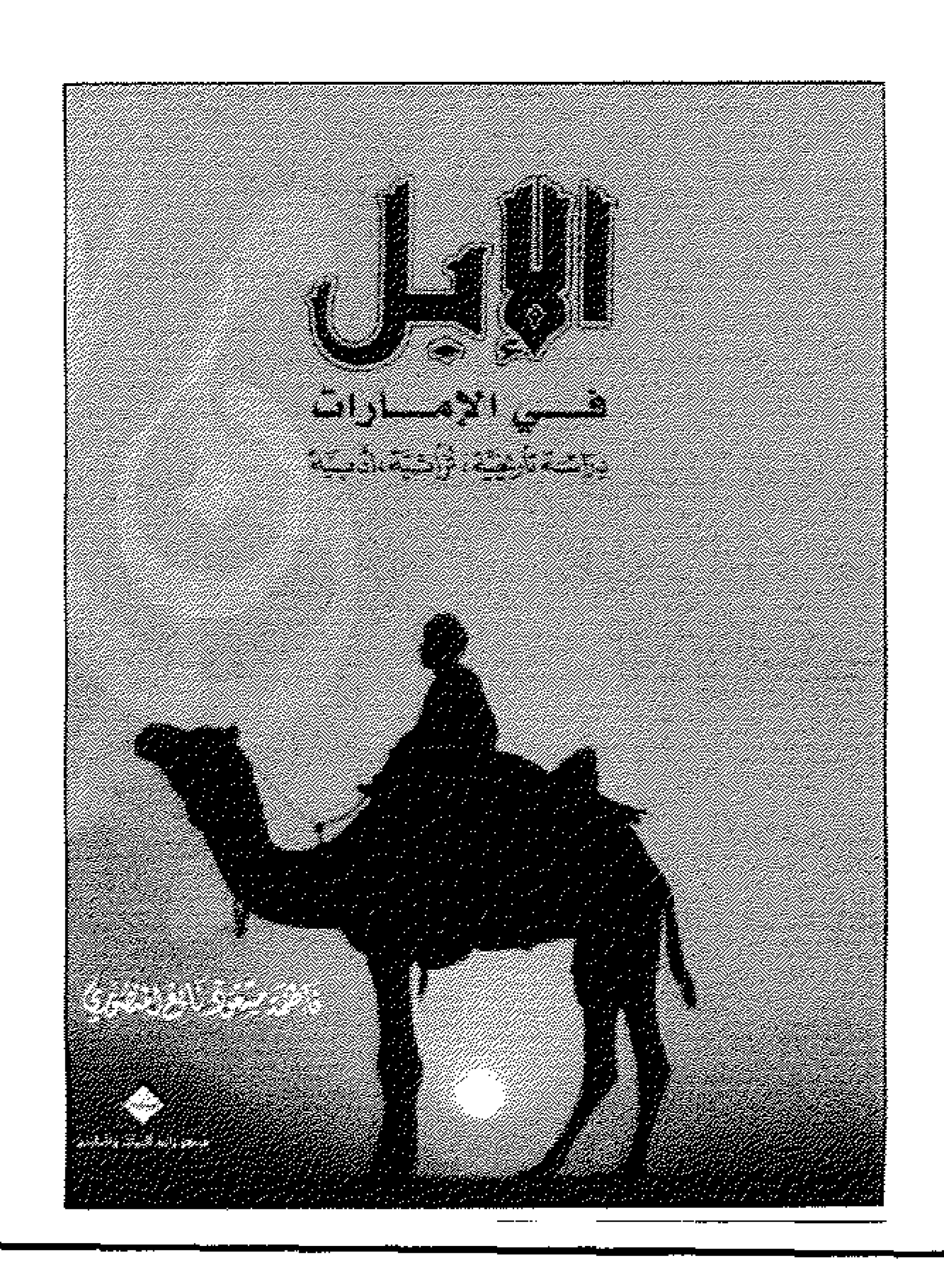
وكان لإنشاء سدّ أسوان الجديد أثر خطير في السياسة في مصر والبلاد العربية إضافة إلى آثاره الأخرى المختلفة.■

الإبل في الإمارات

- اسم الكتاب: الإبل في الإمارات
- اسم المؤلف: فاطمة مسعود نايع المنصوري
- اسم الناشر: نادي تراث الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ في العين
- الطبعة وسنة النشر: الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م
- المطبعة: دار البارودي للطباعة والنشر، أبوظبي
- عدد الصفحات: ١٦٨ صفحة من القطع الكبير
- العنوان: ص.ب ٢٣٨٨٨، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة

■ عرض: محمّد رجب السّامرائي

يجيء كتاب «الإبل في الإمارات: دراسة تاريخية، تُراثية، أدبية» لمؤلفته الباحثة الإماراتية فاطمة مسعود نايع المنصوري، والصادر عن مركز زايد للتراث والتاريخ التابع لنادي تراث الإمارات ليسلط الضوء على الإبل في دولة الإمارات العربية المتحدة والعمق التاريخي، والتراثي والأدبي للإبل بصورة عامة وشاملة وفق البحث العلمي الرصين المُوثق بالأدلة والشواهد المُستنبطة من أمهات المصادر والمراجع والدوريات.



غلاف الكتاب

محتويات الكتاب

بعد كلمة لمدير مركز زايد للتراث والتاريخ الاستاذ الدكتور حسن محمّد النابودة جاء فيها: دراسة جادة، تظهر مناحي الحياة اليومية التي تميزت بها علاقة الإنسان العربي بالإبل، وتقدّم معلومات قيِّمة عن الإبل في الإمارات وعن أماكن انتشارها ومُسمياتها وأخبارها في التراث العربي والشعبي للإمارات. قدم الأستاذ الدكتور محمّد الأمين الخضري، رئيس قسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية في جامعة الإمارات للكتاب مشيراً إلى أنّ الباحثة استطاعت في هذا الكتاب أن تُمسك بخيوط هذا النسيج المُتغلغل في حضارة هذه الأمة وتراثها الخالد، لتلتقط مفردات لغتها، وأنفاس أهليها المبثوثة في إبداعاتهم الفكرية والأدبية، ومشاهداتها ومَرْوياتها، ما مكنّها من الرّصد الواعي للعلاقة الحميمة بين العربيّ وإبله.

الأول: المواطن الأصلية للإبل

الفصل الأول بعنوان: «المواطن الأصلية للإبل» لتتحدث فيه المؤلفة عبر أربعة عناوين فرعية عن مواطن الإبل: مواطن وجود الإبل والآراء التي قيلت في تلك المواطن وهي أربعة آراء تفرع الأخير منها إلى ثلاثة أجزاء.

تصنيف الإبل، المتمثلة في صف الثدييات، وصفيف: المشيميات، ورتبة: المُجترات، ورتيبة: وساديَات القَدَم، وفصيلة: الجَمَليَات، وهي من جنسين: اللاّما، والجَمَل وهو على ثلاثة أنواع: الجَمَل ذو السنام الواحد، وذو السنامين، والجَمَل المُهجَّن.

وأفردت رابعاً لـ:«الإبل في الكتب السّماوية» وتناولت فيه ذكر الإبل في كتاب التوراة، ثم دستور المسلمين- القرآن الكريم- الذي أشار في موضعين كريمين للإبل في سورتي الأنعام الآية ١٤٤: ﴿ومنَ الإبلِ اثنين ومن البقر اثنين﴾، وفي سورة الغاشية الآية ١٧: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. ثم عرّجت لذكر الإبل في الحديث النبوي الشريف، وفي التراث العربي.

إبل الإمارات، دراسة تاريخية تراثية

هذا عنوان الفصل الثاني للكتاب الذي وزعت الباحثة مواده على عدّة عناوين وفرعيات، بدأته أولاً بالخلفية التاريخية والأثرية لوجود الإبل في الإمارات، مستندة في طرحها للمعلومات على أدلة الآثاريين التي أكدت على وجود الجَمَل في الإمارات حسب ما عثروا على عظام الجِمَال التي ترجع إلى حوالى الألفين الخامس والرابع ق.م في مقبرة في مواقع جبل البحايص، أو ما لقوه من عظام في مواقع جزيرة غناضة، أو في جزيرة أم النار، أو في مناطق مختلفة في دولة الإمارات.

كما تناولت ثانياً وظائف الإبل في مجال النقل، والإنتاج، وفي المجال الحربي، والاجتماعي، والفكري والثقافي، أعقبته بمسميات الإبل ثالثاً، حيث عرضت لأسماء الإبل حسب جنسها، وأعمارها بالنسبة للذكور والإناث، والمراحل التي تمرُّ بها الناقة الحامل، ومُسميّات إبل الحليب، وحليب الإبل «اللبن» في بادية الإمارات، ومُسمياته حسب الوقت، ونزوله، وعملية التنظير، والبُو، والمُسميات التي تُطلق على الناقة في حالة عدم تلقيحها، ومُسمّياتها حسب استخدامها، وأسمائها حسب ألوانها، وسلالاتها، وأبرز السلالات العريقة في دولة الإمارات، وحسب الحيازة «الوَسَم»، وأسماء أصوات الإبل، وأنواع سيرها، وأدواتها.

الثالث: أمراض الإبل وطرق علاجها

تناولت الباحثة في هذا الفصل أمراض الإبل ثم بينت الطرق التقليدية في العلاج المحلي كالمعالجة عن طريق الوَسَم «الكي بالنار»، وباستعمال الأعشاب والنباتات، وإيضاح أهم النباتات الطبية المُستخدمة في علاج الإبل، واستعمال بعض المواد الشائعة في البيئة الصحراوية.

الإبل في الأدب الشعبي الإماراتي

وأفردت المؤلفة فصل كتابها الرابع لإلقاء الضوء على «الإبل في الأدب الشعبي الإماراتي»، بادئة أولاً: بالإبل في الأمثال الشعبية الإماراتية، وعرضت فيه لضرب الأمثال الشعبية، عن الإبل وأعمارها مثل: «الحوار ما تضرّه دُوسة أمه، وبأعضائها مثل: «ياليت رقبتي رقبة بعير، والبعير ما يشوف سنامة»، أو بطباعها: «اصبر ياجَمَل لِيْن مايجيك الربيع»، أو بلقاحها ونتاجها: «أعشار ما تدر، والذود من صدرة الفَحَل»، أو بأمراضها وطُرق علاجها: «أوسمها قبل تظلع، وكل في بعيره شافة»، وتمثلهم بأصواتها: «فلان يخلط الحنين والرغا رباعه، وناقة لو هدرت».

أما ثانياً: الإبل في الشعر ضمن الفصل الرابع، فقدمت فيه المنصوري لنماذج شعرية مُنتقاة لعدد من الشعراء العرب القدامى بدأته بالشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي قال في إحدى قصائده:

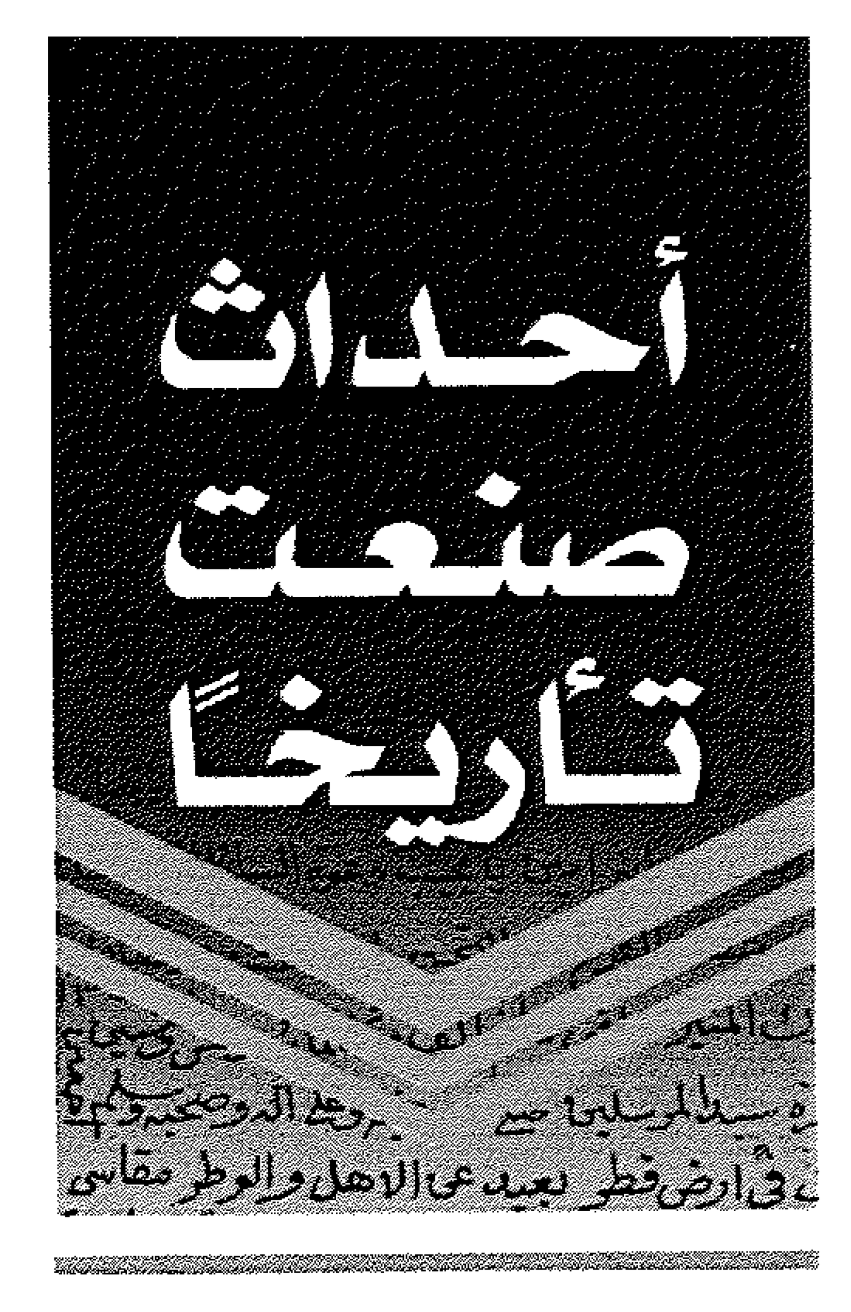
سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا
وحَلّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرْعَرَا
فَدَعْ ذا وسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ
ذَمُولٍ إذا صَامَ النَّهارُ وهَجَّرَا

بينما جاء حديثها الآخر عن: الإبل في الشعر الشعبي الإماراتي، موضحة بالنماذج الشعرية لأهم ألحان الشعر النبطي في الإمارات نحو: الونّة، والتغرود، والحداء، والحربية «العيالة»، والإبل في ألغاز الشعبية الإماراتية، موضحة لعدد من تلكم الألغاز التي تحتوي على موضوع الإبل مثل: «أربع سبق وأربع لبق، وأربع بالخد يبارنه، وأربع شلوا جَمَل والجَمَل ما شَلْهُم، .أربعة تمشي وأربعة تبكي وواحد يقصّ الأثر».

الخامس: من مظاهر الاهتمام الرسمي بالإبل

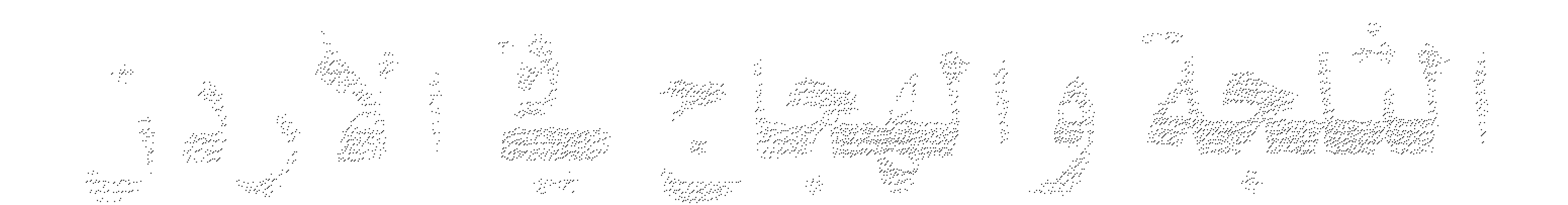
ختمت الباحثة فاطمة المنصوري فصول كتابها بالفصل الأخير- الخامس- وعرضت فيه للجهات المختصة في دولة الإمارات التي تُعنى بالإبل وهي: المؤسسات الخدمية كدوائر الزراعة والثروة الحيوانية والبلدية التي تقدم خدماتها لمربي الإبل في هذا المجال.

وأعقبت ذلك بحديثها عن اتحاد سباقات الهجن في دولة الإمارات الذي تشكل في ٢٥ أكتوبر١٩٩٢م، الذي يأخذ على عاتقه تنظيم هذه الرياضة التراثية الأصيلة لسباقات الهجن «الإبل»، ونادي تراث الإمارات الذي يُعَدُّ أحد أبرزَ المؤسسات الشعبية في الدولة التي تُعنى بحفظ التراث المحلي وإحيائه في مختلف المجالات، بينما تلقى رياضة سباقات الهجن الدعم والرعاية من لدن سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس نادي تراث الإمارات الذي يحرص على نشرها وإقامة السباقات المتواصلة كل عام. وأشارت المؤلفة أخيراً إلى المختبرات البيطرية والمراكز البحثية التي تهتم وتجري البحوث العلمية على الإبل في الدولة.■



في حياة الشعوب وقائع وأحداث كبيرة.. شكلت بصمات لا تنمحي من ذاكرتها.. ولأهميتها ولتأثيرها اتخذتها الشعوب تأريخاً لها.. فيقال: فلان ولد في سنة الجراد.. وفلان توفي في سنة السيل، وفلان تزوج في سنة الزلزال.

ولأهمية تلك الأحداث ومغزى اتخاذها تأريخاً.. قررنا أن نفتح صفحاتها لنتعرف عليها.. لأنها جزء من التاريخ.



■ **د. ثابت ملكاوي**

كثيرة هي الأحداث التي مرت على الشعب الأردني خلال السنوات الماضية، وشكل بعضها في حياته نقطة تحول تاريخية، حتى صارت مفصلاً زمنياً في حياتهم السابقة، ومرتكزاً لمرور الزمن إلى السنوات اللاحقة.

من هذه الأحداث ما بقي محفوراً في ذاكرة الأجيال المتعاقبة، لأكثر من جيل، نظراً لتأثيرها، وبقاء تداعياتها المادية والاجتماعية ماثلة في وجدان وحياة الاجيال.. ومنها ماكنسه الزمن الآتي، وغياب الجيل الذي عاصر تلك الأحداث والراوي لها.. فلم تعد تشكل شيئا يذكر للأجيال الجديدة، لكنها بقيت موجودة في ذاكرتها البعيدة.

ويمكن تقسيم تلك الأحداث من حيث طبيعتها، وتأثيرها على الشعب الأردني إلى أكثر من نوع: فهناك أحداث سياسية، وغيرها أحداث طبيعية، ومنها أحداث صحية لها علاقة بالحياة والموت في حياة الانسان الأردني، وبعضها أحداث وطنية.

ويذكر الناس هذه الأحداث بسنة كذا.. وسنة كذا.. كنقطة ارتكاز زمني عندهم يقيسون عليها مرور السنين.

في تلك السنة، شهد الأردن، وبالذات المنطقة الشمالية والوسطى منه، تساقط ثلوج لم يعهد مثلها من قبل، ولم تتناقل الأجيال السابقة، بطريقة الرواية المتواترة، سقوط ثلج على منطقتهم بمثل تلك الكثافة والغزارة، حيث استمر تساقط الثلوج عدة أيام، مصحوبا بعواصف قوية، كتلك التي تشهدها المناطق الشمالية والقطبية من الكرة الارضية، وكانت تلك العواصف بمقاييس مناخ تلك المنطقة غريبة وشاذة.

فالمعروف أن المناخ العادي للأردن، كما هو مرصود في سجلات الارصاد الجوية الأردنية والدولية، أن الأردن يقع في خط مناخي معتدل، وتساقط الثلوج على الاردن بمثل هذه الغزارة يشكل حدثاً مناخياً استثنائياً، حتى حين يتساقط الثلج على المرتفعات فإن سماكته تقاس بالسنتمترات لا أكثر.

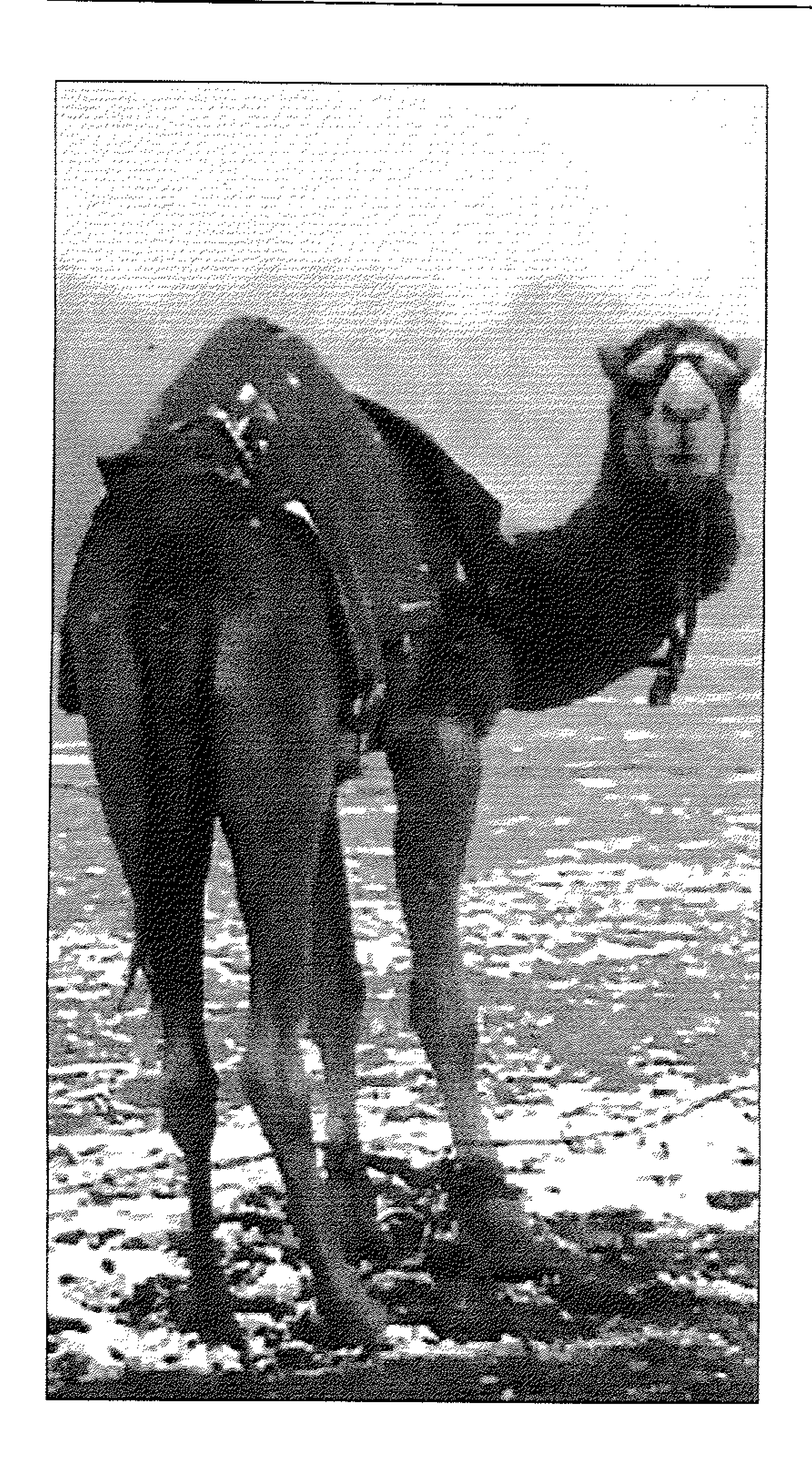
تلك السنة، كما نقل عبر كبار السن، أن الثلج هجم

عليهم في شمال ووسط الأردن، هجوم الغزاة على حين غرة.. إذ هم في العادة غير مستعدين له، وغير معتادين عليه، فأربكهم أيما إرباك.. وقد تحولت سهولهم ومراعيهم، إلى بساط أبيض كثيف، وقد كان الرعي في الأردن في بداية القرن العشرين، يشكل العصب الاقتصادي لغالبية الناس، وكانت زراعة المحاصيل تشكل العمود الفقري في حياتهم.

وتشير تقديرات كبار السن، وهم الآن في التسعينات من عمرهم، وهم لم يعايشوا تلك الحادثة لكونهم صغاراً أو جاؤا بعدها فعرفوا من آبائهم مقدار فداحتها.. إن هذه السنة الثلجية أخذت معها مواشيهم ومحاصيلهم وأرواحهم، من شدة البرد والزمهرير الذي داهمهم، ولم يعط لهم فرصة لجلب حطب أو طعام، وبعض الناس كانت حينها تقطن في بيوت الشعر، فسقطت عليهم من ثقل الثلج المتراكم.

المشهد كما نقله الرواة أشبه بمعركة شرسة مع الطبيعة، استمرت عدة أيام، انحسرت عن خسائر كبيرة بين الناس، أطفال وعجائز ومرضى وكبار السن، جرفتهم الثلوج معها، وطلعت الشمس على فلول المزارعين وهم متعبون، خائفون، قلقون من حدوثها مرة أخرى.. لكنها، ومع كل تلك المعاناة تركت لديهم قصصا وروايات وذكرى مشاهد بطولية ظلوا يتناقلونها بفخر على مر السنين، كانت النخوة، تتحرك في صفوفهم، تدور بين بيوتهم الطينية الصغيرة المتعبة وبيوت الشعر المثقلة بالثلج والصقيع. يذكرون نخوة فلان، وشجاعة فلان، وكيف أن فلان اقتسم ما لديه من خبز وحطب، وتبن، لينقذ به جاره المعدوم.. فلانة التي احتضنت ثلاثة أطفال رضع ماتت أمهاتهم من البرد، فترضعهم مع رضيعها رغم شح ما لديها.. وقصصا كثيرة يتناقلها الناس في شمال الأردن، مليئة بالبطولات الفردية، وملأئ بما يعرف بنخوة الكوارث.

ويذكر الرواة، وهذه قيمة أخرى تركتها تلك الحادثة، أن الناس، أهل القرى والمدن والبادية، قد أخذوا في السنوات اللاحقة يستعدون لمثل تلك السنة، مرت السنة التالية وفي بيوتهم طعام إضافي لهم ولمواشيهم، وكثير منهم شيدوا بيوتاً من حجر وطين بجانب بيوت الشعر، وامتلكوا أدوات إضافية يكشطون بها الثلج المتراكم على بيوتهم، وكانوا وقتها لايملكونها، حيث كانوا يكشطون الثلج بأيديهم، وقد تورمت، وكانت سببا لهلاكهم، وحين جاء فصل الشتاء التالي، كانت الناس مستعدة، وجاهزة للثلج، والعواصف، جاهزة



ثلوج في وادي رم

للتحدي والمقاومة، وانقضى الشتاء ولم تأت تلك الثلجة، وجاء شتاء آخر وآخر، وتمر سنون طويلة.. وكل سنة يترقبون مثلها، ويستعدون، وفي كل شتاء يتوقعون مجيئها، ويستعدون.

وفي شتاء عام ١٩٩٥م، وبعد مرور قرن من الزمان، عادت تلك الثلجة لتزور الناس، زارت ولبضعة أيام، الأردن، وزارت جزءاً كبيراً من سوريا ولبنان، قوية حادة وكثيفة، مصحوبة بزمهرير لم يعتده الناس في حياتهم، وبينت حينها مصادر الجو في الاردن، أن مثلها لم يأت من عشرات السنين، إذن هي تلك الثلجة، هي بعينها، جاءت، لكن مجيئها ليس على حين غرة، فالناس في هذا الزمن، غير أولئك البسطاء، فهم منذ قرن يستعدون، وينتظرون هذا الزائر المتعب، أو غيره، بيوتهم الآن قوية مسلحة، حبلى بالوقود والمؤن، وليس عندهم مواش يخافون عليها، وماعادوا يعتمدون فقط في حياتهم، على رعي أو زراعة، تساندهم هيئات

قوية مجهزة للدفاع عن حياتهم المدنية، جاهزة لأن تبعد عنهم كل ثلج وطارئ ومكروه.

بعد انحسار هذه الثلجة الكبيرة الثانية، وحين طلعت الشمس، وتراجعت العاصفة، تراكض الصغار والكبار يلعبون بمرح، بالثلج ومع الثلج، كما لو أنه زائر حميم..!!

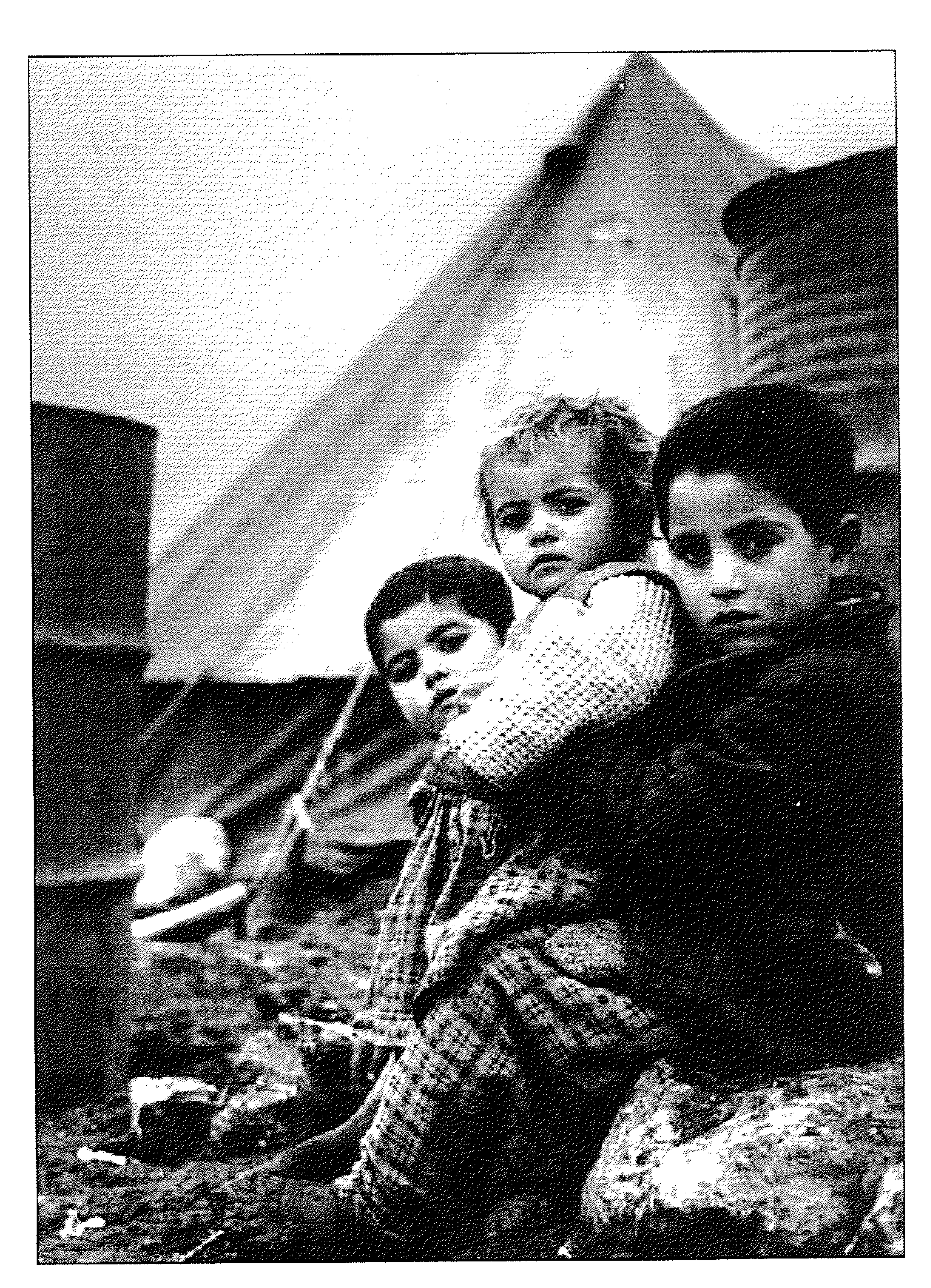
سنة الهجاج

تلك السنة، كانت طامة كبرى على الناس في الأردن، وفي غيره من البلدان العربية، فمازالت مشاهدها ومشاعرها عالقة في ذهن قسم كبير من الناس، وحديثها لاينقطع، سنة الهجاج هذه، هي سنة النكبة، سنة الانكسار، عنونتها المخيلة الشعبية في الأردن بسنة (الهجاج) لأن فيها مئات الآلاف من الفلسطينيين، هجوا من ظلم محتل غاصب لئيم، هجوا بطريقة جماعية لم يشهد لها التاريخ مثيلا. ترك الناس بيوتهم ومزارعهم ومدنهم وقراهم، وأشياءهم، تركوا كل مايملكون، وقطعوا بالآلاف نهر الأردن، مشيا على الاقدام، هرباً من البطش الذي يطاردهم.

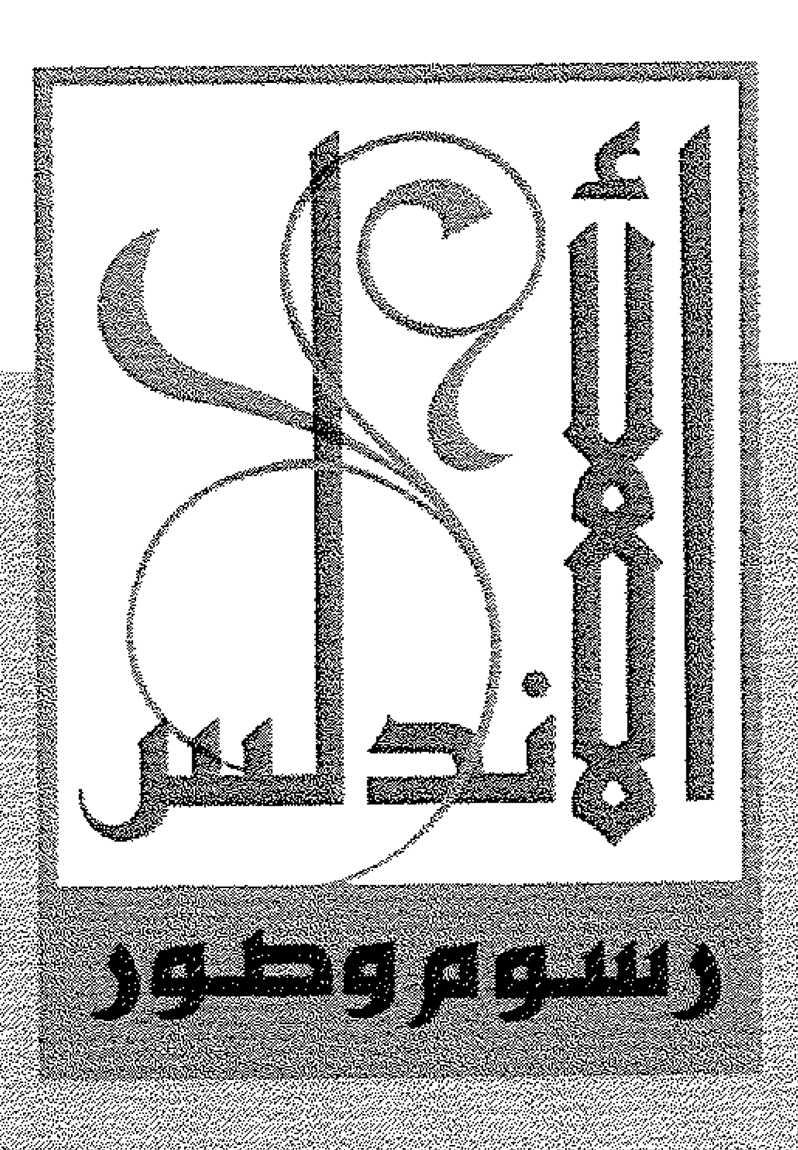
عام ١٩٤٨م هو عام الهجاج الفلسطيني، ففيه تم طرد شعب من وطنه، واقتلع من جذوره الممتدة لآلاف السنين، ليلقى به دفعة واحدة خارج الوطن، والعالم بأسره ينظر إلى هذه الماساة ولايفعل شيئاً.

على نهر الأردن، وقتها جسران صغيران، هما جسر اللنبي، وجسر الشيخ حسين، موجودان حتى اليوم، يمر عبرهما مئات الآلاف من البشر دفعة واحدة، بدون تنظيم، من خوف يلاحقهم ويطاردهم، وقد تناهت إلى أسماعهم مجازر كفر قاسم ودير ياسين وغيرها، تناقلها الناس، فادخلت في قلوبهم الرعب والفزع، فكانوا وقتها يهجون هجا، متعبين حيارى، خائفين على أنفسهم تاركين أرضهم وزرعهم وضرعهم. ومنهم من حمل على رأسه (بقج) صغيرة تحوي ملابسهم وملابس أطفالهم، وحملوا على أكتافهم، أطفالاً رضعاً وصغاراً، ومرضى، وكبار السن، وكل من لايقدر على المسير.

عام النكبة، أو سنة الهجاج، كما سماها الناس العاديون، وكما انحفرت في الذاكرة، يصفها كل من رأى منها، مشهداً أو أكثر، بأنهم لم يروا مثلها أبداً، ويتذاكرها الناس في مجالسهم بألم وحسرة، وانكسار، فقد قلبت الأوضاع رأسا على عقب، وصار كل شيء يقاس بها ويبنى عليها، وتحولت إلى تاريخ لاينسى.■

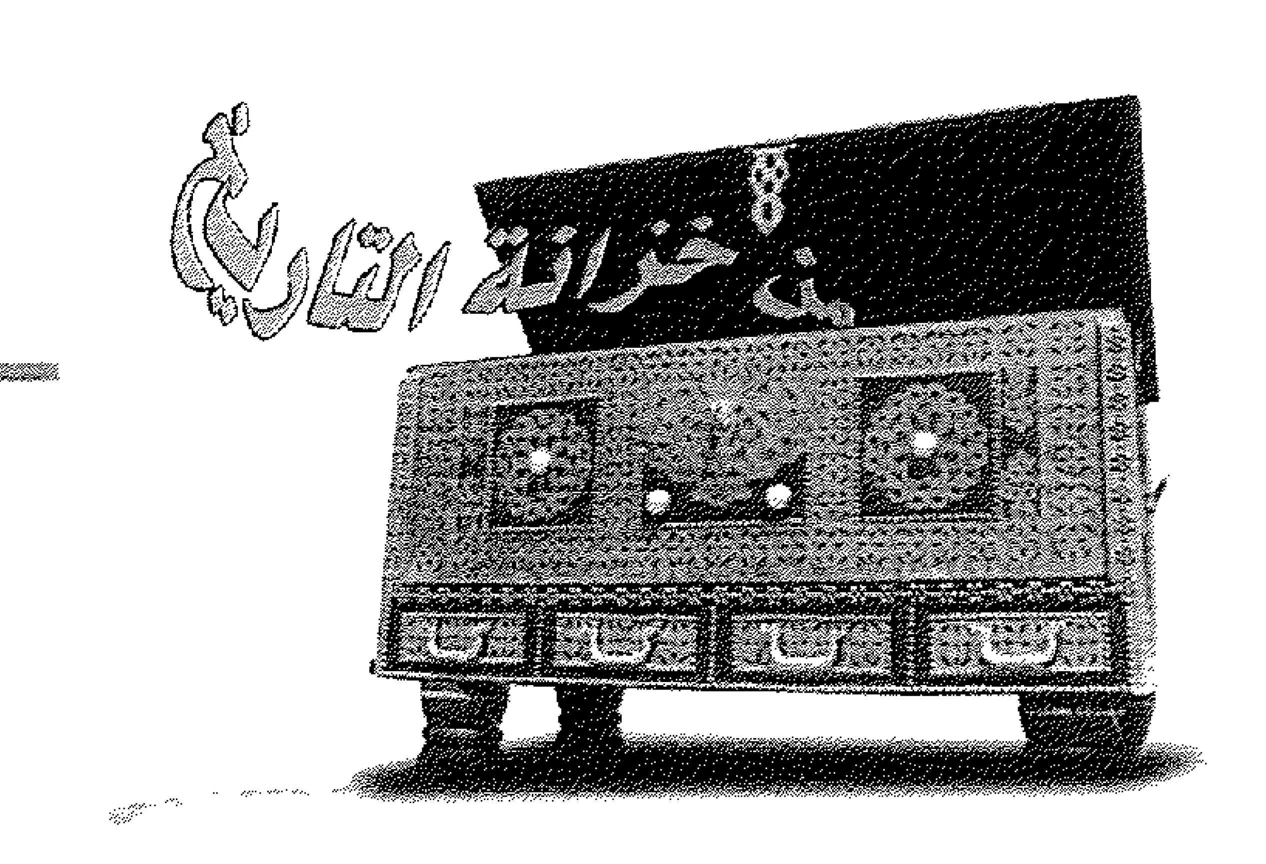


الشتات (الهجاج) الفلسطيني





رسم لفتاة مورسكية (أندلسية) بالملابس المنزلية حسب .Weiditz
وهي من تصوير Manuel Casamar غير معروف تاريخ رسمها ولا أين هو الآن.
كثير من الرسوم التاريخيّة الثمينة فقدت وقد تعود بعون من الله تعالى.



وقبّل يد الوزير!

لا تجد أصالة في الحياة الإنسانية بأبعادها المتنوعة كتلك التي يصيغها الإسلام ويصبغها ﴿صبغةَ الله ومن أحسن مِن الله صبغةً ونحن له عابدون﴾ *(البقرة ١٣٨)*. ويبقى كذلك حتى في حالات الضعف والانفلات والتدحرج، فما تكاد تتهيأ الأجواءُ المناسبة حتى تستجيبَ للخير وتعودَ، بل وتستجيشَ بهواها نحوه، جاريةً في خَطِّه، آخذةً هداه ومداه. بل إن بعضَها حتى وهي في حالات الضعف تأتي بصيغٍ كريمة.

ومهما يكن فإن هبوبَ روح وريح الإيمان، هو الذي يرتقي بالإنسان وحياته ويورثه الثمار المتبارية، قوة وعمقاً وابتداراً. أما حين تحيا بأصالتها فهي التي لا مثيل لها، لا تحيد ولا تتبدد أو تبيدُ بحال، مهما جرى وكان خلال الأعوام والقرون.

وهؤلاء الآخذون بالمنهج هم أعمدة الحياة جمعاء، ترى من خلالهم مأتى الرقي الإنساني، مأواه ومثواه. لا تُرى نماذجُه إلا في هذه الأجواء، ولا لون له إلا بهذا البناء ولا يُستطاب طعمه إلا كلما اقْتَرَبْتَ إليه. تَطْرَبُ له وتزداد، ويعجبك المشي في ركابه والحُداء لموكبه والانتماء لقافلته.

وهذا للحياة الإسلامية ومجتمعها بل ونِتاجها حتى في أوقات الحسرة والانحسار وترادف عوامل الاندثار، حساباتٌ رائقة وأفاعيلُ صادقة ومواقفُ ثابتة. كل ذلك لأن الأمر دينٌ والسعي عقيدة والوقوف عندها قربى وعبادة لله رب العالمين، اقتداءً برسول الله ﷺ. ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخِر وذكر الله كثيراً﴾ *(الأحزاب٢١)*.

يلوح لك ذلك بوضوح من خلال التعرف على حقائق التاريخ الإسلامي، مُتَرَوِّياً في النظر إليها ومحسناً قراءتها مدققا في أبعادها، قاعدةً في فهم هذا التاريخ الإسلامي والتعرف على طبيعة وإجادة تفسيره، حسب سنن الله تعالى في مجرى الأمور في الكون والخلق والحياة.

انظر إلى ما جرى عَشِيّةَ استسلام وتسليم غرناطة للملكين الكاثوليكيين فرناندو الخامس (Fernando V) وزوجته ايزابيل (Isabel)، (فردناند وإزابيلا)، في الثاني من ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ ١/٢/١٤٩٢م، بعد معاهدة من سبعة وستين بنداً، تؤكد كلها تأمين الناس على كافة حقوقهم، وتَكَرَّر توقيعها من السلطات الكنسية والرسمية، التي ما إن تمكنت حتى بدأت بنقضها، بل وكذلك بإجبار الأندلسيين على التنصر، ومنعوا كل ما هو إسلامي وطاردوه وأحرقوه.

وبدأوا بالعلماء الذين كان منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف المَوّاق[1] عالم غَرناطة وإمامُها وشيخها، المفتي القدوة الحجة خطيب المسجد الجامع الأعظم فيها، أحضروه إلى الكنيسة، التي حلّت للتَّوّ



مشهد استسلام
غرناطة للإسبان

محلَّ مسجدها الجامع، وعرضوا عليه التعاون معهم والتفاهم والتنصر ترغيباً، مقابل الذهب، ذهب إبريز والمجد والجاه، فأبى، فهددوه بالتعذيب والأذى والموت ترهيباً فامتنع، فأذاقوه شيئاً منه وأدموه، إلا أنهم رأوا أن يُطلقوه استدراجاً وإمهالاً، لعله يلين ويستكين فيستجيب، لكنهم اشترطوا عليه أن يُقَبِّل يدَ الطاغية الوزير ففعل. فلامه الناس وأنكروه عليه فسكت.

وبعد أيام ظهرت له كرامة، إذ ما لبثت يد الوزير تلك أن تورمت مكان القبلة فيها وتوجّع منها، فأمر برد الإمام الموّاق إليه وطلب منه الدعاءَ للشفاء.

لكن مع ذلك استمرت محاولاتهم معه عن طريق الترهيب والتهديد بالقتل، وهو ما يَعْلَمُه نهايةً، وتقدم إليها محتسباً، فما وجدوا فيه مأرباً غير تنفيذ ذلك، فاستُشهد بين أو تحت أيديهم وأمام أعينهم مشهد يأنسون به. فذهب إلى الله شهيداً في شعبان سنة ٨٩٧ هـ، بعد تسليم غرناطة بنحو ستة أشهر.

واستمر ذلك النهج حتى كانت محاكم التفتيش الغاشمة، لكن الإمام المواق ذهب إلى الله شهيداً مقبلاً غير مدبر قوياً ثابتاً، إيماناً واحتساباً، ليبقى مثالاً لكل حر كريم أصيل، رحمه الله تعالى وأكرمه وجزاه خير الجزاء على إبائه جهاداً واستشهاداً.

١- تجد كامل القصة : هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة . ظروفها وآثارها ×، ٩٢ وما بعدها ، ١١٩ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٦٢ .



الملك الإسباني
فرناندو الخامس



العربية اللغة الرسمية للدولة الأموية

يعدّ إدخال اللغة العربية على الأجهزة الرسمية للدولة الأموية سنة ٨٤هـ-٧٠٣م) نتاجاً للاستقرار الذي تمتعت به تلك الدولة بعد أحداث الفتن المتتالية. كما يعدّ كذلك أهم أعمال عبد الملك بن مروان، فالدول التي فتحت ودخلها الاسلام كانت تتحدث بلغات غير عربية وهو ما عرقل نموها الاجتماعي والثقافي والعلمي وأثر على روابطها بالدولة العربية بدمشق، فأخذت الأمية تختفي رويداً رويداً وزاد إقبال المسلمين في تلك البلدان على قراءة الكتب العربية وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما زاد بالتالي من قوة الروابط بين تلك الدول وبين العرب.

ابن نصير وشمال إفريقيا

القائد موسى بن نصير خلف حسان بن النعمان عام (٨٦هـ-٧٠٥م) وأصبح القائد العام للجيش العربي في شمال أفريقيا فوجب عليه أن يقوي النفوذ العربي في المغربين الأوسط والأقصى. فسار سنة (٩٠هـ-٧٠٩م) بجيشه على الساحل الافريقي وكانت قواته حينما تدنو من مناطق العمران يخرج إليها أهلها وزعماء البربر ليرحبوا بها حتى وصل إلى أقصى الساحل الشمالي للمغرب الأقصى، ولم يتبق أمامه سوى طنجة فحاصرها ودخلها.

ومنذ ذلك الوقت أخذ العرب ينظرون عبر مضيق البحر تجاه الأندلس ومن هنا انبثقت فكرة العبور إليها.

ديك الجن

هو عبد السلام بن رغبان المعروف بـ «ديك الجن» (٧٧٧هـ-٨٤٩م). وهو شاعر عربي عاش في العصر العباسي، ولد ونشأ بحمص. وله غزل كثير جلّه في جارية له اسمها ورد كان يتعشقها، وقد دفعته غيرته عليها إلى قتلها بسبب وشاية حاسد، ثم عاد وندم ورثاها بأعذب الشعر.

اليوبيل

اليوبيل في اليهودية سنة راحة، كان العبرانيون يحيونها كل خمسين عاماً، فيعتقون العبيد ويلغون الديون ويمتنعون عن حراثة الأراضي وزراعتها. وفي الكنيسة الكاثوليكية سنة يعلنها البابا كل خمسة وعشرين عاماً، عادة، يُمنح فيها الغفران الكامل لكل من يتوب عن المعاصي، أو يحج إلى روما. وتعرف هذه السنة عندهم بـ «السنة المقدسة» وفي الاستعمال العام يقصد باليوبيل الاحتفال بانقضاء خمس وعشرين سنة على حدث بعينه، كتتويج ملك أو نشوب حرب أو ثورة، أو صدور مجلة، أو غير ذلك من الأحداث البارزة، وهذا هو اليوبيل الفضي، أو بانقضاء خمسين سنة على الحدث، وهذا هو اليوبيل الذهبي، أو بانقضاء ستين سنة أو خمسة وسبعين سنة عليه، وهذا هو اليوبيل الماسي.

أول عربة بخارية

اخترع المهندس الميكانيكي العسكري (كوغنوت) أول مركبة ناجحة تسير بقوة البخار على الطرقات في عام ١٧٦٩م، ورغم أنه كان على هذه العربة ثلاثية العجلات أن تتوقف كل ربع ساعة لتفريغ البخار، إلا أنه كان يمكنها أن تسير بسرعة ثلاثة كيلومترات في الساعة.

وقد أعجبت الحكومة البريطانية بإمكانية هذه الآلة، فأمرت ببناء آلة مشابهة حتى يستخدمها الجيش. ولسوء الحظ لم يستخدمها الجيش لأنها أدت إلى وقوع عدة حوادث، وصدمت جداراً خلال تجربتها، فقررت الحكومة أنها غير صالحة للاستعمال.

اليونسكو

اليونسكو منظمة متخصصة من منظمات هيئة الأمم المتحدة اسمها بالكامل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. وقد اتفقت الدول التي تنتمي إليها على الإسهام في إقرار السلام والأمن عن طريق التعاون في مجالات التربية والعلوم والثقافة.

تضم المنظمة حوالى ١٦٠ دولة بما في ذلك معظم الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة، وتتولى الدول الأعضاء دفع معظم إيراداتها، تأسست منظمة اليونسكو عام ١٩٤٦م ومقرها الرئيسي في باريس.

وهي تسعى لتحقيق المزيد من العدل والتعاون والحقوق للإنسان والحريات الأساسية لكل الأفراد، تقوم اليونسكو بتنفيذ برامج لتطوير هذه الأهداف بناء على طلب أي عضو فيها. ولا يتسنى تنفيذ معظم قراراتها إلا إذا قامت حكومات الدول الأعضاء باتخاذ بعض الإجراءات داخل أقاليمها.

وتسعى لنشر أفكارها بين شعوب العالم وهي تؤكد على ضرورة تطوير التعليم ونوعيته والاشتراك في الثقافة، وزيادة الاستخدام السلمي للمعرفة العلمية.

تشجع المنظمة الفنانين والعلماء والطلاب والمعلمين على السفر والدراسة والعمل في الأقطار الأخرى. وهي تركز اهتمامها على استخدام العلوم الاجتماعية للمساعدة في حل مشاكل مثل التمييز العنصري والعنف.

عريس عمره ١٥٣ سنة

زارو آغا «تركي» تزوج للمرة الحادية عشرة في سنة ١٩٢٧م وكان له من العمر ١٥٣ عاماً، ورزق ٢٧ ولداً ماتوا جميعاً الواحد بعد الآخر مع أمهاتهم، ولكنه لم ييأس وظل شديد التأثر بنظرات النساء وكانت له ذاكرة قوية حادة تمكنه من سرد بعض الوقائع والأحداث التي يرقى عهدها إلى فترة الثورة الأمريكية، وكان زارو يقوم بزيارة مصطفى أتاتورك رئيس تركيا مرة في السنة فيستقبله أحسن استقبال ويمنحه مبلغاً من المال، كما أهداه حاكم مدينة استنبول منزلاً. ■

المراجع المعتمدة

١- كاميليا سلوم عكاوي: كشكول المعارف والعلوم، دار الحرف العربي، ط١ بيروت، ٢٠٠٠م.

٢- محمد العايدي: موسوعة بنك المعلومات «١-٢»، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، عمّان، الأردن، ٢٠٠٢م.

٣- حمدو طماس: أهم الأحداث التاريخية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

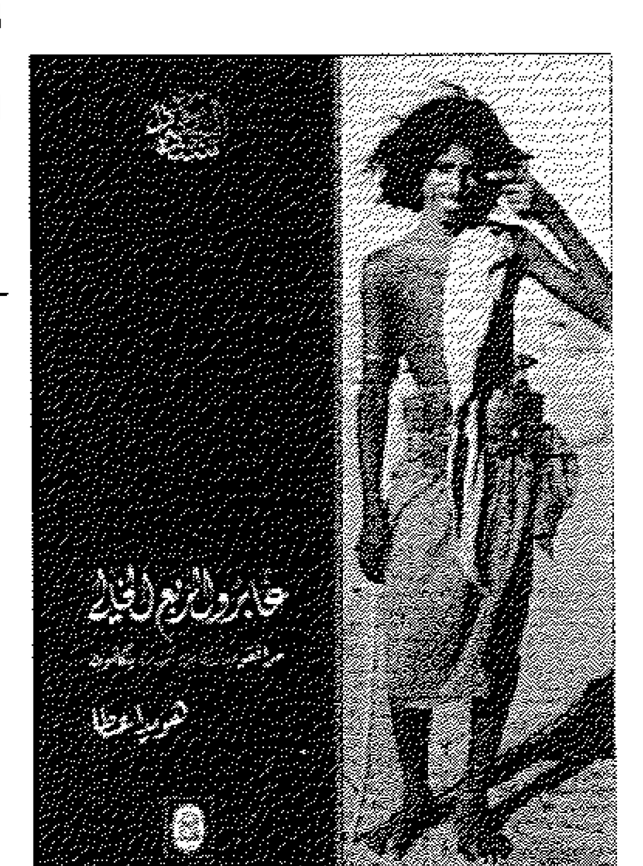
٤- سمير شيخاني: التاريخ الصغير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

٥- خليل البدوي: صدق أو لا تصدق، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٢م.

عابرو الرُّبع الخالي

أربعة رجال عبروا الرُّبع الخالي منذ ما يقارب نصف قرن من قيام الرحالة الإنجليزي ولفريد ثيسجر المعروف «بمبارك بن لندن» باكتشاف صحراء الرُّبع الخالي. الرجال الأربعة المرافقون لابن لندن شرعت الشاعرة والصحفية هويدا عطا بمحاورتهم من بعد تلك السنين، وقد استكملت بتلك المحاورات سرد ذكريات أولئك المرافقين عن ظروفهم التي أحاطت برحلتهم ومرافقتهم للرحالة ابن لندن.

ابتدأت المؤلفة عطا كتابها باستهلال، ومقدمة، ثم أعقبتها بأربعة فصول خصصت كل فصل لواحد من أولئك الذين قطعوا صحراء الرُّبع الخالي وقتذاك. ابتدأت الفصل الأول مع سالم بن كبينة، والثاني مع ابن غبيشة، والفصل الثالث مع عمير بن عمر، والفصل الأخير لقاء مع محمد بن صالح بن كلوت. وقد ازدان كتاب هويدا عطا بملحق يضم ٢٧ صورة عن هؤلاء الرجال الأشداء.



اسم الكتاب: عابرو الرّبع الخالي مرافقو مبارك بن لندن يتكلمون

المؤلف: هويدا عطا

الناشر: دار السويدي للنشر والتوزيع، سلسلة سندباد الجديد، أبوظبي

الصفحات: ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط

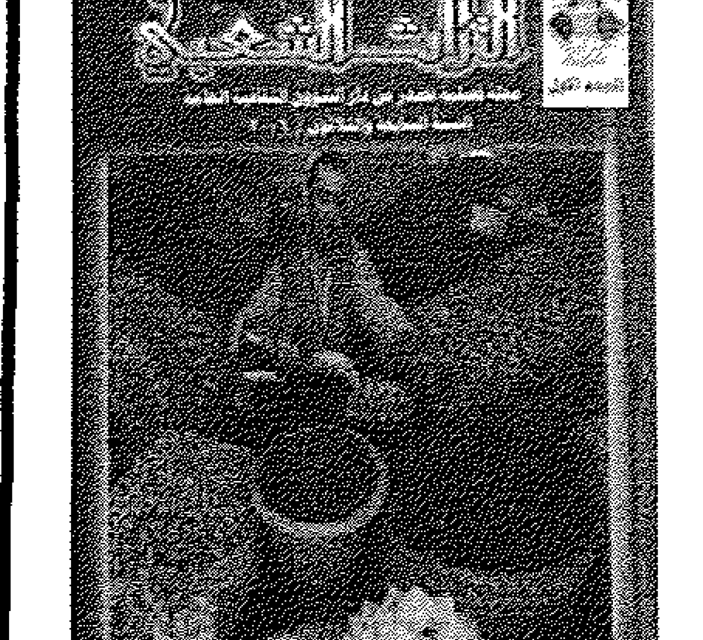
العنوان: ص.ب: ٤٤٤٨٠، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة

دوريات .. دوريات .. دوريات .. دوريات .. دوريات .. دوريات .. دوريات .. دوريات .. دوريات ..

التراث الشعبي: الأطعمة والأشربة

خصصت مجلة التراث الشعبي الفصلية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة العراقية ببغداد عددها الأول للعام ٢٠٠٦م، عن «الأطعمة والأشربة»، وتضمن العدد اثنتي عشر مقالة منوعة عنها. فقد كتب قاسم خضير عباس عن الأطعمة والأشربة في القرن الثاني الهجري، وكتب مهدي حمودي الأنصاري عن الحلويات، وسلمان هادي طعمة عن المطبخ الكربلائي، وسعد علي الجميل حول المطبخ الموصلي القديم، في حين جاء موضوع: بعض مآكل الأطفال في مدينة النعمانية لحسن وليد الشمري، والخبز والمُعجنات في تكريت لعطا طه التكريتي، ولناجي محفوظ الأطعمة في النجف، ولقاسم طه العيدي: الشائع من الأكلات الشعبية في ميسان.

كما ضم عدد التراث الشعبي دراسة لمحمد علي رشيد بعنوان: الأطعمة والأشربة في الأمثال الشعبية، أعقبه موضوع: الأطعمة في الطب الشعبي لجميل حسين الحرباوي، وكتب رئيس تحرير المجلة الأستاذ كاظم سعد الدين عن «التطفيل»، وختم دراسات العدد محمد كاظم الشديدي في موضوعه الموسوم: «عادات الطعام وآدابه». بينما ختمت مواد عدد التراث الشعبي عن الأطعمة والأشربة بباب حكايات شعبية إذ عرضت فيه حكايتان هما: «هيج معط شوارب ما يوفي دِيْن» لرافعة إسماعيل خميس، و«بنت الحطاب» لأحلام حسين.



اسم الدورية: التراث الشعبي

الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، جمهورية العراق

العدد والسنة: العدد الأول (٢٠٠٦)

الصفحات: ١٥٨ صفحة من القطع الاعتيادي

العنوان: ص.ب: ٤٠٣٢، الأعظمية، بغداد، جمهورية العراق

البريد الالكتروني: *Dar-iraqculture@yahoo.com*

دُومة الجَنْدَل

أصدرت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض ضمن سلسلة الرسائل الجامعية «١٩» كتابها رقم «١٨٢» الموسوم بـ «دُومة الجَنْدَل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية» دراسة تاريخية حضارية، لمؤلفه الباحث نايف بن علي السنيد الشّراري.

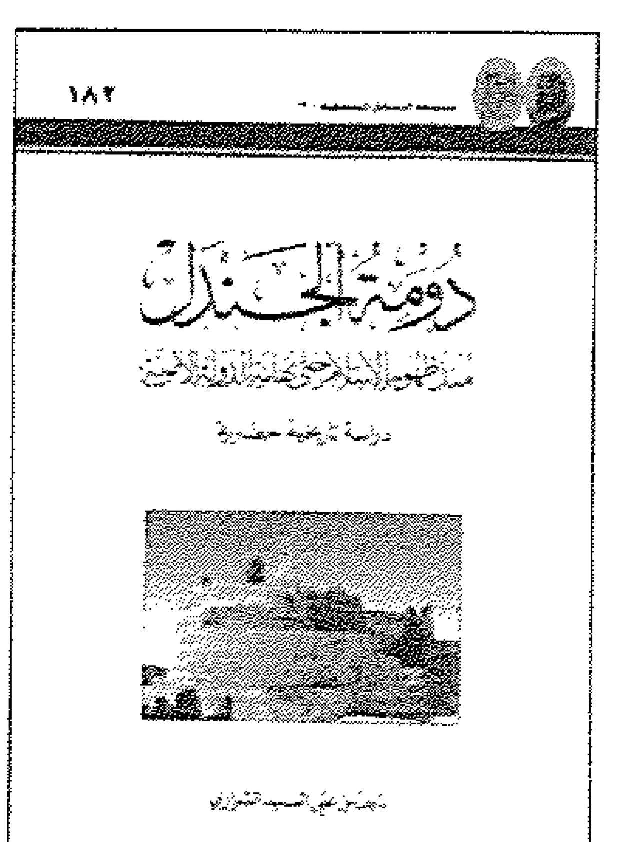
يتكون الكتاب- الرسالة- من تقديم ومقدمة، وتمهيد وأربعة فصول وملحقات، حيث ورد في التمهيد التعريف بدُومة الجَنْدَل، وتسميتها، والموقع والحدود، وتناول المؤلف دُومة الجَنْدَل في العصر الجاهلي: تاريخها وقبائلها، ودُومة الجَنْدَل في العصر الآشوري، والبابلي، وفي عصر اليونان، والرومان، وبيان قبائل دُومة الجَنْدَل في العصر الجاهلي.

وعرض نايف الشّراري في الفصل الأول:«دُومة الجَنْدَل في العصر النبوي».

ثم جاء «دُومة الجَنْدَل في عصر الخلفاء الراشدين»، عنوان الفصل الثاني للكتاب، أشار فيه مؤلفه للحملات العسكرية على دُومة الجَنْدَل، وقبائل دُومة الجَنْدَل وحركة الفتوح. بينما قدّم الكتاب في فصله الثالث: «دُومة الجَنْدَل في عصر بني أميّة».

وختم الباحث نايف بن علي السنيد الشّراري في ختام فصول كتابه -الرابع- الجوانب الحضارية في دُومة الجَنْدَل، في حين عرض في ملحقات كتابه للملوك والملكات والحُكّام الذين حكموا دُومة الجَنْدَل حتى نهاية الدولة الأمويّة سنة ١٣٢هجرية.





اسم الكتاب: دُومة الجَنْدَل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية

المؤلف: نايف بن علي السنيد الشّراري.

الناشر: دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

الصفحات: ٤٤٠ صفحة من القطع الاعتيادي.

العنوان: ص.ب: ٢٩٤٥- الرياض- ١١٤٦١- المملكة العربية السعودية

الشام حضارة وإبداع

صدر عن مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، كتاب «الشام حضارة وإبداع» ضمن أعمال الندوة الفكرية التي نظمها للفترة من ١٣-١٧ نوفمبر ٢٠٠٥م في دبي. وتضمن الكتاب اثنتي عشرة دراسة وبحثاً شارك فيها كُتّاب وأدباء وفنانون سوريون.

فقد ألقى د. محمد محفّل دراسته الموسومة: «سوريا من فجر التاريخ إلى الحضارة المدنية»، بينما تناول د. علي القيم بدراسته «سوريا مليون سنة ثقافة».

وشارك في أعمال الندوة كل من: د. محمد باروت، ود. أحمد برقاوي، والباحث أنور إسكندر، و د. غازي الخالدي، والباحث محمد الأحمد. ود.ة. ماري الياس، و د.ة. حنان قصاب حسن، و د. رياض نعسان أغا، و د. عبدالله أبو هيف، وأخيراً د.ة. ماجدة حمود.



اسم الكتاب: الشام حضارة وإبداع

المؤلف: مجموعة كُتّاب

الناشر: مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي.

الطبعة والسنة: الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

الصفحات: ٣٣٦ صفحة من القطع المتوسط

العنوان: ص.ب ١٤٣٠٠، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

سوالف بوراشد

حكايات واقعية من الحياة يرويها:

■ خميس بن زعل الرميثي

الشاعر العاشق

قال الراوي خميس راشد بن زعل الرميثي: كان يا ماكان في قديم الزمان رجلاً عشاقاً وشاعراً في الوقت نفسه، وإذا كان الصب تفضحه عيونه فالشاعر تفضحه حروفه. وكان من عادة أهل أبوظبي إذا حضرهم الصيف ارتحلوا شرقاً إلى العين، أو غرباً إلى محاضر ليوا لقضاء القيظ «الصيف» والهروب من حرارته ورطوبته، وكان ارتحالهم وعودتهم على ظهور البوش «الجمال» بكسر الجيم. فأما الذاهبون إلى الغرب فلا مشكلة لديهم، وأما المرتحلون شرقاً فكان عليهم أن يقطعوا «بري» المقطع، وهو عبارة عن مساحة ضيقة من البحر تفصل بين جزيرة أبوظبي وضواحيها والعين من جهة الشرق، مكان جسر المقطع حالياً، وكانوا يتخيرون لوصولهم إلى هذا المكان أوقاتا يقل فيها المد ويزيد فيها الجذر، وتنحسر المياه حتي تستطيع الجمال العبور.

وحدث أن أراد جماعة من أهل أبوظبي الارتحال إلى العين، واختاروا وقتاً يكون فيه الجذر صباحاً، ولذلك قرروا أن يَسْروا بالليل من بعد صلاة العشاء حتى يصلوا مكان العبور عند الفجر ومن ثم يعبرون خلال انحسار المياه وبلوغ الجذر مداه. وكان من بين القوم شاعرنا أو عاشقنا الذي تمنى أمراً وسره في خاطره، ومن ثم تهيأ لهذا الأمر، فلبس من الثياب أفضلها، واتخذ له موقفاً على قارعة الطريق، ممنياً النفس برؤية من يريد أن يراه، ولا يخفى عليكم من الذي يريد أن يراه.

وفي الوقت نفسه كان القوم يعدون العدة للعبور ويجهزون رحالهم، لكن منهم من لفت انتباهه وقفة الرجل هكذا في عرض الطريق، ومن الناس من يأمره بإفساح الطريق ومنهم من ينهره لعدم اشتغاله مع القوم بتجهيز الرحال، وهو واقف على حالته، حيران لا يدري ماذا يقول ولا ماذا يفعل وعندما لامه أحدهم أنشد قائلاً:

وقفت حيران عشية رحلهم … وقالوا من ذا واقف حيراه

هل كنت معشوقاً أو كنت عاشقاً … أو كنت تشتكي من الهوى هواه

فإن كنت عاشقاً فاصبر يافتى … فاصبر إن الصبر فيه رجاء

وكيف باصبر يافتى وبي سلوة … والعيس راحت جانب البطحاء

وأمست بهم ديك الطلول أنيسة … من بعد ماتلعي بها الورقاء

وظل الرجل واقفا على أحر من الجمر، يتحرق شوقاً إلى رؤية معشوقته التي لم تظهر حتى تحركت القافلة وذهب الربع رلى حال سبيلهم، كل يغني على ليلاه، وهووحده يكابد من الشوق ما يكابد ويعاني من البعد ما يعاني.

وعند الوصول إلى العين ظل الحال على ما هو عليه، وظل الرجل يقاسي الهموم ولوعة الفراق، ويتجرع الآلام والأحزان، ويتدرع بالصبر ويتذرع بالأماني، ويعد الأيام ويحسب ما بقي منها على انقضاء الصيف، والأيام تمضي بطيئة متثاقلة وكل يوم يمضي يزيد في لوعته كما يزيد من لهفته، حتى أذن العود إلى الديار التي فيها أحبابه. فاستبشر شاعرنا العاشق بهذا العود، وراح يتمنى من البارئ سبحانه وتعالى أن يعود القوم بالصحة والسلامة وأن يجد أحبابه كذلك في صحة وسلامة، وسلامتكم. ■

إقرأ في العدد القادم:

- الطيب والعطور في التراث العربي
- العمارة بالطوب في الجزائر
- انطباعات الرحالة عن روسيا في التراث العربي
- جدل حول مصير اللغة العربية
- شخصيات: القلصادي من علماء الرياضات المسلمين

